

كتاب

نظم الحكم والادارة في الدولة العثمانية في عهد مرادجه دوسون

اي

في اواخر القرن الثامن عشر واول القرن التاسع عشر

للمؤلف

مرادجه دوسون سفير دولة اسوج في الاستانة ! المترجم سنة ١٨٠٧

نقله الى العربية : فيصل شيخ الارض

رسالة قدمت الى دائرة التاريخ في جامعة بيروت الامبروكية

لنيل شهادة استاذ في العلوم

الجامعة الامبروكية في بيروت

يناير ١٩٤٢

١ -

مناهج البحث

<u>الصفحة</u>	
٣ - ١	فهرست المقدمة
٥ - ١	تمهيد
٢٦ - ٥	المقدمة
٦٨ - ١	<u>الباب الاول : البلاط</u>
٣ - ٢	الفصل الاول - السراي
١٦ - ٣	الفصل الثاني - موظفو القصر
	الطبقة الاولى : الموظفون المنتمون الى هيئة العلماء
	- الثانية : المطبقون بلاءوات الركاب السلطاني
	- انتائه : الامناء
	- الرابعة : موظفو الصيد
	- الخامسة : الموظفون التابعون لرئيس الخصيان السود
	- السادسة : = = = المكتب
	- السابعة : رجال الحرس
	- الثامنة : حرس السراي
٢٠ - ١٧	الفصل الثالث - موظفو داخل البلاط والخدم الخلمان
	الفرع الاول و فرقة رجال الحرس
	- الثاني : بيت المال
	- الثالث : دائرة المكتب
	- الرابع : دائرة السفر
	- الخامس : الخصيان السود
	- السادس : البيخير

الفصل الرابع - الحرم المكي	٤٠ - ٣٠
- الخامس - السلطنة الوالدة	٤١
- السادس - السلطانات	٤٤ - ٤١
- السابع - الاميرات بنات السلطان	٤٥
- الثامن - ابناء السلطان الحاكم	٤٧ - ٤٥
- التاسع - امراء البيت العاك	٤٩ - ٤٧
- العاشر - المستدان	٦٨ - ٤٩

٨٦ - ٦٩ الباب الثاني : الصدر الاعظم ودائرتة (الباب العالي)

الفصل الاول - الصدر الاعظم	٧٢ - ٦٩
- الثاني - وزراء الدولة	٧٧ - ٧٢
- الثالث - امناء سر الدولة	٧٨ - ٧٧
- الرابع - بقية موظفي هذه الدائرة	٨١ - ٧٨
- الخامس - حاشية الصدر الاعظم	٨٦ - ٨١

٩٥ - ٨٧ الباب الثالث : الوظائف السنوية

١٠٤ - ٩٦ الباب الرابع : الديوان

١٢٣ - ١٠٥ الباب الخامس : مالية الدولة

الفصل الاول - نظام المالية	١١٧ - ١٠٥
الفصل الثاني - دائرة المالية	١٢٣ - ١١٧

١٢٦ - ١٢٤ الباب السادس : الولايات

١٨٩ - ١٢٧ الباب السابع : حالة الدولة العثمانية العسكرية

الفصل الاول : الجيوش المنظمة التي تتناول مرتبات وتكون دائمة الخدمة .	١٦٦ - ١٢٨
--	-----------

الانكدارية - الحية حية - الطوبجية - الطوب -
 عريجه - اسباب - السلجودار - بقية فرق الجيش
 المنطقه .

الفصل الثاني : العساكر التي تعتذر من الاقطاعات العسكرية	١٦٧ - ١٧٠
الفصل الثالث : العساكر التي تقدمها الايالات	١٧٠
الفصل الرابع : فرقة الحرس الباشاوات وجنود المقاطعات الخاضعة لهم	١٧١ - ١٧٢
- الخامس : الجيوش الغبر عادية والفرق الحرة	١٧٢ - ١٧٤
- السادس : في الحرب	١٧٤ - ١٨٩
بحرية الدولة العثمانية	١٨٩ - ١٩٧
علاقات البلاط العثماني مع الدول الاجنبية	١٩٨ - ٢٣١

----- . -----

لمحة مختصرة عن حياة دوسون
مؤلفه في تاريخ الدولة العثمانية
راى المورخين فيه
قيمة الكتاب التاريخية

المقدمة

١ - نظم الحكم والادارة في السلطنة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني
١ - النظم والعادات التي حملوها معهم عند مجيئهم الى بر الاناضول

٢ - ما اخذوه عن الصين : النظم والتوقيت

ب : = = = اجدادهم التتر

(١) من حيث لغتهم التركية في تركيبها ولفظها ومطاطعتها وقواعدها

(٢) = = العادات

٣ - ما اقتبسوه عن الاتراك السلاجقة الذين كانوا يجاورونهم جهة الشرق

١ : كان الاتراك السلاجقة واسطة توفيق بين الاساليب والنظم التركية القديمة

العجمية والاسلامية - وبين اساليب ونظم العثمانيين .

ب : منتجات السلاجقة انفسهم التي وهي ثمرة اختباراتهم = في فن مساكن الدفائر

• في فنهم الخاص في تشييد الابنية العامة مثل القنادق والخانات والمساجد .

ج : انشاء السلاجقة عدة طرق دينية مهمة احتلت مركزها في الحياة العثمانية .

٣ - النظم والمعارف التي اقتبسها العثمانيون عن العباسيين

١ - في الناحية الدينية

ب - في الناحية الاجتماعية

ج - اخذوا الالف با عنهم

د - في القرن التاسع جاء شباني اتراك للخدمة عند الخلفاء العباسيين واحتلوا

أرفع المراكز . ان تثقفهم في بلاطات الخلفاء والحكام اثر كبير على افكارهم

٤ - النظم التي تاتربدا العثمانيون من العجم .

(أ) - تعاليم الملك

(ب) - التفرق بين موظفي البلاط وبين موظفي الحكومة

(ج) - تقسيم الوزارة الى خمس دوائر

(د) - ايجاد مجلس شورى للدولة

(هـ) - إعطاء صلاحيات واسعة لحكام الولايات

(و) - وضع الضرائب

(ز) - ابهة واحتفالات البلاط

(ح) - تاتروا بهم عندما احتكوا معهم في العصر العباسي

(ط) - من الناحية الادبية .

٥ - النظم التي استمدوها من البيزنطيين

(أ) - موافقة تعاليمهم وتعاليم افلاطون

(ب) - النظام الادارى والحربي ، في الترتيبات الحكومية

(ج) - نظام الضرائب

(د) - حفلات البلاط والابهة والعظمة

(هـ) - التمثيل الخارجى

(و) - في العادات والاعمال - بصورة اقل -

(ز) - لعلمهم اخذوا عنهم الاسلوب الاقطاعي في شكله النهائي

(ح) - حبهم للرواتب والهدايا .

٦ - ما اخذه العثمانيون عن غير البيزنطيين من الشعوب المسيحية

(أ) - عن سكان اسيا الصغرى الاصليين الذين كانوا يحفظون تعاليم اربعة عشر قرنا واكثر .

اذ لا يمكن لهذه التعاليم ان تزول في خمسة قرون او اقل حتى الى الابد .

(ب) - عن سكان جنوب اوربا الذين كانوا مثل سكان اسيا الصغرى يحملون على الثقافات

والتعاليم نفسها .

ج - كثيرون من رجالات الدولة العثمانية يتحدرون من اصل مسيحي . لهذا يمكننا القول بان قسما من مدنياتهم ونظمهم الحكومية جاءت عن طريق المسيحيين كما جاءت عن طريق المسلمين .

ب - صلاحيات السلطان

(ا) - يحد الشرع من سلطته

(ب) - العادات القديمة تمنعه من سن القوانين والانظمة

(ج) - صلاحياته تنفق حسب قوة وضعف شخصية السلطان .

ج - صلاحيات الصدر الاعظم

د - صلاحيات الوزراء

هـ - حالة السلاطين بعد السلطان سليمان

(ا) - اخلدوا الى الدعة والسكون وانقطعوا الى ملذاتهم

(ب) - عدم ذهابهم الى الحرب على راس جيوشهم

(ج) - تركوا زمام الامور للصدور والعظام .

و - حالة الجيش العثماني بعد عصر السلطان سليمان

(ا) - ضعف نظام التجنيد وضعف القيادة العسكرية .

(ب) - عدم الطاعة بين الجنود وتجروهم على السلاطين

(ج) - سوء الادارة في الجهتين البرى والبحرى .

ز - حالة الدولة الداخلية بعد القرن السادس عشر

(ا) - قوضى التعيين وعدم اهلية رجال الدولة .

(ب) - البطء في سير الاعمال الدولية الداخلية والخارجية

ح - حالة الشعوب النفسية والثقافية

(ا) - التعصب الاعمي لعاداتها القديمة

(ب) - الجهل العام المتفشي بينها .

ان المؤلفات التي تبحث في تاريخ السلطنة العثمانية كثيرة جدا تعد بالمئات كتبت بلغات عديدة .
 انما لا ادوار التي مرت بها الدولة منذ اول عهد عا حتى يومنا هذا وما صار فيها من الاحداث الجسيمة
 وما قامت به من علاقات حربية وسلمية وتجارية مع مختلف ملوك اسيا واوروپا وافريقيا والادوار التي
 لعبتها في مصير هذه الملوك . ان كل هذه الاور وغيرها لفتت انظار كبار المؤرخين ودفعتهم
 الى كتابة تاريخ الدولة العثمانية .

وقد

كانت فالمادة واسعة والموضوع غريظ ومشعب الى اقسام عديدة / ساهم الكتاب في طرقها وكان
 اغلبها يدور حول الناحية السياسية والحرية والتجارة . ولم يتكلم عن الناحية الادارية وعن نظام
 الحكم سوى نفر قليل منهم . وهذا النفر القليل لم يعن العناية الكافية بهذا الموضوع فلم يفرد له
 كتابا خاصة ولم ينفه حقه من البحث والاستقصاء انما جاء عرضا مع سياق الحديث ، كما يستثنى
 من هذا النفر القليل المؤرخ "ليبير" Lybjer مؤلف كتاب : *The Government of the
 Ottoman Empire in the time of Suliman the Magnificent* "Cambridge 1873"

الذي صدر عام ١٩١٣ ، والمؤرخ الاسويجي Mouradjea D'ohsson وقد افرد كتابا خاصا من مؤلفه
 الكبير "Tableau Général de l'Empire Ottoman" الذي صدر في باريس سنة ١٨٢٠ في التكلم عن
 ادارة الحكومة العثمانية والولايات ووصف السلطان والبلات والصدر الاعظم والوزراء والدبوان
 والجيش والبحرية وعلاقات الدولة مع الدول الاجنبية . اي كل ما هو متعلق بالناحية الادارية
 وذلك كما كانت في ايامه اي في اواخر القرن الثامن عشر ووائل القرن التاسع عشر . وهو اوفى
 بحث ظهر في هذا الموضوع حتى الان لتلك الحقبة من الزمن . وما يؤسف له ان هذا المؤلف
 العظيم نادر الان وخصوصا في الشرق ولا يوجد منه نسخ كاملة حتى في كبرى المكتبات .
 كما هو الحال في المكتبة الظاهرية في دمشق ومكتبة الاباء اليسوعيين في بيروت . ولا يوجد
 منه في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت سوى القسم الاول فقط مع هذا المؤلف . الامر الذي

دعا استاذي الفاضل الدكتور اسد رستم (١) الى توجيه اهتمامي نحو هذا الكتاب النفيس وان

(١) يقيني ان هذا المؤلف الكبير من الطبعة الثالثة هي من مخطوطات الامير محمد سليم به

اجعله موضع رسالتي وذلك بنقله الى اللغة العربية التي تفتقر الى مثل هذا البحث القيم املا
ان تحصل الفائدة المرجوة منه وان يطلع العرب على ماحصل نظام الحكم والادارة في الدولة العثمانية
التي حكمت بلادنا مدة اربعة قرون .

سوف اذكر في بادئ الامر الان شيئا عن حياة المؤلف دوسون وعن كتابه كما عرضها
هو . ثم انتقل بعد ذلك الى التكلم عن شتى المصادر التي استمد منها العثمانيون نظم ومبادئ
الحكم وذلك كي يتعرف القارئ الى الاسس التي بنى عليها العثمانيون قوانين الادارة في سلطنتهم
لان دوسون كما ذكرت سابقا لم يبحث مفصلا الا حالة الدولة كما كانت في عهده .

يقول دوسون في افتتاحية مؤلفه بانه من " الصعوبة بمكان خرق السحب الكثيفة التي

تجرب امة ليس من السهل الاتصال بها لانها ذات موانع وعصبية دينية تفصلها عن شعوب
اوربا الضعف الى ذلك الصعوبات الطبيعية والاخلاقية والسياسية . ولهذا السبب لكيما يتمكن الانسان
من تكوين فكرة صحيحة عن هذه الامة يترتب عليه ان يعيش بينها . ولقد اتصلت بوزراء وسفراء الدول
الاجنبية الذين اقاموا في العاصمة العثمانية فاخبروني عن الصعوبة التي يجاوبها الانسان اذا حاول
القيام بدرس هذه الامة . هذا عدا الاخطار التي يمكن ان تعترضه ويخوف في عمله هؤلاء .

وشل هذا الدرس يتطلب ^{فوق} ذلك اموالا كثيرة واحوالا مناسبة . وعلى الباحث ان يعيش زمنا طويلا
بين السكان وان يحسن لغتهم ويتعرف الى شتوجات افكارهم وان تكون عنده مبادئ عن ديانته
ديانتهم ومن صدر عقبتهم . ويجب ان يكون له معارف من بين كبار رجال الدولة ومن الضرورة
اخيرا ان يكون الباحث في منصب سياسي وفي خدمة دولة صديقة للبلاط العثماني والا يكون
موضع رتبة او مكان من وزراء وموظفي الدولة . فبيدنا القول اذا بانه اذا لم تتوفر للباحث كل هذه
السبل فانه من الصعب جدا عليه ان يصل الى معرفة هذا الشعب وحكومته معرفة صحيحة حققة .
فلقد ولدت في الاستانة وريت فيها وكنت طفلة حياتي في خدمة دولة متصلة بالباب العالي
بروابط صداقة متينة . لهذا فان السبل فتحت امامي اكتمل من اي انسان اخر للتغلب على
هذه الصعاب التي ذكرتها ولانها العمل الذي انتهيت القيام به .

وبعد ان قرأت كتب المؤرخين العثمانيين وتابعتها مع مؤلفات الاجانب الذين لم يحسنوا
كتابة تاريخ السلطنة وجدت ضرورة كتابة تاريخ الدولة العثمانية فباشرت العمل مستمدا معلوماتي

من الأصول عينا أي من النصوص والسجلات التي تدونها الدولة . ولكني وأنا في وسط هذا العمل الطويل شعرت بضرورة اطلاع القارئ قبل كل شيء على الامة العثمانية من ناحية عقائدها وديانتها وعاداتها وإدارة حكومتها . وإطلاعه بصورة خاصة على ذلك القانون العام الذي دونه ابراهيم الحلبي وسماه " ملحق الابحر " والذي يؤلف التشريع الديني الاسلامي لهذه المملكة الواسعة ولكل الشعوب الاسلامية .

" ولكن يعترض هذه الناحية من العمل صعوبات عديدة غير التي تعترض كتابة التاريخ . ان يتطلب للحصول على هذه المعلومات الضرورية استقصاءات جمة وجهودا قوية . الا ان كل هذا لم يفلح من عزمي . فان عملي المتواصل ووسائل الاستعلامات التي كنت احصل عليها يوميا بواسطة مناصبي والاعمال الخاصة التي كنت اقوم بها في خدمة الباب العالي مباشرة وعلاقاتي الشخصية مع كبار موظفي الدولة ان كل هذه العوامل جعلت مؤلفي يتجاوز حد الاتقان الذي كنت اتصوره له .

" فقد اخذت من جهة استعلم عن كل فرع ادوله واخذت من جهة ثانية ادرس في الكتب الاصلية عقائد وقوانين الاسلام العامة . وكان ذلك بمعونة عالم ديني وفقهه اشتهدا بثقاقتهم ولديما اعتبار جليل في البلاد .

" فلقد حصلت على كل الدقائق المتعلقة بإدارة الدولة من الوزراء والموظفين وكذلك من كل رؤساء ~~كاتب~~ ^{مختلفة} الدوائر الحكومية . فقد اولوني كل هؤلاء عظيمهم ولفقتهم واطلعتهم حتى على منتخبات سجلاتهم الخاصة وهي الان بين يدي ومرجعي في التحقيق عن كل شيء أدونه . لان الحقيقة والاتقان الصحيح يؤلفان في نظري قيمة هذا الكتاب الرئيسية الذي هو ثمرة جهود ~~مطال~~ عشرين سنة . وكان سرورهم عظيما من عملي هذا في ترجمة تواريخهم لاعطاء أوروبا فكرة صحيحة عن الدولة العثمانية . وظلوا يولوني عظيمهم ويشرفوني به حتى يوم سفرى من الاستانة وكان ذلك في التاسع من شهر اذار عام ١٢٨٤ .

" وكانت معلوماتي المتعلقة بالسراى والسلطان وقصره مستقاة من موظفي البلاط انفسهم . وأنا مدين للنساء والحاربات المنتهين للسراى بحصولي على دقائق معلوماتي عن السلطانات والخواتين والحرم السلطاني . ان من المعلوم ان كثيرات منهن يتمكن من الحصول على حريتهن بعد خدمة عدة اعوام وبعدها ينادرن القصر ويقدمن كزوجات لموظفي البلاط الذين يجدون .

دائما في طلب ايديهم آملين انتزعة بواسطته من لانيون يتمتعن بعنف السلطانات .
 " ولقد تمكنا بداسة النساء والمولفين المسيحيين الذين بمكدهم الوصول بسهولة الى
 اميرات وسلطانات القصر عندما يكن خارج السراى من تصحيح الافكار الخاطئة التي كانت
 عندي عما يتعلق بالسلطانات وحرهم السلطان .

" وانني سوف ابحث في القانون الديني بكامله وكل ما يتعلق بتطبيقه واعماله مع
 وصف البلاد واسراى والولايات والمالية والحالة العسكرية والقوى البرية والبحرية والقضاة
 وحياة السلطان الخاصة والمراسيم المتعلقة باداب ابيرو وكما يتعلق بالسلطانات والحرهم .
 ونلاحظ من هذا ان الكتاب ينقسم بصورة عامة الى قسمين كبيرين تميزين ومنفصلين تمام
 الانفصال **ص** بعضهم الاول يتناول ناحية الشرع اوسري وانناي يبحث في اداره
 السلطنة العثمانية . **ع** **ع**

هذا ما قاله دوسون عن نفسه اما حكم الكتاب ~~بالحكم~~ الذين نقلوا عنه فان
 معلومهم صحيح على مدح مؤلفه وعلى ادخه القسم الاول ~~من~~ الذي يؤلف اكثر من ثلاثة
 ارباع مادته . اما القسم الثاني فان الحكم عليه كما اعرف حتى الان قليل لان المؤرخين كما
 ذكرت سابقا لم يعنوا بناحية نظم الحكم والادارة في الدولة العثمانية عدا " ليبير " Lybier
 الذي يبحث عن ذلك ولكن ~~مؤلف~~ عما يتعلق بعصر السلطان سليمان قلاو في القرن السادس عشر .
 لهذا فان كتاب دوسون لا يمكن ان يكون مرجعا للمؤرخ " ليبير " Lybier الا ان هذا
 الأخير يقول : ان دوسون وفون هامر فعلا النظام الديني للسلطنة العثمانية ولكنه ما لم يعرفنا
 النظام الادارى وقد توصل Rauke الذي استعان بالمؤلفات الطليانية اكثر من على
 قدمه . **و** **اكثر اطلوفا** ~~لكن~~ من Rauke ايضا هو المؤرخ Zinkeisen الذي استعان بالمؤلفات
 الطليانية اكثر من الاول " لاننا حالفنا نا اعمية معرفة اللانة الطليانية لمعرفة التاريخ العثماني
 لان خبراء ايندوتية هم اول من اتصل بالدولة العثمانية وفهموا حالتها الداخلية والخارجية .
 ومؤلفاتهم عديدة وقيمة كما يشهد على ذلك كبار المؤرخين .

نلاحظ من حكم " ليبير " Lybier عن دوسون ان القسم الاول من مؤلف هذا الاخير
 هو افضل من القسم الثاني . اننا يجب علينا ان نهضم حقه وان نخفف من قيمة واهمية بحثه

ونقول بأنه كان بإمكانه أن يجد بناء وسفاحيل تاريخ النظام الإداري للسلطنة العثمانية لإثباته على الوثائق اللبانية، لكنه لم يفعل وأراد فقط إهداء سورة عن النظام الإداري والبلاط العثماني كما نعلم في عهده . أن دوسون ذكر بإيجاز بعض نواحي النظام الإداري، ولكن هذا يعني بأنه السطح قدم بحثه أو جهده . ويجب علينا أن نقدر الظروف التي كان دوسون فيها يبحث لإثباته فضل الأهم على المقدم كما رأاه هو في زمانه . فمثلا كان لمدرسة البلاط أهمية كبرى في القرن السادس عشر أي في العصر الذي كتب عنه "ليبير" . وقد خفت أهميتها في القرن الثامن عشر أي زمن دوسون لهذا فإنه من المحتمل أنه لم يسل البحث فيها بسبب ذلك .

المقدمة

نظم الحكم والإدارة في السلطنة العثمانية قبل عصر دوسون

نظم الحكم والإدارة في السلطنة العثمانية في عهد سليمان القانوني (١)

لقد اهتم السورسون على أن السلطنة العثمانية وصلت في عصر السلطان سليمان إلى ذروة مجدها وأعلى درجات تكامل قوتها . ولهذا فالمعروف إدارة الحكم في ذلك الوقت لا يمكن الاقتصاد فيها . حيث كانت إمدادات الإحصاءات والتكلم عن المؤلفين ووضع لائحة باسماء الولايات وأعمالها . أن معرفة عام مهم الأفكار السياسية التي كانت حياة السلطنة هو ضروري وأساسي . وبما أن أكثر هذه الأفكار قديمة ومعزوبة ولا ينبغي مختلفه فاصبح من اللازم انشغل على هذه الأفكار تاريخيا من أجل أن نعرف من أين أتت هذه الأفكار . ومن هنا ندرج بأنه ليس بكان الرجوع إلى الزمن الذي ظهر فيه السلطنة العثمانية إلى ميز الوجود لأن الاتراك الذين كانوا يؤلفون قلب هذه الدولة المسلمين والمسيحيين الذين التقوا حول القوات من مختلف البلاد الدانية والقائمة كما هؤلاء كانوا يحطون معهم ولكن بصورة خشنة أكثر من الأفكار التي كانت الإدارة الحكومية . لهذا يحب أن نرجع من جديد إلى التراث إلى البيزنطيين والساسانيين والأتراك المسلمين

(١) استند على كتاب "ليبير" (Liby) من مؤلفه خاصة في كتابة هذه الناحية من البحث .

من العجم والبلاد العربية والى العراق من اواسط اسيا حتى ان كثيرا من هذه الافكار يمكن ارجاعها الى الصين والتتر وبارت وروما وبابل ومصر (١)

بعد ان واجهت القبائل البربرية امبراطورية الصين مدة من الزمن بدأت هذه بدورها في النصف الثاني من القرن الثالث قبل الميلاد تقوم بمحركات على كل البلاد الممتدة من سور الصين حتى بحر قزوين فخفضت كل هذه الدرجات لها وارسلت جيوشها وحكامها وسانت جميع تلك البلاد . الا ان امراها ضعفت في القرن الثالث للميلاد ولكن ما لبثت ان قويت عند اتساع الحكومة اسياسية وتقدمتها نحو الشرق وتمكنت من انقووف بوجه توسعهم^{الصين} وسيطرت على بلاد اواسط اسيا فخفضت لـ القبائل التترية في القرن السابع والثامن والتاسع فتعلمت هذه لكثكبا القبائل منها النظام والترتيب وغير ذلك من الاعمال والتعاليم الادارية .

ان كلمة تتر تطلق على الشعوب والقبائل السانكة بين الصين وبحر قزوين . وقد انقسموا منذ القرن الوسطى الى فرعين كبيرين : المنغول والعراق . وهذا التقسيم ينطبق بصورة عامة الى مدى كثرة او قلة شبههم بالصينيين والى مدى بعدهم او قربهم من بلاد الصين . وهناك كثير من القبائل التي يمكن تحييق هذا الحكم عليها . فالقبيلة التي يشبه اهلها الصينيين هي منغولية والقبيلة التي تختلف كثيرا عن الصينيين هي تركية . فالشعوب التركية هي اذا تلك التي دخل في دمها اكبر كمية من الدم القوقازي . كان مركزها الاعلى في بلاد منغوليا ولكنها في العصور التاريخية سكنت البادية الممتدة ما بين صحراء عوبيا والقوقاز متصلة باشباهها القبائل المنغولية من الشرق بالايرائيين في الجنوب وبالسلافوس في الغرب .

ان قسما كبيرا من الافكار والعادات التي كانت للعشائيين في القرن السادس عشر جاءهم عن طريق اجدادهم التتر . من ذلك لغتهم التركية في تركيبها ونطقها ويقاطعها وقواعدها وعدد كبير من الكلمات التي تتعلق بالحياة . واللغة التركية الاصلية هي بالنسبة للعثمانيين كما هي اللغة الانحليوسكسونية لانكليز وتكون اللغة العجمية لتلك كما هي اليونانية لهذه والعربية لتلك كما هي اللاتينية لهذه . وسبب ذلك ان العشائيين كانوا يقبلون الشيء الغريب كما ياخذون اسمه ايضا بدون اجراء او تحريف فيه تقريبا . ومن هذه العادات العثمانية الراجعة لاصل تترى محبتهم للخيول .

(١) كتاب Lybier ، The Govt. of the Ottoman Empire in the Time of
"Suleiman the Magnificent" ص (٢)

والحرب والفتنة من أراء صائبة في الطرق والوسائل التي تمكنهم من الوصول الى هدفهم هذا من قبل
فأمر للحاكم والسياسة أضاف الى كل ذلك حبهم للقديم والحياة الحرة . كما عندهم مثل التتر
نوع من بلادة الذهن وعدم الابتكار والصبر على المكروه .

انتم الايرانيين مؤسس الدولة العثمانية في اواسط اسيا الصغرى مع قبائله المؤلفة من
اربع شتات واربعة عائله وقد كان على راسها . وكان يجد البذر التي سكتها جهة الشرق دولة
السلاجقة الاتراك وحده العرب ابراطورية البيزنطية وكانت كلتاها على درجة عالية من المدنية
والترقي فكان من الطبيعي على القبائل التركية البدوية ان تتأثر منهما وتأخذ عنهما من جراء احتكاكها
بهما . وبعد ان اقتبست عنهما اشياء كثيرة تتعلق بالحياة المنزلية والاجتماعية والادبية والفنية
والادارية . فاستمدت من ذلك في انشاء دولتها دولة قوية بدلت سلطنة اعلی شايوب ومملوكه عديده وان
سرعة تقدمهم هذا وهم من اصل حقير وضمن ضايعات غير جيدة وانشائهم دولة قوية هو من اعرب
الاشياء في التاريخ كما يقول " لير " وقد مرر قائم بعد مضي تزيين بيت من تاريخ
العثمانيين فكما ان توحيد كل المدن التي على البحر المتوسط ضمن ابراطورية واحدة
وهذه هي اخر مرة يحصل فيها مثل هذا الامر .

لقد اخذ العثمانيون عن السلاجقة اشياء كثيرة . ربما ان الفريقين احتكاك بالعباسيين فانه
من الصعب تعيين ما اخذوه العثمانيون عن العباسيين وما اخذوه عن السلاجقة . انما يمكن
القول بان الاتراك السلاجقة كانوا كواسطة توفيق بين الاساليب والنظم والسادات التركية القديمة
وبين الاساليب والادام العجمية الاسلاميه . عدا ذلك فقد اخذ العثمانيون عنهم مستوجباتهم
الخاصة التي هي اثر اختيارهم هذا من سادات الدفاتر وقدم الخايم في تشيد الابنية
الخاصة مثل القناتير والذخائر والساحد . وقد كان انشاء السلاجقة عدة طرق دينية مهمة
اقتبسها عنهم العثمانيون واحتلت مركزها في حياتهم الداخلية .

والاكرانيون ما اقتبسوا العثمانيون عن العرب وعن العباسيين بصورة خاصة . وكان يجب
ان اتكلم عن تأثير البيزنطيين عليهم ولكن سوف ارجي ذلك الى الان لعلمنا بان الاستمداد من
العباسيين هو متم ما اخذوه عن السلاجقة من العلم بان هؤلاء ايضا قد تأثروا بالعباسيين واخذوا
عنهم اشياء كثيرة . ولقد ذكرت اننا ليس من السهل تعيين دقائق الاشياء التي اخذوها عن كل
الفريقين . لهذا فانا نكتفي بايراد ما تأثروا به من العباسيين .

عبارة السلاطين لذلك الذين يستنفون دينا غير دين الدولة ان يؤلفوا لهم نيلسا وقوانين خاصة ببيرون . وقد ذهب فون عامر الى ابعاد من ذلك ان قال : " ان كل التحريات التي حرت في اقدم قوانين الدولة الشرقية ~~محو~~ كاللتنظيمات والديساتير الملكية ونحو وراسيم احتفالات البار وترتيب المناصب ترجع كلها الى ملته الفرس الاقدمين ~~التي~~ وقد تدرت منها ~~الى~~ الى الخلفاء العرب حكام ثلاث قارات والى الاتراك السلاجقة الذين قاموا على انقاض الدولة العربية في اسيا والى البزنطيين الذين قاموا على انقضاء الدولة الرومانية في اوروبا . ومنهم جميعا تسربت كل هذه العوامل الى العثمانيين الذين خلقوا السلاجقة والبزنطيين ."

وقد اخذ المسلمون عن الفرس الساسانيين ~~نظام~~ سن الضرائب على الاراضي وتقسيمها الى قسمين قسم يدفع الضرائب العشرية وقسم يدفع الحزبة . وهذه الطريقة اخذها ~~بعضهم~~ العثمانيين عن المسلمين بعد ان اعتنقوا ديانتهم . وقد اثر الفرس على العثمانيين ايضا في الاسلوب الاقتصادي . ثم في العصر العباسي اخذ الفرس والترك يحتلون المناصب الهامة في الادارة المدنية والعسكرية وبذلك احتكروا مع بعضهم واقتربوا اكثر من ذي قبل فكان من الطبيعي على الفرس ان يؤثروا عليهم في نواح عديدة ولا سيما انهم يحملون ثقافة اعلى ومدنية ارقى . كما انهم اثروا ايضا في الناحية الادبية والشعرية وضافوا الى اللغة التركية اسما عديدة وافكارا كثيرة .

ان الحادث الخطير الهام في حياة الدولة العثمانية هو استيلاؤها ووراثةا لبلاد ونظم وقوانين اكبر امبراطوريتين شرقيتين في القرون انوسى وهما امبراطورية العربية والامبراطورية البزنطية فاستمدوا منها اشياء كثيرة من معارفهم ونظم حكمهم وعاداتهم وطقوسهم .

ان النظام الديني الذي اخذه العثمانيون عن العرب كان قد ظهر وانتشر في البلاد الاسامية ولم يكن يحتاج العثمانيون الا الى التعرف عليه ونقله الى بلادهم . اما النظام الادارى والحربي الذي يمكن ان يسموه حسب ذوقهم فانهم اخذوه عن البزنطيين . ~~لهم~~ اخذوا عنهم التفاصيل الادارية والترتيبات الحكومية المتعلقة بالسلطة نفسها وبالولايات . واقتبسوا عنهم حفلات البلاط والابدية والعظيمة فان سلاح ونظم ~~مجلس~~ فرقة الحرس ^{نظام} مثل التي يسمى رجالها *Fékes* وهم من حاملي الرماح وعددهم مئة تقريبا كان سلاحهم وترتيبهم ولباسهم ~~نفسه~~ ^{نفسه} عن حرس الملوك البزنطيين . كما اخذوا عنهم ايضا اصول التمثيل الخارجي كما كان عناء

ايضا تأثير في العادات ، الاعمال الا انها بصورة اقل . ولعل الاسلوب الاقطاعي العثماني اخذ
 شكله النهائي عن البنزطيين ولعلمهم اخذوا عنهم ايضا حبههم الرائد للرواتب والهدايا .
 لقد اهتم المؤرخون في عصرنا هذا بمدرسة البلاط التي كانت تقوم بتربية وتنشئة النشبان
 وتربيتهم للقيام بمهامهم في مختلف اقسام الدولة . تذكر Halide Edib في مقدمة كتاب "Beyond
 the Sublime Porte" لمؤلفه Bernette Miller ان ميلر تقول عن اهمية هذه المدرسة وتذكر ان محمد الثاني هو الذي بناها ولكنه لما بناها ووضع برنامجها لم يكن متأثرا
 بالارسطو بنزطي او اسلامي . فتعارضها Halide Edib وتقول : " بماذا اذا تأثر عندما
 وضع البرنامج ————— السياسي التربوي لهذه المدرسة ؟ هناك مصادر عن حياة
 السلطان تقول انه كان عالما محبا للعلم واسع الاطلاع ويعرف اللغات اليونانية والفارسية
 واللاتينية . وفوق كل هذا وما يدعو للعجب انه كان يريد ان يحتفل بالعلماء البنزطيين
 وكان محبا للفلسفة اليونانية . وان هذه الفكرة التي ترمي الى اعداد فئة خاصة للحكم ترجع
 الى افلاطون وانه لمن المفيد حقا درس هذه المسألة وهي كيف ان العثمانيين وسعوا واطعموا
 الى حين الوجود البحر الطوق الاستبدادية صلبة مناعة من تعاليم وارا افلاطون . انه لمن
 سخريات القدر ان يكون افلاطون الذي اثر كثيرا على الاتراك بشخص جزل الدين الرومي في
 النواحي الفلسفية والفكرية وحرية الراي يعود ايضا وبعد عدة قرون ليؤحي لمحمد الثاني خلق
 مثل هذه الالامة الاستبدادية السياسية الا وهي مدرسة البلاط . الا ان النظام العثماني
 لم يكن ارستقراطيا كما كان افلاطون يريد ان يكون . لان العثمانيين كانوا يعدون العبيد
 ليصبحوا وزراء وحكاما للدولة . ولكن افلاطون يوافق على طيلة مدة تعليمهم والاعتناء باجسامهم
 وعقلهم ، والتفريق بين الجيد وبين الاحكام بالرغم من ان هذا لم يكن تاما . والتحرر النسبي
 من الروابط العائلية والمرتبة الدقيقة المفروضة على الفرد وخصوصا مراقبة العقلاء لرجال الحكومة .
 انه لا يمكن قط معرفة ما اذا كان قد عرف مؤسسو النظام العثماني كتب افلاطون انما يظهر
 انهم اقتربوا من تعاليمه كما يمكن القول بانهم تخشعوا في بعض النواحي وذلك بعدم
 التقيد بمعرفة نسب رجال الدولة وجعل نظامهم قادرا على ادارة امراضية واسعة .
 ان تمنا كبيرا من الشعب العثماني يرجع الى اصل مسيحي . لأن عوامل شتى
 كانت تضطر سكان اسيا الصغرى و جنوب اوربا الى اعتناق الديانة الاسلامية عندما افتتح العثمانيون

يأدهم . ويمكن القول بان هؤلاء المسيحيين من بزنطيين وبلغار ورومان وبيانيين وعربيين
 الف . . . من الذين املوا او من الذين بقوا على ديانتهم الاسلامية قد اثروا على ثقافة وادبهم
 وادارتهم ^{العثمانية} . معاداة المشايخين وذلك انه منذ معركة Irmak (١٢٢٢) ق.م. حتى
 ١٥٧١ كان اسيا الصغرى قسما من اوروبا ثم اصبحت بعد محي الاثراك
 قلب وركز السلطنة العثمانية . لهذا بحاجة الى التعرض في معرفة القور التاريخية لعلم انه
 غير ممكن ان تحول في جنوب اوروبا وفي اسيا الصغرى تعاليم اربعة عشر قرنا ا.م. في مدة
 خمسة فزون اقل . ويمكن ان تحول حتى الى الابد . لذلك فان العثمانيين قد تأثروا بهذه
 التعاليم من فتحهم اسيا الصغرى وجنوب اوروبا . ونحن اذا نظرنا الى المبراهيمية العثمانية
 كدولة شرقية فقط نكون قد اخطانا في قراء وفهم التاريخ واقطعنا في معرفة الطبيعة البشرية . لقد
 كانت راد السلطنة العثمانية قائمة في الشرق واسرب لذلك كان شعبها وكذلك هي ثقافتها
 وادارتها الحكومية . يقول ليبير ^{المسلم} بان هناك تجانسا بين المسيحية والاسلام ان
 كلاهما مشتقة من المعتقد القديم والخلع الرئيسي هو في طبيعة السيد المسيح . وقد حكم ^{العثمانيون}
 العثمانيون على كبر من الشعوب المسيحية ^{البيانية} اثنتين من رحايات دولتهم يتحدرون من اصل مسيحي
 فيمكننا القول بان قسما من دينيتهم ومن تعليم الادارية جاءت عن طريق النسخ من كما جاءت
 عن طريق المسلمين .

ان السلطنة العثمانية هي حكومة مطلقة محصورة بشخص واحد هو السلطان . وهي حكومة
 عسكرية قبل كل شيء ، يدعمها الجيش وان جميع وظائفها عدا البعد منهم هم من رجال الدين ولكل
 رؤساء الجيش اعمار وضارب في الدولة . فالعثمانيون هم مثل اثراك واسط اسيا ولدوا في الحرب
 واعدا للفتوحات . وكانت الحروب في الامم تحت المرتبة الاولى من اعمالهم ويكون العمل الثاني
 ادارة الدولة والحكم . ثم بعد فتح القسطنطينية تحولت الاعمية للثاني ان كانت الضرورة تقضي
 بادارة حكم بزر واسعة . انما حتى زمن السلطان سليمان كان هذان العملان على درجة متشابهة
 في القوة . فكان كل رجال الدولة يتبعون السلطان الى الحرب وكان الجيش والحكومة شيئا واحدا .
 للسلطان سلطة مطلقة على وظيفي الدولة وهم يسبون كعبيد له يتصرف بحياتهم وانشغالهم
 /املاكهم كما يشاء وليس عليهم اذ المسألة . ان الشرع يحد من سلطته المطلقة ^{الكل} ويمكن
 اعتباره كدستور ثابت لا يتغير انما يمكن للسلطان بمعونة وراه رجال الدين ان ينصر المراسيم

أو القوانين في بعض النواحي التي لم يرد ذكرها في الشرع . وهكذا فالسلطان مقيد بهذا الدستور الثابت كما أنه مقيد بالقوانين والمراسيم وبعادات شعب متحفظ جدا وحرير ومتعلق بشرائه . فالسلطان والحالة هذه لا يتمكن من ادخار بحرية إلا في بعض النواحي فقط والتي لا يمكن معرفتها إذ تختلف حسب قوة وضعف السلطان وحسب المناسبات والظروف .

لقد قلت بأنه يمكن للسلطان أن ينصر المراسيم والقوانين التي لم يذكرها الشرع ولكنه لا يمكنه أن يغير فيه شيئا . أن التشريع منوع طالما أن الله بواسطة النبي محمد قد نصر القوانين بصورة نهائية . وهكذا فالقوانين لا تعتبر ~~كأنها~~ كأي شئ من أفعال رجال الدولة وفكرى الأمة بل ^{تعتبر} نازلة من فوق من عند الله .

لقد كان يعتقد بأن الشرع كان كافيا لكل أعمال الدولة ولهذا ما لبث أن أصبح دستورا سياسيا ^{كذلك} لا يراعى غير ممكن تطبيقه وهذا يرجع إلى جبين وهما توسع الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي وله أحوال ومعضلات غير متضمنة في الشرع . والاعتقاد بأن الشرع هو من عند الله . هذا ما يجعل أمر تطبيقه بمنتهى الصعوبة . ولقد أصبح من الضرورة على السلاطين وضع قوانين توافق المسائل الجديدة المستحدثة وتكون غير مخالفة للشرع . ومن هذا نلاحظ بأن السبب في السلطة العثمانية يخضع الآن للشرع والقوانين التي يصنعها السلطان وللإعدادات وللعرف، أي إرادة السلطان الحاكم . ولكن الشرع هو أهمها إذ أنه فوق سلطة السلطان ولا يمكنه إجراء تغيير فيه . وعندما يكون العرف مكتوبا يصبح قانونا ويلغى كل القوانين والاعدادات التي تناقضه .

إن هذه القوانين التي يصدرها السلطان بعد أخذ رأي رجال الدين فيها كانت تسمى فرائد أو أوامر سلطانية إلا أنهم أطلقوا عليها من الوقت كلمة " قانون " البنظية .

وهكذا فالشرع يوافق عند العربيين القوانين الدينية . والقوانين توافق عندهم القوانين المدنية . إن هذه القوانين العثمانية تبعد بصورة عامة في الشؤون العسكرية والمالية والإقطاعية والجزائية والأمن والمراسيم الاحتفالات . ومعنى كلمة موحدة في الشرع عدا الإقطاعية والمراسيم . ولهذا فالسلطان يملك السلطة عليها ويمكنه إجراء التعديلات التي يريدونها فيها .

إنه يمكن القول من الوجهة النظرية وإذا صح التعبير من الوحدة الدستورية أن سلطة السلطان سليمان أو صلاحاته كانت نفس صلاحات خلفاء المسلمين القدماء . وباعتباره .

خليفة فهو الرئيس الأعلى للأمة يحق له على يد المولى القوي ويدافع عن العقيدة الإسلامية .
وعلى كل الرعايا المسلمين الصالحين الذين يطيعون أسلته ان يخضعوا له خضوعا تاما بعد
الله الرسل . كما يديره أهل الذمة أيضا من اهلهم الشرعي عنه الله لهم كعقاب لهم على
خطاياهم .

بمقتضى القانون العرفي ليس حكومتهم بصورة خيطة قائمة على أربعة عوايد : ١ - الوزراء
٢ - قضاة العسكر ٣ - الدفترداريون اى وكلاء الخزانة ٤ - التمشنجي . كما يجب
القول بانهم ليس لهم كسب نفس العمة اوان تكون اعباء اعدال متعالة . فالأهمية الكبرى
هي لوزراء وعلى رأسهم الصدر الأعظم .

تقلد الصدر الأعظم كل ما يخص السلطان تقريبا ان يستير كخائب او يكمل له يشمله في
رئاسة الادارة المدنية العسكرية وبعد كثير للقضاة . ولم يكن للصدر العظام سلطة قوية في
الامر والامر في عهد اهل البيت اثنان الذين كانوا يقومون بكل الاعمال يرأسون كل
من الدولة ولا يتركون الصدور العظام يتصرفون كما يشاؤون وتشاء اهلهم . ولكن مع الزمن
وبعد ان هذا الامر في البلاد واستتب الامن فيها ولم يعد هناك فتوحات وحروب انزوى
السلطان في دورهم يتمتعون بذا انهم وله وهم وتركوا ادارة الدولة للصدور العظام الذين اصبحت
لهم بمقتضى ذلك ما حيا واسع نفوذ عظيم في مقدرات السلطنة . ومن ما حيا الصدر الاعظم
ببذاته كما ذكرنا في المجلد الثاني من فون هامر : انه يحمل الماعر السلطاني ويمكنه عقد
ديوان خاص له في داره يكون بمثابة محكمة تدل . ويحرسه الجاوش باشي مع رجاله من
داره حتى السراي . ويوزعه قضاة العسكر ووكلاء الخزانة كل اربعة كما يزوره اغا الانكشارية
مرة كل اسبوع واربعة مرة كل شهر . وله الحق في اعيان بدوريات تفتيشية في العاصمة ومراقبة
الاسواق محليا يتاحي الشائعات والامور الانكشارية يحاكم السبحة . ويأتي الوزراء والقضاة وقواد
الجيش وبنية رجال الدولة اليه في ايام اعيان لتقديم تدانهم له . الخ

لم يكن لالدر العظم مثل عهد السلطان سليمان أهمية كبرى انما بدأت تظهر في زمانه
واصبح لهم نفوذ عظيم في الدولة ويمكن القول بان العداوة وصلت في ذلك الزمن الى اوج مجدها .
وكان ابراهيم اول صدر اعظم للسلطان سليمان الذي اشتد بحسن تدبيره ومهارته في ادارة
امور الدولة العسكرية والمدنية . وفي ابتداء حملة سنة ١٥٢٩ اعطاه السلطان سليمان صلاحية
مسر عسكر اى قائد عام للجيش . وهذا ما بضع النظام الاداري والديني والامة العثمانية

وكل رعاية السلطنة تحت امرته . وذهب ابراهيم الى ابعد من ذلك فقد اضاف لقب سلطان على لقب سرعسكر الذي كان يحمله الا ان سليمان لم يكن سلطانا ضعيف الهمة فانه لما رأى ان ابراهيم ذهب الى ابعد مما يجب عليه امر بقتله . ثم جاء بعده الصدر الاعظم رستم الذي تزوج ابنة السلطان واشتهر كمكلفه بقدرته الفائقة في الحكم والادارة وصنع المال ، وفي اخر حكم سليمان الذي دام اربعين سنة وبعد ان خف تاثير رستم "وروكمبلانا" عليه وصل الى منصب الصدرة واحد من اقدر رجال السياسة العثمانيين وعمو محمد العقلي . كما كان يتراش النظام الديني واحد من اشهر رجال الدين وهو ابوالسعود . وقد اوصل هذان الاثنان النظامين الاداري والديني الى ذروة عظمتهم كما اوصلا السلطنة الى اوج مجدها وذلك مدة ثلاثين سنة كان نصفها بعد وفاة السلطان سليمان .

انما يجب ان نلاحظ ان اخطارا عديدة تحيط بهذا المنصب لان الصدر الاعظم مع كل صلاحياته ونفوذه وسطوته هو عبد للسلطان يمكن لهذا الاخير ان يقضي عليه ويستغني امواله في اي وقت اراد وكفىما شاء . فمن المقتي شخم الذين احتلوا هذا المنصب مدة الخمس مئة سنة قتل منهم عشرون عند غزولهم .

ياتي بعد الصدر الاعظم الوزراء الذين يقومون بادارة الدولة وتسيير الدوائر وهم يعتبرون كروساء شوري للسلطان في الشؤون السلعية والحربية والادارية والعلمية . وهم يتناقشون ويعرضون على بساط البحث في الديوان كل الامور الهامة . ويعطون كلهم رتبة الباشوية وهم غير مسؤولين عن اعمالهم كمستشارين . ولم يكن عددهم محدودا انما كانوا اربعة في عهد السلطان سليمان ولهم واردات مباشرة وغير مباشرة . ويسكنون قصورا شبيهة بقصر السلطان ويقلدونه في كل شيء فيما يتعلق بامتناء الحريم والخدم والخصيان وفي مظاهر الابهة والمظنة .

لم يكن للوزراء في بادىء الامر اي في زمن اول السلاطين العثمانيين اهمية كبرى كما كان الحال ايضا مع الصدور العظام . وكلم من الوزراء والصدور العظام من لا قوا حتفهم لمجرد عدم الموافقة مع السلطان في امر سياسي ما . لقد كان وزراء السلطان سليم الاول

لا يبدون اراهم وقد امتنعوا عن ذلك منذ ان ظهر بانه امر بقطع رؤوس سبعة من وزرائه لمخالفتهم في ارائه . وقيل بانه لما خرج السلطان سليم من مصر بعد ان افتتحها قال للصدر الاعظم يونس باشا الذي كان يسير بجانبه لقد اصبحت بلاد مصر الآن وراميا اي انه اصبحت بامن منها فلم يتمالك الصدر الاعظم الذي لم يكن من رايه فتح مصر ان اجاب : " ما هي الفائدة التي حصلنا عليها سوى خسارة نصف جيوشنا " . فلم يجبه السلطان انما امر رجاله باتسار منه بقطع راسه في الحال (١) فاذا كان هذا هو حال الصدر الاعظم ثاني شخصية في السلطنة فما تكون اذا حالة الوزراء في ذلك الوقت ؟ ولكن صلاحياتهم وصلاحيات الصدر الاعظم ما لبفت ان اخذت تعظم شيئا فشيئا بعد ان ضعفت شخصية السلاطين الذين اخلدوا الى الدعة والسكنة وانكسروا في زوايا الكسل والملذات .

(١) Lord Eversley " The Turkish Empire " ص (١١٤)

حالة السلاطين بعد السلطان سليمان

كان ابناء مستحكما بين دول أوروبا بصورة دائمة جعلتها تتعاضد عن خطر العثمانيين في تهديد استقلالها وتقوية مكانتها . وكمن من هذه الدول ~~من~~ كانت تفضل الذل والاستعباد على ابدى الاتراك المسلمين من الخضوع لدولة اخرى سبحة اوروبية محاورة . ويشير التاريخ الى حوادث عديدة كانت فيها ابناء الدول الأوروبية تحالف العثمانيين ضد غيرها من الدول المحاورة . ويمكن القول بأنه في اول عهد السلطنة وفي زمن اول السلاطين المشهورين لم يكن تحالف دول أوروبا (لو حصل فعلا) في وجه العثمانيين ليؤثر مئلا كثيرا امام التقدم العثماني لئلا بعد ان اقل نجم المذغلين وضعفت شخصياتهم وبعد ان انزوا في قصورهم يستمعون بمزمارهم وهمومهم كان يمكن لدول أوروبا اذا تحالفت واخلصت النية بعضها لبعض ان تصل الى نتائج باهرة وكان بقدرها ان تقضي على امبراطورية العثمانية وتجعل بزوالها من الوجود قبل زمن او ثلاثة مائة سنة ان تعيش ولكن الضم والحسد والخوف بين تلك الدول كان من حظ العثمانيين وكان سببا مهما في دوام سلطانهم .

بعد عهد السلطان سليمان الذي وصلت اليه السلطة العثمانية الى اروة عظمتها وتوسعتها امتلأ العرش سلاطين ضعاف عدا القليل منهم وحد وانفسهم غير قادرين على اشافة شيء من الملكات على اراضي الدولة او القيام بفتوحات جديدة او تعديل عادات الدول الأوروبية التي اخذت تداهم مستلكاتهم فانقطعوا الى نساءهم وبأهمهم في قصورهم وكان سليم الثاني اول من دمن هذا العهد الحديدا او انزواء داخل القصر السلطاني والعيش في عزلة وعدو . فكانت النتيجة ان املوا ادارة امور الدولة وتركوا كل شيء للصدر العظام الذين اخذ نفوذهم يزداد واصبحت مقدرات الدولة بين ايديهم . ولقد ظهر منهم اناس اشتهروا بالقدره وسداد الرأي والحزم والادارة امثال الصدر العظام من عائلتي الصقلي وكوبرللي . الا ان كثيرين غيرهم كانوا غير اهل لحمل اعباء ادارة امبراطورية واسعة مؤلفة من شعوب مختلفة . وكان من سوء حظ السلطنة ان انذرت دول أوروبا تقوى وتتقدم في معارج الرقي والتقدم والعلوم والفنون واخذت الى حد ما تتحد وتجاوب القوى العثمانية بقور مماثلة ان لم يكن ^{يكن} احيانا متفوقة عليها فكان المستقبل لا يبشر ^{مبيرا} خيرا للدولة العلية ، ^{مبيرا} ذاك كانت تسير القهقري بينا أوروبا تتقدم بخطى ~~واسعة~~ واسعة فكان انحطاط السلطنة العثمانية لهذا السبب مردوجا وتأثيره مضاعفا .

لم يطالعنا دوسون عن حالة المسلمين العثمانيين في مصر ولم يتكلم الى ان حردما كانوا يباشرون ادارة اعمال الدولة بينا نروا انه يصح بدقة ومهارة كفاءة لعترة السلطان الجديد العرش وما يصحب ذلك من مراسيم واحتفالات وعن زيارته المسجدين للمدينة والشكايات الانكسارية وعن بعضته الداخلية ولعمامة وحاشيته وخدمه ودرستنهاته وعن مدخوله الخ . . . هذا ما يمكن ان نواخذ من كتاب دوسون عليه خصوصا وأنه يسمى كتابه هذا " تاريخ الامبراطورية العثمانية " ولكننا اذا عالجنا هذه المسألة من طرفها الثاني نرى ان لدوسون بعض العذر في ذلك ان لم نقل كله . فانه كان بإمكانه وهو الرجل السياسي وسفير دولة اسوج في العاصمة العثمانية والمطلع على اخبار الدولة والتفصيل كما يذكره ونفهم بكيار رجال الدولة وعلماء المؤلفين السياسيين والمدنيين كان بإمكانه ان يتكلم عن اعمال السلطان الادارية ومدى صلاحياته في الدولة وما يقوم من اعمال سياسية . لقد كان بإمكانه ان يفعل ذلك وهو اقدر واحق من غيره في هذا الباب . انما يمكن ان نعذره في تفسيره هذا ان كان هناك مقتصر اذا عرنا حالة الضعف التي كانت فيها الدولة آنئذ وحالة المسلمين الذين انزروا داخل تصورهم حتى انه لم يبق لهم من عمل سوى الاطلاع على التقارير التي يقدمها لهم الصدور العظام والتوقيع عليها . هذا من ناحية ومن ناحية ثانية الا يمكن القول بان دوسون اختار في ناحية من نواحي التاريخ العديدة فترى لسيره وصف اعمال السلاطين السياسية الحربية (على قلته في زمانه) واعتم هو بسرد اعمالهم الداخلية في بلاطهم وفي عاصمتهم وعلاقاتهم مع رجال الدولة ورجال الجيش ومع افراد عائلتهم . فما اكرم المؤرخين الذين عالجوا الناحية الاولى وما اقل من عالج الثانية .

حالة الجيش العثماني بعد عصر السلطان سليمان

فلما سابقا بان الدولة العثمانية هي دولة عسكرية قائمة على قوة سلاحها فاذا ما اعتسرى الحيوث ومن او ضعفت او اسيئت قيادتها وعمت الفوضى والاضطرابات بين افرادها وتوكلت وقوا دها فان مقير السلطنة يكون والحالة هذه في خطر ومعرض لاقيس التجارب وهذا ما حصل فعلا فاذا اطلعنا على حالة الجيش الداخلية ار ما هو متعلق بامر تدريبه وتزويده بالمومن والاعتدة والملايش وكيفية قيادته اذا اطلعنا على كل هذا نكون حصلنا على فكرة تامة تقريبا عن الجيش العثماني . ويمكن ان نحصل على هذه المعلومات من كتاب دوسون في الباب السابع الذي يصف فيه حالة

الجيش العثمانية والباب الثامن الذي يصف فيه حالة الاسطول . يصف دوسون في الباب السابع وصفا دقيقا ومطولا الفرق التي يتألف منها الجيش العثماني منذ زمن انشائها حتى عصره فيبحث عن الجيش المنظمة من الانكساري والجه جية والطوبجية والطوبعرجية وفرقتي الفرسان السباه والسلحدار وعن الجيش الحيرالمسعة اشار عساكر الولايات والعساكر المتطورة وتلك التي تعيش من الاقطاعات العسكرية * الزعامة والتميز * . يتكلم دوسون عن تاريخ كل واحدة منها واسباب تكوينها وعدد قوادعها وغباوعها وكيفية الانخراط فيها وعن انظمتها وقوانينها وادارتها المالية وطرق تموينها وعن البسة جنودها وقوادعها واسلحتها وعن المكافآت التي تمنح للمبشرين والعقوبات التي تنزل بمن يخالف الاوامر ويهرب من الخدمة الخ ان دوسون يصف كل هذا بدقة متناهية ولعله افضل من قام بعمل هذه الابحاث عن قوى السلطة العسكرية . فاذا اردنا ان نعرف هذه القوى وترتيبها وكيفية توجيهها وتسييرها . اذا اردنا ان نحصل على صورة حية لمحاولات الاداة الحربية الحبارة التي قضت على امبراطورية من اكبر الامبراطوريات التي عرفها التاريخ والتي القت الرعب في قلوب اقوى دول اوربا . تلك القوى العائلة التي قوضت العروش ورمت الحصار مرتين على مدينة فينا العظيمة . ان اردنا الاطلاع على اقسام وفروع الجيش التي بسطت سلطة العثمانيين على القارات الثلاث ومعركة حالة هذه الجيوش بعد عصر السلطان سليمان وبصورة خاصة في اواخر القرن الثامن عشر ليس لنا الا الرجوع الى كتاب دوسون حيث نجد فيه ما يشبع رغبنا ونير عقلنا وفهمنا حقيقة ناحية مهمة من تاريخ الامبراطورية العثمانية ظلت لدى اكبر الناس ناحية غامضة كانها اسطورة من اساطير الازمنة الغابرة .

الا ان هذا التقدير وهذا الاعجاب اللذين يتولدان في نفوسنا بآدى الامر نحو جيوش السلاطين العظام لا يلبث ان يزول شيئا فشيئا ويحل محلهما شعور الخيبة والاسف عندما نطلع على الهمم الذي دب فيها والخلل الذي اسببها بعد عصر السلطان سليمان وفي زمن سلاطين ضعاف لاحول لهم ولا قوة . فلم تعد الدولة تتقيد بالانظمة الصارمة المفروضة على من يريد الانضمام في الجيش . يقول دوسون * ان هذه الانظمة ظل يعمل بها مدة ثلاثة قرون تقريبا الا ان مناسبات خطيرة ادت الى مخالفتها في زمن مراد الثالث فان فلاقا في داخلية الدولة وفي خارجها وحربا غير موفقة اجبرت الخصال عثمان بانها

كما اجبرت من بعده الصدر الاعظم سنان باشا على قبول رجال ينتمون الى جميع طبقات الشعب ومن كل سكان الدولة على اختلاف جنسياتهم . وقد وصل الحال حتى الى تخنيذ المشردين والاشقياء . وفي وقتنا هذا لاتزال تقبل الدولة في الفرقة رجالا من جميع الاجناس والطبقات بالرغم من الممانعات الشديدة التي ابداءها كثير من السلاطين . وخصوصا السلطان احمد الثالث عام ١٧٢٧ * ثم اخذ عدد الجند يقرر ويكثر تبعا للطروف وتبعا للقلاقل التي يقوم بها من يسرح من الخدمة العسكرية بعد انتهاء الحرب . واخذ السلاطين شيئا فشيئا يستعيفون عن عداكر الانكسارية بجنود الولايات والجيوش الغير المنظمة التي لايتناول افرادها مرتبات الا وقت الحرب انما يقول دوسون بان هذه العملية التي كان يراد منها تهدئة الحالة الداخلية والتوفير على خزينة الدولة كانت نتيجتها سيئة على الدولة يشهد على ذلك حوادث الحرمين الاخيرين ضد روسيا * .

ان الفوضى وسوء الادارة كانا يعمان الجيش ولا يمكن هنا تعداد كل العوامل التي ادت الى انهيار نظام المنظمة العسكرية انما نذكر اهمها . لم يكن السلطان مثلامعرف عدد جنوده وعلى الاخر الانكسارية منهم ويمكن القول بان قائدهم نفسه كان يجهل عددهم ويرجع ذلك الى ان الضباط كانوا يقدمون اسما مستعارة لجنود وهميين غير داخلين في الجندية وذلك

...

حي يقبضوا رتباتهم ويأخذوها لانفسهم . وكذلك كان يفعل كبار رجال الدولة المدنيين والعسكريين في القضاة التي تمنحها الحكومة في الاعمال للجنود ويكون واردها كمكافآت لهم . فان رجال الدولة كانوا يحتلون بهذه القضاة لانفسهم او يورثونها . وقد تدهورت هذه المؤسسة العسكرية الى درجة جعلت السلطان مطلقا على اساس بدعجب في ابداء الحرب التي اعلنتها الدولة على روسيا سنة ١٧٦٨ من ان يحد في الجيش فقط عشرين الف فارس تريبا . واراد السلطان عبدالحميد بهدولج تنجزه ان يبيد الى انما انجيل نظامه القديم رايدر من اجر ذلك سنة ١٧٧٦ روبرا شديد المعجزة التي لم يثمر ميثاقا في الضفة التي قام بها كل الذين كانوا يتمتعون بتلك القضاة ان اخذوا الوزارة الى درجة جعلتها تتألف من السلطان ان يتخلى عن مشروعه .

وكانت الدولة نفسها لا تقم بواجبها في توفير ما يلزمها من امداد والعتاد . فاما التقدم الملايين لتكون جبر كافية ايضا التي تاتي من الكادرو من التقيمين في الاستانة بينما كان يصل عددهم الى اضعاف ذلك . وكذلك من ناحية الترتيب فان المال المعطى للجنود لا يكفي عامتهم لانه السبب كانوا به تسبون باحد من اموالهم او يقرضون باعمار السلب رائته ب . اما الامر الذي يسهل الامر من ذلك هو ان يكون عليه الخدو نفسه تامين ما يلزمه من اسلح وتترك له الحرية في اختيار النوع الذي يريد .

وانما اراد السلطان ان يكون جيوشه فان العلماء والفقي والقاضيين عسكرا بمنعونه من ذلك انهم يضطرون حينئذ الى مرااقتهم وهذا ما لا يريدونه . وقد اخذ الاميرالاعظم بنويون عن السلاطين في قيادة الجيوش ولكمهم يذهبون في غالب الاحيان مكرمين وقد قال دوسون في ذلك : " وبما انه يترب ايضا على وزارة الدولة مرافقة الصدر الاعظم الى الحرب فانهم يبدون نفس الممانعة نحو فكرة الحرب لانها تسبب لهم عارا زائدا وتضعهم من التهم بحياة ناسه سييئة . وليس عند الصدر الاعظم ايضا دوافع تجعله يطلب الحرب انما هو ما يجعله ينادي كثيرا من مكائد تافسيه مدة عيابه عن الممانعة ويخبروا من الذي يترتب عنه من الانقراض سرطانه من اكراماته ان يقدر فيه ويعمل في معارضةه لبتكن من اخذ مركزه وقد حصل في عدد من سارطين ان قامت خصومات فاضحة بين الصدر الاعظم الذي كان ينادي بالحرب من ناحية وبين الاميرالاعظم الذي كان ينادي بالسلامة في الدولة ولهذا فان الصدر الاعظم يبدون كل ما يوسعهم للرجوع الى العاصمة اولاقناع السلطان للمجيء واستانهم قيادة الجيش وانما عاج الخند فان الصدر الاعظم يتخذ ذلك وسيلة للاستحباب من امام العدو او لوضع نهاية للحملة . "

كي يقبضوا مرتباتهم ويأخذوها لانفسهم . وكذلك كان يفعل كبار رجال الدولة المدنيين والعسكريين في الاقطاعات التي تنحدر الحكومة في الاصل للجنود ويكون واردها كمربيات لهم . فان رجال الدولة كانوا يحتفظون بهذه الاقطاعات لانفسهم اويؤجرونها . وقد تدعورت هذه المؤسسة العسكرية الى درجة جعلت السلطان مصطفى الثالث يعجب في ابتداء الحرب التي اعلنتها الدولة على روسيا سنة ١٧٦٨ من ان يحد في الجيش فقط عشرين الف فارس تقريبا . واراد السلطان عبد الحميد بعد صلح تيفل ان يبيد الى هذا الجيش ثلثه القديم واعداد من اجر ذلك سنة ١٧٧٦ مرسوما شديدا للخدمة . انه لم يثمر ميثاقان الضخمة التي قام بها كل الذين كانوا يتمتعون بتلك الاقطاعات اخافوا الوزارة الى درجة جعلت اطلب من السلطان ان يتخلى عن مشيئة .

وكانت الدولة تقدم الاتقمة بواجبها نحو جنودها في تقديم ما يلزمها من اذنية والعتاد . فانهما تقدم الملايين لتكون سر كافية ايضا الا ان شيئا من الكسائر من التامين في الاثانة بينما كان يصل عندهم الى اضعاف ذلك . وكذلك من ناحية المراتب فان المار اعطى للجنود ما يكفي لحياتهم . فانهما السبب كانوا يدرسون باحدى الامور او يبقون باعمال السلب والنهب . اما الامر الذي يفسد الامر من ذلك هو اني انه يجب على الجندي نفسه تأمين ما يلزمه من اسلحة وتكون له الحرية في اختيار النوع الذي يريد .

وانما اراد السلطان ان يحد جنوده فبال العلماء والمفتي والقاضي عسكري يمنعونه من ذلك لانهم يضطرون حينئذ الى مرافقته وهذا ما لا يريدونه . وقد اخذوا من العلماء ينوبون عن المصلحين في قيادة الجيوش ولديهم يدويون في السلب النجاس مكرمين وقد فازوا بسون في ذلك . وبما انه يشترط ايضا على وزارة الدولة مرافقة الصدر الاعظم الى الحرب فانهم يجدون نفس الصانعة نحو فكرة الحرب لانها تسبب لهم ارباب زائدة وتضعهم عن اتقمت بحياة ناسه سيده . وليس عند الصدر الاعظم ايضا دوافع تجعله يطلب الحرب ان كان ما يحمله ينافي كثيرا من مكائد شائعية منه سيابه عن الصانعة ويغزو اسلحة الحرب منه من الانعام بزيادة من اكبر ابدانه ان يقدر فيه ويحمل في معارضته ليتكمن من اخذ مركزه وقد حصل في عدد عدة سارطين ان قامت خصومات فاضحة بين الصدر الاعظم الذي يكون على رأس الجيوش وبين نائبه في العاصمة تسبب قراولا قلاقل في الدولة ولهذا فان الصدور الاعظم يبدون كل ما يوسعهم للرجوع الى العاصمة اولافاق السلطان للمجيء واستلام قيادة الجيش واما حاج الجنود فان الصدر الاعظم يتخذ ذلك وسيلة لارتعاب من امام العدو اولوضع نهاية للحملة .

كي يقبضوا مرتباتهم ويأخذوها لانفسهم . وكذلك كان يفعل كبار رجال الدولة المدنيين والعسكريين في الاقطاعات التي تمنحها الحكومة في الاصل للجنود ويكون واردة المرتبات لهم . فان رجال الدولة كانوا يحتفلون بهذه الاقطاعات لانفسهم او يوهونها : وقد تدهورت هذه المؤسسة العسكرية الى درجة جعلت السلطان مدعى اناس بدعوى انشاء الحرب التي اعلنتها الدولة على روسيا سنة ١٧٦٨ من ان يحد في الجيش فقط عشرين الف فارس تقريبا . واراد السلطان عبد الحميد بعد ذلك تفرجه ان يسيد الى ان ارجع ناله القديم رادرك من اجر ذلك سنة ١٧٧٦ م. وربما شدد المدة التي لم يوتر فيها من الضخمة التي قام بها اكل الذين كانوا يتمتعون بذلك الامتيازات اخافوا الوزارة الى درجة جعلته يتطلب من السلطان ان يتخلى عن شرعيته .

وكانت الدولة تفسد الانتماء بواجبها الحر حيوية في تقييم ما يلزمها من الخدمة والعتاد . فاما التقدم الملايين وتكون سر كافي ايضا الاشياء غير ان الكبار من القسيسين في الشان بينما كان يزل عندهم الى الامعان ذلك . وكذلك من ناحية المرتبات فان المال المدعى الجنود ما يكفي مما يستلزم لذلك السبب كانوا يشتمون باحدر المان او يقررون المال السلب والتهب . اما الامر الذي يدهر اكثر من ذلك سوفي انه يجب على الجنود انفسهم تأمين ما يلزمه من اسلح رتوان له الحرية في اختيار النوع الذي يريد .

اما اراد السلطان ان يحد جنوده فبال العلماء والفقي والقاضي عسكري يمنعون من ذلك . انهم يفسدون حينئذ الى رفاقته وما اساء يريدونه . وقد اخذ السلطان العظام يهون عن السلاطين في زيادة الجيوش ولهم يذهبون في الباطل احيانا كثرين وقد قاز دوسون في ذلك . وبما انه يشرب ايضا على وزارة الدولة مرافقة الصدر الاعظم الى الحرب فانهم يبدون نفس الصناعة نحو فكرة الحرب لانها تسبب لهم مصاريف زائدة وتضعهم من انفسهم بحواء ناله سعيدة . وليس عند الصدر الاعظم ايضا مدافق تحمله يتطلب الحرب ان نال ما يجعله يقاتل كبريا من مكائد شافيه مدد سياهه عن العاصمة من اناس الذين شرب منه من الامتياز سياهه من ابراهيماته ان يقدح فيه ويضمن في معارضته ليشتمن من اخذ مركزه وقد حمل في عدد عدة سلاطين ان قامت غصومات فاضحة بين الصدر الاعظم الذي يكون على رأس الجيوش وبين نائبه في العاصمة تسبب قراقرق فلاق في الدولة ولهذا فان الصدر الاعظم يبدون كل ما يوسعهم للارحوع الى العاصمة او لفتح السلطان للمجيء واستلهم قيادة الجيش انما اعاج الحند فان الصدر الاعظم يتخذ ذلك وسيلة لرمححاب من الامم المدور اوليوش نهاية لحظه .

ولم يكن القور البحرية أفضل من القور البرية من حيث النظام والترتيب والقيادة فان الاسطول
 بعد ان كان السلطان سليمان اخذ يخطط بحربه كغيره من سلاطين اسلافه من طبعته غير
 تقدم من كبريا في علم الملاحه " واذا وجد بين مراكمهم البحرية ضباطا مدركهم حصلوا على تقدمهم
 هذا بعد اخذهم فيل فانه يوحد سرهم يجهدون حتى اسبابهم اذ يولى . ويعدون انفس الخطا
 الذي ارتكب نحو الحيوان البرية وهي في ان الحسوية وحدهم التي تقرر امر انتخاب امير البحر الذي
 يؤخذ عادة من بين سولفي البازي يكون لا يفتقر شيئا من امور البحر . وايضا يحصل اهتمام ايضا عند
 تحنيد البحارة وذلك في ان تعمل الديلة على التناقص من بين الذين يحسنون الخدمة . ان
 يجري قبول كل من يتقدم "

هذا وقد رغب في الحالة الحربية بعد عدد السلطان سليمان بضرورة عامة لما في اواخر
 القرن الثامن عشر فان حالة الجيش كانت احوالا مائلة لما كما ذكرناه ان لم نقل بانها الزادات
 ضعفا من حيث الجنود ومن حيث القيادة ومن حرس الفن الحربي . ان يقتضى النظام الجديد
 تتالف الجيش من عناصر غير متلفة ومن جماعات كثيرة من المتطوعين والاشقياء فيجتمعت منهم ما بين
 الثامن والاربع مئة الف رجل (كما حرز في حملة سنة ١٧٦٩) بدون ان تؤمن لهم الدولة معيشتهم
 بالعتدة الحربية الكافية . وما يزيد في القوض ايضا وجود طائفة من العمال المدنيين ورجال
 الدين والدرابيش والبائعين والخدم وكية مائلة من الاثمة والخيم الخ . . . اما من الناحية
 الفنية فانه لم يكن يؤمن اذ تميم للاحركات الحربية وكان الجيش لا يدخل الحرب قبل الثالث
 والعشرين من نيسان ويلجأ الى معسكره المشهور في ارباب رابعين من شهر تشرين اول . . .
 ولا يكون في الجانب عند الرئيس او فكرة عن الفن الحربي وكثيرا ينتخبون بدون تعيين من مختلف
 ميقات الدولة . واذا كان منهم نبي في هذه الناحية فان افكار الخرافية تشكك حركتهم
 ان يؤمن ان عروجهم بدون ان يوافق عام المنحون . ويحدث ان تتناقض الادلة التي
 يشير عليها منحور الجيش ونحو السراي الذي يحمل القواد في حيرة غريبة . ويرجع
 القواد ايضا الى التقاليد لانتقاء الايام المناسبة للقيام باعمالهم الحربية ومن القواد من يكومند
 احرز انتصارا في احد ايام الاسبوع فترام يرفق ان يحارب في غير مثل ذلك اليوم . ولكل ايضا
 بربه المذموم ينتج فيه المزعج باى عمل وكثيرا ما يرجعون الى ايات القرآن انهم يفتحونه
 كيفما عدو . ويؤمنون حسب معنى اول اية من الصفحة . ويحصل تغيير كبير في منصب قيادة الجيش
 .

وذلك بسبب من الدسائس والمؤامرات والاعتقادات الخرافية وإسوأ من كل ذلك هو ان الخدي عندما لا يتناول كل مرتبة بثور ويصبح لنفسه القيام بكل انواع التعديلات .

حالة ادارة الدولة الداخلية

هذه هي حالة الجيش الذي كان فخر السلطنة العثمانية ولكن انقلبت الالة وآل امره الى الدمار بسبب الفوضى وعدم النظام وجهل القواد . ولكن رب قائل يقول ان الدولة أصبحت بعد عهد السلطان سليمان واحدة الزخا تحت إراغيد من المجر حتى خليج العجم ومن باب المندب حتى يرد من مع كل شمال افريقيا تقريبا . انه ابحر من ذلك ليست بحاجة الى فتوحات جديدة ولهذا فدا بغيره اعدم وجود جيوش قوية جارة ان يكتفي ان تحفظ الأمن في البلاد التي تحتلها وذلك بإيجاد جيش صغير قوي منظم وان تحسن من اساحبة ادارة حكمه وادارة اعمالها الداخلية وذلك بانتقاء عمل وموظفين من ذوي المقدرة . اما لسوء الحظ لم يكن لديها ذلك الجيش الصغير القوي المنظم يحفظ الأمن داخل البلاد كما لم يكن عماله وموظفوها من اصحاب المقدرة .

كانت الدولة تتألف من ايلات يحكم كل منها وال بيته السلطان ويكون مستقلا في ادارة شؤون وإيافته ومويناة ملك صغير مستقل يقوم كل سنة بإرسال خراج ولايته الى السلطان ويمكن القول بان هذه التقسيمات الادارية كانت تجعل السراطينية العثمانية مفككة الاخوة ضعيفة الارتباط مع بعضها . **بعضها مع العاصمة** فكانت تنحدر الدولة يقتضي ذلك نحو اللامركزية وفي ذلك ما فيه من الخطر على كيان السلطنة بأكملها . وتذكرنا حالة الدولة ان ذلك بحالة الخلافة العباسية في اواخر أيامها عندما اخذت اللامركزية تعمل عملا في تعجيل انهيارها فلوخذت الولايات تبتعد مريضا فريشا عن الخلافة وتوالت دول مستقلة تتناوب وتهدد العباسيين انفسهم . وهذا تقريبا ما حصل للدولة العلية عندما اخذت ولايات شمال افريقيا وبلاد مصر وولايات الروم ايللي تستقل الواحدة بعد الاخرى . ومما كان يزيد في عاقبة تلك الحالة ان الدولة كانت لا تحسن انتقاء واختيار عمالها وموظفيها ليس فقط في الولايات بل في العاصمة ذاتها . فان اعرفنا كيفية تعيينهم وكيف يقومون بشؤون اعمالهم ومهامهم من قلة الاختيار والدراسة والثقافة يمكننا عندما ان نتصور الحالة المريعة التي كانت فيها ادارة الدولة الداخلية .

عندما نزل نجم الدولة العثمانية بعد عصر السلطان سليمان ودخلت في دور الانحطاط او بالاصح دور النزاع الذي دام عدة قرون وهو طويل ورقم قياسي في حياة الدول لم يكن السلاطين يبدون الاعتناء الكافي في تعيين حكام الولايات وانتقاء الداخلين لاشتهروا باخارصهم وحزمهم ومقدرتهم اذا كانوا يعينون من يدفع مالا اكبر من غيره ولم يكن يدرس حصار اشخصي او اعتبار عندهم .

عندما ابرأت الدولة عام ١٥٩٢ عزل حاكم سرايوس الشام بسبب اختلاساته اخذت جموع المتقدمين لهذا المركز تسعى للحصول عليه وتدفع من اجله اموال عائلة ولقد عرف واحد منهم ويدعى حسن باشا كيف يزلل العقبات امامه ويحصل على حكم الولاية وذلك انه وضع في قلعة الديوان عشرة الاف عند قلبي (سيكان) كدفعة اولى للدولة فامر مراد الثالث بدون تردد بطياف هذا المبلغ لموظفي مائتته من اصل المبلغ الذي لهم عنده وان يذهب حسن باشا لاستلام مدام منصبه في سرايوس .

وبما ان الحاكم يكون قد دفع ثمن منصبه غالبا فانه يستعمل السرعة والجرأة في ارهاق السكان بالضرائب لانه غير متأكد من دوامه في منصبه ولكنه مطمئن تقريبا من انه لن يخاصم على اعماله هذه . ولا يمكن فصل شكايات المظلومين الى الدولة الا بصعوبة واذا صدق ووصلت فان اعوان الحاكم وحماة يخفون من قوة تأثيرها . وان الامر الوسائل التي يستعملها حاكم لطماع للاستيلاء على ثروة شخص عني تكون في القفككة انه امر بارتكاب خيانة قائم اجباره على دفع قسم من ثروته يفتدى به احيائه .

" وهم يفعلون ذلك لان قضاةهم كبيرة وحاشيتهم كبيرة . ويجب عليهم عدا ذلك ان يدفعوا ثمن ضاعبهم وثنم بقائهم فيدا وثنم ابعاد التشكيات المسببة عن جورهم . واذا سخطت الدولة على احد الحكام واستعفت امواله فان الايالة التي كان يحكمها لا تستفيد شيئا وتبقى على ما هي عليها . ان الدولة لا تعوض شيئا على اولئك الذين اختلس الحاكم اموالهم ويسير عادة الحاكم الجديد على منوال سلفه . واذا زادت هذه الامور الى درجة انها سببت قلقا في البلاد فان الدولة ترسل حينئذ امم موظفا كبيرا يحمل لقب مفتش وتضعه صلاحيات واسعة الا انه في معظم الاحيان عوضا من ان يبدد الحالة يريد في خراب الناس بما ياتيهم من اعمال الرشوة والظلم ."

انه يمكن القول بصورة عامة ان كل ضاعب الدولة من اعداءه حتى ادناها تباغ وتشدد .

فالحندي البسيط يدفع ضريبة من راتبه لضباطه ولقائده فرقة . والضباط يدفعون للقائد والقائد يدفع للسلطان وللصدر الاعظم . قل الامر نفسه عن بقية الموظفين في كل مكب وفي كل دائرة ان هذه الطريقة في بيع المناصب انخلها على الدولة الصدر الاعظم الجندري زاده علي باشا

زمن حكم السلطان بايزيد الاول (١٣٨٩ - ١٤٠٣) واثبتها رسميا رستم باشا وزير السلطان سليمان (١٥٢٠ - ١٥٦٦) . وبالمقابل فان هم الموظفين الرئيسيين يكون في الاستفادة مدة توليهم وجمع المال بسرعة مستعين كل الفرص والمناصب التي تهيئها لهم الفوضى الادارية .
 وايقيم عمل الدولة وموظفيها بقضاء اعمال بسرعة ان كل شيء يترتب حسب حاجتهم
 / وزوقهم . وقد ذكر دوسون شيئا عن ذلك عندما تكلم عن السفارات والسفراء واعمال الدولة السياسية بانه : " من شعار اعضاء الحكومة ان يتمدوا في قضاء الاعمال التي على شيء من الاهمية والتي تخرج عن دائرة الشؤون العادية فيوجدون النافر فيها من وقت الى اخر ويؤخرونها سنين عديدة بدون ان يتوافروا . واذا سئلوا عن ذلك يرددون القول بمنتهى البرودة ، منتظرين انشاء الله . وهذا التردد ناشئ عن حيلهم وخوفهم من تحمل المسؤولية . ان بما ان الوزير يكون عبرتها ابدأ ان يظل في مناصبه حتى السد فانه يترك للذي سيخلفه ما يمكن ان يحرضه للمكاره . وان الاعمال العادية لنفس هذا السبب ايضا تقضى بسرعة مذهلة ^{ال} فيستم كل موظف ان يقضيها حالا لكيما يقبض المال الراجع له منها .

لقد تكلمنا عرضا عن الجدول المتقسي بين كبار موظفي ودار الدولة والمهر مثال على ذلك ما كتبه دوسون نقلا عن المؤرخ التركي نعيمة . قال : " عندما راجى حسين بك مندوب السلطان محمد الرابع في احدى المامريات في بلاط دلهي سنة ١٦٥٣ ماله هذا بفضل عن اعرب شيء استرعي انتباهه وعوفي الهند . فاحابه حسين بك بفتي السكون بانه لم يلاحظ شيئا وانه كان ملتفتا فقط الى مهمته وانه كان عديم الصبر لتراى البلاد التي لا يمكن في اية حال مقارنتها بجمال البلاد التي لها الحظ بان تكون خاضعة لجلالته . " نذكر هذا المثال لانه كان يترتب على كل سفير ان يقدم تقريرا عن رحلته حين رجوعه الى العاصمة . ويمكننا الحكم على قيمة هذه الملاحظات التي يبديها اشخاص لا يعرفون اى لغة اجنبية وهم غير مثقفين ويكنون قد مكوا مدة ضئيلة فقط . هذه هي حال كبار رجال الدولة فما تكون اذا حال بقية الموظفين ياترى ؟
 وما يدعو الى الخرابية نظرة الناس والدولة الى هؤلاء الموظفين وكيف يجب ان يكونوا ان انه يتطلب من موظف الدولة ان يكون مقدما في السن وذا لحية بيضا . وكان من العار عند الناس ان يكون في احد المناصب العالية موظف يتراوح سنه بين الاربعين والخامسة والاربعين ان يعتبر كعبي بعد . ومن الاقوال الدارجة عندهم ان سنا كبيرا واختبارا عويلا في الاعمال هما افضل من

من علم افلاطون وأرسطو .

حالة الشعب وسكان الدولة العثمانية

ان الناس على دين ملوكهم . فاذا كانت شخصية السارطين ضعيفة وعبراهل لحكم سلطنة واسعة . واذا كان الجيوش قليل التنظيم والطاقة وضعيف القيادة . واذا كانت القوضى تعم ادارة الدولة والحكومة والاحمل مخيم على الموظفين فان الشعب لابد ان يكون في حالة سيئة جدا . وفعدا فقد كان من النواحي المعنوية والثقافية والنفسية والمادية في تاخر مريع . فالضرائب كانت باهظة وتجبى منه بقسوة وتالم ركان معرضا لطمس الاحكام والموظفين ويتكلف زيادة على ذلك من جراء تنقلات الاحكام وسدوبي ورسل الدولة امولا كثيرة اذ يرتب عليه ان يقدم لهم كل ما يحتاجون اليه وكل ما يلزمهم في سفرهم وتنقلاتهم مع تقديم المدايا لهم ولحاشيتهم . وكان السكان غير اميين على اموالهم وازا قدم ولا يجرون على تسهيل اموالهم في الزراعة والتجارة والصناعة خوفا من تعديات الاشقياء والاحكام وخوفا من العساكر التي لا تحترم اذواق الناس عند احتيازها اراضي الدولة كل هذا مما يمنع ازدهار البلاد والتجارة والصناعة ويدفعها الى حالة اقتصادية سيئة . هذا عن الناحية المادية اما من الناحية المعنوية فان الجهل كان يخيم على معظم سكان الدولة وقليلون هم الذين كانوا يجيدون القراءة والكتابة . والثقافة كانت وظلت ثقافة دينية تحصر في معظم الاحيان في تراءة القرآن والحديث وتعاليم الائمة وكبار رجال الدين . اما العلوم والفنون والمعارف فانها كانت شبه معدومة عند العثمانيين . ولا تقع مسؤولية ذلك على الدولة فحسب بل على الشعب ايضا . فلقد تدرسين السلاطين والصدور العظام انما اصر احبوا العلوم والفنون وحيدوا انتشارها في البلاد مع تقدير المدنية الاوروبية حق تقدير ولكن كانت تفقصهم العزبة الصادقة والصراقة في ادخال المعارف الاوروبية الى الدولة هذا من جهة ومن جهة ثانية فانه لم يكن هناك استعداد وتحمس عند الشعب لتقبلها ان كان ينظر اليها كانها بدعة من البدع وانها تنافي الدين والتعاليم الالهية . لقد كان تعصبهم الديني قويا لدرجة منعهم من التطلع الى افق جديد وحصرهم في نطاق ضيق مما جعل امر تحرر افكارهم ونفوسهم صعبا جدا . وغير قادرين على ان ينهلوا من منابع علوم أوروبا التي اخذت تسيطر شوطا بعيدا في عالم التقدم والرفق

حائلة مشعل المدنية في العلوم والفنون . وسأريد اذ مرسرا ان الشعب كان يحمل مع العصبية الدينية عصبية قوية لمعاداته القوية القديمة لا يتحول عنها على كراياهم وعر السنين . وكم كان حقد المشايين عظيمًا نحو كل من عواجنبي ان في الدين او الجنس او الثقافات والعلوم .

وذكرى بدا من الادارة الى الصعوبة التي جابهتها الدولة العلية عندما ارادت في اواخر القرن الثامن عشر ان تعين سفراء لها في بلاطات باريس وفيينا ولندن وبرلين . قال دوسون :

" ويترتب حسب هذه الخطة ان يلتحق ثمانية او عشرة ثمانين بكل سفارة من هذه السفارات وان تؤمن لهم الوسائل اللازمة لتعلم اللغات والعلوم والفنون الأوروبية ولكن هذا العمل لم يكن من الممكن احراؤه الا بعد مدة طويلة وذلك لانه كان يتعارض كثيرا والعصبية الوطنية ولقد جابه الباب العالي في بادء الامر صعوبة ايجاد اشخاص من ذوي امكانات يمكن تذييل كراهيتهم للذهاب الى بلاد مسيحية ولقد اضطر في اخر الامر ان يعدهم بان مدمتهم ^{حسب} لن ندوم اكثر من ثلاث سنين . . . ولكن بعد بضعة اعوام اخذ الباب العالي يلغي هذه السفارات وعين بدلا من السفراء في هذه البلاطات مندوبين ~~يكافئ~~ يونانيين ."

لقد كان العثمانيون البرزة لأكبر امبراطوريتين من الامبراطوريات التي عرفت التاريخ وهما امبراطورية البزنطية والامبراطورية العربية . ولقد وصلت كل منهما الى درجة عالية في عالم الفكر والثقافة والتمدن والرفق وكانت الاسباب مهيئة والطريق سهلا للعثمانيين لاقتفاء اثرهما واخذ العلم عنهما ومتابعة ثقافتهما ولكنهم لم يفعلوا ولعل السبب يرجع الى عبيعتهم التنوية المنغولية اذ يقول ~~مها~~ ^{مها} : " ذكرنا ذلك قبل . . . ومن هذه الامدادات العثمانية الراجعة الى اصل تنرى هي محبتهم للضيف والحرب والسرور من اراء دائبة في الصنف والوسائل التي تمكنهم من الوصول الى هدفهم هذا من قبل فطري للحكم والسيطرة انما اني ذلك جبههم للقديم وللحياة الحرة . كما ^{ان} عندكم ~~كما~~ كالتنوعا من زيادة الذم من وعدم الابتكار والصبر على المكاره ."

لقد خرجوا من اواسط اسيا وهم على حال البداوة واستقروا في اسيا الصغرى وتوسعوا في اوربا واسيا الصغرى وسمار افريقيا . كما خرج قبلهم العرب من الجزيرة وهم على حال البداوة وانتشروا في بلاد الشام والعراق وفارس ومصر وسمار افريقيا والاندلس . ان وجه الشبه بهذا الخصوص قريب بين العرب والعثمانيين . تمام العرب على ثقافتهم الامبراطورية البزنطية في الشام ومصر .

والإمبراطورية الفارسية في العراق والعجم . كما قام العثمانيون بعد ذلك على انقاض الإمبراطوريتين
البيزنطية والعربية ولكن عدا هذا الشبه فإن الفرق كبير بين الاثنين . فلقد كان العرب على
الفطرة البدوية ولكن سرعان ما اقتبسوا المعارف ونقلوا من مذهب المدينتين البيزنطية والفارسية
وإدخالها فيما اشياء من عندهم . وكيفية التوافقا ربحهم فكان لهم ما أرادوا . أما العثمانيون
فإنهم وإن اقتبسوا بعض علوم ونظم البيزنطيين والعرب والفرس إلا أنهم كلوا مقتصرين في هذا الباب
ولم يندموا بالتراث الثروا لهم كما يجب أن يفعلوا وكانت النتيجة هي موت الثقافة والتقدم
البيزنطي والعربي على أيديهم . ولم نطلعنا التاريخ على وجود فنون أو مدينة أو ثقافة أو معارف
عثمانية وهذا ما يؤسف له حقا . كان أمرا ما يجب أن يفعلوه هو حفظ تراث الأمم التي
خلفوها إذا لم يكن بوسعهم أن يزيدوا عليها . ولكنهم لم يفعلوا ذلك بل بالعكس قضاوا على
معالم تراث الأمم كما نذكر بعد قليل . ولقد تدوموا في انحطاط معيب وجروا معهم في
تدميرهم البلاد التي استعبدوها مثل الشام والعراق مثلا . وكان من حسن حظ مصر ولابد
أوروبا المحتلة أن استلكت ميراثا قشيعا عن اسلطنة وتقدمت في معالم ابرقي واتمدت فسبقت بكثير
الدولة العثمانية نفسها كما يشهد التاريخ على ذلك وكل من سوء حظ هذه البلاد أن ظلت
تحت حكمهم حتى أواخر الحرب العامة . وكما أنه من سوء حظ أدنرا أنفسهم أن ظل العثمانيون
سلطان عليهم .

لقد قلنا بأنه كان يجب على العثمانيين ~~على الأقل~~ ^{مستحيين} أن يحفظوا مدينتي الزمير وكيف أنهم
لم يفعلوا ذلك بل بالعكس قضاوا عليها . وعلى سبيل المثال نذكر حكم أحد المؤرخين العثمانيين
وهو علي محمد أفندي على أعمال العثمانيين بهذا الخصوص في حادث نهب مدينة تبريز العجيبة
لقد اتخذ الصدر الأعظم ازدير أوغلو بآذا بعد أن استسلمت هذه المدينة عام ١٥٨٥ كل التدابير
للمحافظة عليها وعلى أرواح سكانها ولكن بدون فائدة إذ استبداه الجنود واليهالي في مذبحه قتل
فيها عشرة آلاف شخص أما تبريز وهي من أجمل المدن العجيبة ازديارا فقد أصبحت خرابا .
وبعد أن بصر المؤرخ أفخم ومن قصيرا وجوامعا وحملاتها وقادتها وحدائقها وجميع أنواع
استها يقول : " يجب أن نقدر ذوق ^{العبي} ~~الصحف~~ نحو الفنون وما يبذلونه من عناية في تحسينها
كما يفعل الأوروبيون . ولا يسعنا أن نقول ~~نفسه~~ ^{نفسه} ~~الشيء~~ ^{نفسه} نحو امتنا العثمانية التي عوفا من أن

تفليس مثل هذه الشرائع من المدنية فإنه لا تحتقر حتى الدولة على المنهات التي تكسبها بحروبها
 أبعد من ذلك فإن ^{دافع} ^{بمنهم} ^{ال} ^{خون} ^{للمدبر} كل شيء .
 وهكذا فقد شهد شاهد من أهلهم .

ولكن رب قائل يقول إننا لم نألف هذه هي حالة النصارى واليهود والذمة والخدمة فما
 السبب في أن السلطنة العثمانية عانت لم يزل حتى الحرب العامة الماضية بينما أقل خلل أو توتر
 بين الحكام وفي الجيوش والادارة والخدمة تكفي في غالب الأحيان للقضاء على أية دولة كانت .
 يقول لسير بان النظام الإداري في القرن السادس عشر كان قويا لدرجة أنه تمكن من أن يعيش
 ويدوم حتى مطلع القرن العشرين . ولكن الأحداث التاريخية تدل على أن السلطنة العثمانية مدينة
 بطول بقائه وحفظ كيانه إلى لقوة نظامه الإداري الذي انحد كثيرا في القرنين الأخيرين بل لعدم
 وجود ختم قوي يقضي عليه النزاع الشديد الذي كان قائما بين الدول الأوروبية . فلم يكن
 هناك في بادئ الأمر أي من القرن الرابع عشر والثامن عشر دولة أوروبية قوية بمكة أو حدة القضاء
 على العثمانيين . ثم بعد ذلك أي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كان الحسد والبغضاء متحكمان
 بين الدول الأوروبية إلى حد أنه كان من الصعب أن لم نقل من المستحيل أن تتحد مع بعضها للقضاء
 على العدو المشترك لأن كل واحدة منها كما يقول جارمن كانت تخاف أن تحتل الأخرى دونها
 أراضي الدولة العثمانية وتنتشر بها وتتولي على المصالح . وهكذا فإن الدول الأوروبية بحكم
 موقفا العدائي ~~مع~~ بعضها ^{للبعض} اجبرت سلاطين آل عثمان أن يعيشوا الحزن اللزيم والهم
 ما يجب واحترما كان يمكنهم أن يعيشوا .

الإدارة في الدولة العثمانية في عهد مرادجه دوسون

يتألف هذا الموضوع من سبعة أبواب تبحث في : (١)

- ١ - البلاط
- ٢ - الباب العالي - الوظائف السنية - الديوان .
- ٣ - دائرة المالية
- ٤ - الولايات
- ٥ - الحالة العسكرية .
- ٦ - البحرية
- ٧ - علاقات البلاط العثماني مع الدول الأجنبية

الباب الأول

البلاط

كان محمد الثاني أول سلطان عثماني قام بترتيب بلاطه . إلا أن بعض الذين خلفوه أجروا بعض التغييرات غير أننا لا نرى فائدة في بحث التفاصيل ونكتفي في إعطاء صورة للبلاط العثماني في حالته الحاضرة وسنتكلم عن :

- ١ - السراي
 - ٢ - موظفي السراي
 - ٣ - موظفي داخل البلاط والخلمان من الخدم
 - ٤ - حرم السلطان أو نسائه
 - ٥ - السلطنة الوالدة
- (١) يذكر دوسون هنا أن كتابه يتألف من سبعة أبواب ولكننا سوف نرى أنه يقسم مجله إلى تسعة أبواب .

- ٦ - السلطانان الممزرع
- ٧ - السلطانان الاميرات
- ٨ - ابناء السلطان الحاكم
- ٩ - الامراء من العائلة المالكة
- ١٠ - السلطان نفسه

الفصل الاول

محمّد الثاني

السراى

لما كانت الافكار الخرافية لاتسمع لفتح القسطنطينية بسكنى قصر القيامة القديم اواقع قرب باب ادرنه ~~على حيد السراى~~ ^{فلذلك غرام قد} فبعد بناء والسراى في وسط المدينة على انقاض احد الاديرة . الا انه بعد بضعة اعوام امر بانشاء قصر جديد في منتهى القسم الشرقي من المدينة على راس تحيط به مياه البوسفور من ناحية وياء بحر مرمرة من الناحية الثانية وعواقع مقابل مدينة اسكدار ~~على السراى~~ على الشاطئ الاسيوى وكانت الاشجار وبصورة خاصة اشجار الزيتون تظلل ذلك المكان .

سكن السلطان محمد مع بعض مولفيه القصر الجديد تاركا بقية حاشيته وحرمه في القصر الاول الذي سمي منذ ذاك السراى القديمة . وتبعه في ذلك السلطان بايزيد الثاني والسلطان سليم الاول . الا ان السلطان سليمان الكبير نقل حاشيته وحرمه الى السراى الجديدة . ومن ذلك العهد لم يعد يسكن السراى القديمة سوى النساء وارجوارر الدلاهي عشن مع السلاطين اسلاف السلطان الحاكم .

فأصبح القصر الجديد بعددان وسعه وجملة السلطان سليمان الاول يحتل ارضا واسعة محاطة بسور تقم عليه الابراج . ومدخل هذا السور المسمى بالباب الهميونى يشرف على مكان يحده من احدى الجهات جامع اياصوفيا حيث يقم في وسطه بناء ماء سبيل محلى بنقوش ذعبية . واذ اما دخلنا الى باحة القصر الاولى وجدنا الى اليمين بيت المال وبستان اشجار البرتقال والمستشفى والفرن والى الشمال سكن الجايي محصل الضرائب المتاخرة وورشة الاعمال ومستودع الاسلحة ومكان

غرب النقود وخاج الوكيل العام للابنية وخاج نائب رئيس الخصيان السود وقاعة الديوان القديمة والاسطبلات الكبيرة ومسكن رئيس رجال الحرس .

وعلى الداخل الى الباحة الثانية ان يجتاز رواقا بطول خمسة عشر قدما تقريبا منطلق من حديقته ببايين يسمى الخارجي منما بالباب المتوسط . ويعرف هذا الرواق باسم (ابكي قبواره سر) اي المسافة بين البابين . وعلى الحيطان الباحة وملايس حربية قديمة مانعهم السارعين الدهليز العشائين . وهذا الرواق هو مركز مكان على الامراء المنفوب عليهم ان يدعون بواسطة ما الى السراى نقباض عليهم في هذا الرواق حيث يسلمون صورة الحكم الصادر بمقدم . فاذا كان هذا الحكم قاعبا بالموت اعدوا بالموضع نفسه . ويقع فوق الرواق بناء يسكنه حطب القصر .

وتحتل في الباحة الثانية المكاتب والمطابخ الخاج الايمن كله . واهم الابنية القائمة في الجهة الشمالية هي : ستودع الدفترخانه اي السجلات القديمة وقاعة الديوان الجديدة ومسكن رئيس الخصيان السود . وستودع الخيم والسرايات ومخزن الخلع السنية .

وهناك باب ثالث يعرف بباب السعادة يقع مقابل البابين السابقين ويؤدي الى القسم الداخلي للقصر الذي يسكنه السلطان وافراد عائلته وحرمة وموظفو قصره وخدمه وفرقتا الخصيان السود والبيض .

وهناك طائفة من المنازل (الاكشاك) والابنية شفرة داخل هذا السور الواسع اما في وسط الجناح او على شاطئ البحر وهي متفرعات السلطان يرتادها غالبا لمضي فيها بعض يومه . وهذه الابنية مخطاة بالرصاص وقائمة على شكل مدرج بين الدجار السور والصور والدلب وهي تشرف على مكان بديع يطل على منظر خلاب يبهج النظر . الا ويرى مدحرج البوسفور .

وفصل باب السعادة بين مركز موظفي داخل القصر المخصصين لخدمة السلطان ومركز موظفي خارج القصر الذين يؤلفون حاشيته .

الفصل الثاني

موظفو القصر

ان هؤلاء الموظفين الملقبين باغاوات القصر الخارجي يؤلفون طبقة منفصلة تمام الانفصال عن اغاوات القصر الداخلي وتلقى على عاتقهم اعمال الدولة واعمال القصر . وبما انهم يسكنون ابنية

توسط باحقي القصر فانه يسمح لهم هم بان يتركوا القصر ويضوا الليل في بيوتهم بينما ~~ان~~ ان خدم
السلطان ^{لا يمكنون} الخصوصيين من ذلك .
ويحق للولين ارضا لحام اما افراد الفريق الثاني الذين يعتبرون بشابة خدم فانه
يترتب عليهم حلها .
ويقسم موظفو القصر الخارجي الى ثمان طبقات .

الطبقة الاولى

لجنة
الموظفون المنتهون الى مجلس العلماء

نظرا

١ - ذو حجة السلطان او معلمه ، وكانت ~~عند~~ عذمة الوظيفة فيما مضى الى العلماء الذين يتوصلون
بما بعد الى امراة الاولى في الحام . وفي ايام ابوش التي جاءت بعد انهزام بايزيد الاول امام
تمرلن ، كوفي معلم ابنه محمد الاول الذي لقب ببايزيد صوفي ، على خدماته بان عين قاضي عسكر
لانه اشتهر بصورة فعالة في اعادة السلطنة (بما ابداه من نصائح حكيمة) الى السلطان . وكثيرون
من السلاطين الذين خلفوا السلطان محمد الاول رزقوا معلمهم الى امراة اولى في القضاء . فان عثمان
الثاني عين معلمه رئيسا لهيئة العلماء . ثم تزوج ابنته . وقد تولى في زمن محمد اشاني الخوجة
سعد الدين الشديروني اول من كتب تاريخ الدولة العثمانية الى منصب الافتاء محتفظا في الوقت نفسه
بنصب خوجة . وحمل ^{نفسه} الحملات الشبي لسعيد فين الله زمن حكم معظي الثاني ، الا ان ترقيه السريع
الذي بناه في قوانين هيئة العلماء ، وسلوكه الفاضل وسوء استعمال ثقة السلطان به ادت كلها عام
١٧٠٢ - الى سقوطها هو والسلطان معا . ومنذ ذلك الوقت لم يتوصل عولا العلماء قط الى المناصب
العالية وزال ما كان لرتبتهم من بقاء . وقد عين في الزمن الاخير لتعليم السلطان موظفون مدنيون ،
والا اهلها من الخصيان الذين اشتهروا بعلمهم وادبهم ، الا ان دروس هؤلاء المعلمين كانت لا تتعدى
المسائل الدينية قط .

٢ - الامام الاول ويدعى ايضا امام السلطان . يقوم بالاعمال الدينية في السراي . ويضج يوم تعيينه
رتبة مدرس . وله الحق وحده في النيابة عن السلطان في العيدين . اذ انه يجب على السلطان ان يحضر
يتراعى تمثلا بالنبي جماعات المؤمنين ويحلي بهم .

ويؤامده في اعداله امام دان فيتشاهيان هي الوظيفة اما في جامع القصر او في الجامع الذي يؤدى فيه السلطان صلاة الجمعة .

٣ - الامام الثاني الذي يخلو الامام ادول ومنح ايضا يوم تعيينه رتبة مدرس . وعلى من يريد التوصل الى عذيق المركب ان يكون حسن الصوت . وفي مسجد السراي (٢٤)

(٣٣) - سوفنا ينجعون السلطان الى الحام في اعياد الكيرة ليرتلوا من امام .

٤ - رئيس الاعباء (او حكيم بالي) منح كتابه يوم تعيينه رتبة مدرس . فاطباء القصر وراحوه والباء الصيون والعبادة كلهم تابعون له ويخضع لرقابته كل من يمتحن مثل هذه

الاعمال في سائر احوال الدولة . وكانت هذه الرقابة سابقا اسيرة فقط ، ان كان كل انسان حرا في مزاوله مهنة الطب او في بين العقائير . الا انه بعد وفاة رئيس خديان السلطان مصطفى الثالث

فجاء سنة ١٧٦٨ وذلك على اثر تناوله دواء قدسه له احد الشعوذيين مدير امريضي بان

يتمتع رئيس الاعباء كل من يريد مزاوله مهنة الطب .

ووظيفة رئيس الاعباء كثيرة الريح . فهو يكافأ بمسحاة على خدماته في جميع المناسبات ، واذا

اراد السلطان منح علقه على مريض من كبار رجال الدولة فانه يرسل له طبيب . وتعود عليه هذه

الزيارة بدوايا ثينة . وقد اعتاد الناس ايضا ارسال اطبايهم الى المرضى من اصحابهم لاهتمامهم

بهم . فيكون ذلك في الدالب بالا على صحة هؤلاء وعلى حيويهم . للذين عليهم مراعاة لخطر امدقائهم

ان ياخذوا كل ما يقدمه لهم الطبيب من دواء . ويسحب ايضا رئيس الاعباء مراح عطية في

تحضيره المعاجين القوية المؤلفة من روح الزعفران وعود اللند والعنبر ومن بقة الطيوب التي

يقدمها للسلطان في اولي الاثنية قبل عيد انبروز بحسب عشرين يوما وهي مقدمة اسما النيروزية

ويقدم مثل ذلك ايضا للامراء والسيارات من الاسرة المالكة والنساء القصر وكبار الدولة فيعطونه الهدايا

الثمينة . وهذا ايضا عادة في ان يقدم اطباء المدينة في ذلك الوقت من هذه المعاجين

للانصار الذين يداوونهم .

وعندما يصاب السلطان او احد افراد عائلته بمرض شديد يعتمد حينذاك على قدرة اشهر

الاطباء الارببيين الموحدين في بيرا . فيسعون الى السراي للتشاور مع رئيس الاعباء الذي يقدم

بتقديمهم وتكون ارشاداتهم خاضعة لموافقة .

ان اطباء القصر وعددهم تقريبا ثمانية عشر ينتمون ايضا الى صف العلماء ويكون دائما في

الخدمة اثنا عشر منهم لمدة أربع وعشرين ساعة . فيقيم من اثنين جراحين في حجرة محاورة لمرفة رئيس الخصيان السود . يوجد في السراى ثمانية أو عشرة من الجراحين .

٥ - رئيس الفلكيين والنجوم (منهم بائى) . ان العالمين لا يميزون بين علم الفلك والتنجيم وهم يطلقون الاسم // لنفسه على كليهما . ومن ان الدين يمنع كل ما يتعلق بالمعرفة فان المشائين على حين طاعتهم يعتقدون بالتنجيم . حتى انه من تقاليد ابياب العالي ان يقدم باربعين قبل استشارة أولئك الذين يستنون حرفة التنجيم بتأثير الكواكب على حوادث هذا العالم . ولهم يعرفون كيف يبينون السبب اذا ما حاص النتيجة على عكس ما تنبأوا فتراهم يرمون من يقوم على ادارة الاعمال غالبا بعدم القدرة او بسوء الطالع .

وقد حصل غير مرة انه اذا ما دعي وزير جديد الى السراى ليتقلد منصبه يتضرع الى السلطان ان يرجه انعام عليه بالخاتم بضع دقائق او بضع ساعات كما يغتن وقت انعام بطولهم بطالعه ويكون السلطان حينئذ حاملا السلعة بيده يرقب الوقت . ويمكننا الاتيان بمثال حديث العهد عن هذا التباير وهو ان راتب اقدى الذي ارسل كخبر الى بلاد الهند عام ١٧٩١ بعد علق سيستوف كان قد استلم ليل قبل بضعة اشهر رسالة من السلطان سلمه الثالث يخبره فيها اريسته بتعيينه في اليوم التالي " رئيس اقدى " او " وزير الشؤون الخارجية " كما انه كان لراتب اقدى سابق معرفة بالسلطان كونه قداميا فيما مضى روسيا في الكتابة تحرا وتفرغ اليه ان يؤخر من نعمته عليه فانه الى ما بعد ان اشد الى ساحة معبته معتقدا ان ذلك احسن حالا له . غير ان نجمه قد خدعه هذه المرة وذلك ان في تلك السنة ^{فيها} ~~تعيينه~~ بفضل بعض الدسائس الى احتلال المنصب الذي كان معيذ له .

ان عمل المنجم بائى من الناحية الفلكية يقتصر على اعداد تقويم سنوي كان يدل ايضا على ايام السعد والنحو ويشير بمسورة خاتمه الى الايام التي كانت تلاءم بعد الاعمال كالاتداء بخدمة او خرا عبيد او عقد زواج او لبس ثوب جديد او التماس مني او القيام بسفر الخ . . . وهم يعينون ايضا الايام التي على الدولة ان تختارها وتغفل على غيرها لاجراء مخططات الاعمال .

٦ - رئيس الجراحين ارجاج بائى . هو الذي يختار امراء الاسرة المالكة ويغفر الخصيان قبل قبولهم في خدمة القصر .

٧ - رئيس المياه العيون او " كحال باشي " يحضر الكحل الذر تستعمله نساء القصر ، والدافع الى استعماله هو دافع ديني اكرمه محي ، ان النبي محمدا استعماله في بلاد يعتقد فيها ان الكحل بقور النظر وقد احتفظ الرجال حتى الان كما احتفظت النساء بعادة استعماله .
 ويلبس كل من موظفي البلاط هؤلاء لباس العلماء)

الطبقة الثانية

الموظفون الملقبون باغاوات الركاب السلطاني

١ - حامل العلم او " مير علم " . هو ادهان لزعيم الامراطورية وللأطواخ " الستة (الاطواخ : اذئاب الفرس) وهو الامر على رؤساء الحجاب (قبوحي باشي) ويرأس موسيقي السراى العسكرية . وهو الذر يقدم لحكام الولايات الجدد العلم واذئاب الخيل وهي العلامات المميزة للقيادة العسكرية .
 وتؤمن له الضرائب المتعلقة بهذا المركز موردا كبيرا . فدو وحده بين موظفي البلاط الذي يحضر الجلسات التي يقيمها السلطان لاصحاب الخاصب العالية .
 ٢ - البستنجي باشي او رئيس رجال الحرس . هو حاكم السراى ودور متنزعات السلطان فان مواظبي البوسفور وبحر مرمره من البحر الاسود حتى الدردنيل خاضعة لرقابته . ولا يمكن لار شخص ما ان يبني او يرم بيتا او اى بناء اخر بدون اذنه . وهو من اجل ذلك ينال ضرائب عديدة تفرض في الغالب على يراساس . وهو الذى في نزعات السلطان البحرية يقبض على دقة الزورق الدمايونى ويكون بذلك قريبا من السلطان لاعائه الايضاحات عن كل ما يعرض لانظاره من الاشياء التي هي تحت حكم البستنجي باشي .

وهو يقوم ايضا بوظيفة حاكم ، ويرأس اعدام كبار رجال الدولة ممن حكم عليهم بالموت داخل

السراى . ويقوم بتفتيش السجن حيث بوضع فيه الموظفون الذين يراد تعذيبهم ليقروا بالجرائم المنسوبة اليهم ، او ليقروا بشواتهم لتضبطها الدولة .

وهذا السجن الكائن داخل السراى قرب من البستنجي يسمى " الفرن " والاسم وحده يلقي

الرب في القلوب .

وكمض عام للحراش والمياه الواقعة في اطراف العاصمة يمارس البستنجي باشي ايضا وكالة

المعيد برا وبحرا . وتخضع تجارة الخمر والكلس لرقابته . وهو يوزع الضرائب التي تخصص له من كن

٥- في الاعمال لقواد من جماعة "الخاصي" .

وعو لا يلبث رتقربيا ادا امام الناس ان ان رؤيته ومرا المكلف بتنفيذ احكام الاعداد يولد في نفوسهم شعور الامتزاز والخوف . اما يذهب دائما لبار لزيارة كبار رجال الدولة لتقديم واجباته لهم او للبحث معهم . وعو يتقلد رتبة الباشاوية ويحمل حاكم ادرنه ايضا لقب يستنجي باشي ويامر على فرقة مؤلفة من (١٥٠٠) من رجال الحرس تقريبا .

٢- رئيس الاسطبلات . وعو رئيس اسطبلات وعرشات السلطان له وكالة المروج والمراعي الواسعة المستدة ما بين ادرنه وبروسه وعو يسمح للناس برعي خيلهم في المروج مقابل جعل خاص . ويخدم تحت امرته رجال السلاخور والخاص اخورلو والقيونك والقورداعا . فالجماعة الاولى هم من خدم الاسطبلات وعددهم الفان . والثانية هم السواس وعددهم ست مئة تقريبا . ويطلق اسم قيونك على جماعة من البلغار عددهم (٦٠٠٠) يقومون بخدمة الجيوش زمن الحرب . اما القورداعا او المختصون بالانخابات فانهم يلتزمون كل الانتخابات التي تخص الدولة والمنقصة الى سبع وعشرين مقاطعة . ويأتي اخيرا سراحو وحماويو والوالقسروهم تحت امره رئيس الاسطبلات .

٤- رئيس الحجاب ، وهو الذي يستلم "المعرضحالات" المقدمة للسلطان لما يظهر امام الناس . ويقوم هذا الموظف مع الجاويش باشي في الاحتفالات الكبرى برسمه مشير للبارط . فيلبسان حينذاك ملابس قواد الحجاب "قبوحي باشي" ويحمل كل مندا بيده عصا محلاة بالفضة .

٥- رئيس الاسطبلات الثاني ، يقوم بتفتيش الاسبيلات اسبيرة المعدة لخيل موظفي البلاط .

ويعرف هؤلاء الموظفين الخمسة باعاوات الركاب لانهم يقتربون من السلطان اكثر من

غيرهم . ويخصص السلطان عادة المامورات الحصنة لرئيس الاسطبلات او لرئيس الحجاب . كالذهاب مثا الى احد الباشاوات ومنحه حلة من فرو السمور او خنجر مرصعا بالحوامر او عبر ذلك من التقديمات التي تدل على عطف السلطان عليه . ويعطي الباشا حاكم الولاية وصاحب الدية رسول السلطان اربعين او خمسين الف قوش كمصروف سفره .

٦- قواد الحجاب ؟ قبوحي باشي " وعددهم مئة وخمسون تقريبا . ولا يقبل في هذه الفرقة الا كثر البكوات ابنا الباشاوات او ابنا كبار رجال الدولة . ويقوم كل ليلة واحد من هؤلاء القواد بحراسة باب البساي الثاني .

وهم يقومون في أيام الاحتفالات بملبسة حجاب ويلبسون بذلك رداءً غريباً من الجوخ المذهب محلى بغزو المسور (١) ويجمع اثنائهم السلطان الى الجامع كل يوم جمعة . واذا قبل السلطان مقابلة احد سفراء الدول الأجنبية فممن الذين يدخلونه اليه . ويعطى لمميزين من هؤلاء القادة قيادة احد فرق الجيش . وهم الذين يحملون الرايات السرية والكبيرة الالوانية . واذا ارادت الدولة التخلع بصورة فجائية من احد الدشوات المعتبرة بهم فانها ترسل عادة لقتله احد هؤلاء القواد .

الطبقة الثالثة

الامناء

- ١ - الامين العام للزينة السلطانية
 - ٢ - الامين العام للتقود والشاخم
 - ٣ - امين مطابخ ومكاتب السراء
 - ٤ - امين العلف المقرر لاسطبلات القصر
 - ٥ - وكيل امين المطابخ
- ويؤلف هؤلاء المؤلفون الخمسة قسماً من جماعة الخوجوات . ويكسبهم الوصول الى المراتب الاولى في ادارة الصدر الاعظم ودائرة المالية (٢)

الطبقة الرابعة

موظفو الصيد

- ١ - البازدار الاول (اى المولج ببيزان الصيد شاعنجي باشي)
 - ٢ - رئيس المحافظين على العقبان (شاكروحي باشي)
- (٢) يلبس المير علم والحاويل باشي ولقاوات اذكتكداريه والسباه والسلاحدار ورئيس الجبجه ضلع الملائم نسط الرسمية وقت الاحتفالات .
- (٢) وهم يلبسون ملابس الخوجوات

٢ - رئيس المحافظين على الصقور (دنجي باشي)

١ - - - - - اليزان

الطبقة الخامسة

الموظفون التابعون لرئيس الخصيان السود

١ - رئيس الرجال الذين يقومون بالمحافظة على خيم وسراقات السلطان وهم يوظفون فرقة من ثمان مئة رجل منقسمة الى اربعة بلوقات ^(او مائل) ووليقتهم شحرة من في نصب السراشق في المكان الذي يسمين له عندما يريد السلطان تمنية يومه في حدائق القصر او في موضع من الأماكن الجميلة الواقعة في اطراف القسطنطينية . ويوظف اربعون من ائدهم فرقة اليزانين (وزندام) ورئيسها الوزير ارياشي مفتش خزينة الدولة الواقعة في باحة القصر الاولى . اما بقية افراد هذه الفرقة او الذين يوظفون على الخيم يقومون بملفحة حارث او سياتي حيث يقف اربعة او خمسة منهم دائما على "الباب الوسط" قرب خا تواد الحجاب لكيما يكونوا قريبين لتلبية اوامر السلطان او المندر الاعظم .

٢ - أمين الخزنة الخارجية "خزندارباشي" وهي مستودع لسجلات المالية القديمة ، والمخزن الذي يحفظ فيه الخلع السنوية من فراء او قفازين هي التي تفرق في السراي او في قصر الصدر الاعظم كما تحفظ ايضا اكمال الحرير الاطلس ومن الخوج المذهب حيث توضع فيها الاوامر والرسائل المرسلة من مجلس الوزراء . ويأمر هذا الموظف على عشرة من موظفي لحراسة هذا المخزن .

٣ - الموظف الدائم بتقديم الخوج والرقشة على اموال الدولة لبيت السلطان .

٤ - حارس الهدايا ، او أمين المستودع الذي تحفظ فيه الهدايا المقدمة للسلطان من رعاياه او المقدمة من وزراء الدول الاجنبية باسم ملوكهم .

السبقة السادسة

المولفون التابعون لرئيس المكتب

١ - امين مائدة طعام السلطان (حاشى كيرياشي) وهو رئيس خمسين حاشى كير تقريباً وليس لهم من عمل سوى القيام بتقديم الطعام للدر الاعلى والبقية وزراء الدولة في الايام التي يلتئم فيها الديوان

٢ - رئيس الموسيقى العسكرية (شرباشي) وفي سلكه من ستة عشر زميلاً وستة عيول واحد عشر بوقاً وثمانية دفوف وسبعة صنج واربعة نقارات . هذه الفرقة المولفة من اثني وستين موسيقياً يضلفون عدد رجاله عندما يخرج السلطان من الجيش وهم لم يعزفون في القصر عادة الا في ايام السيدين .
وعندها يقف رئيسهم امام رجاله ويدها على خصره .

وتتألف موسيقى المدر الاعظم والبارادات من احدى المثلثة لاطواخ من نفس هذه الآلات
انما يكون عددها تسعة وسبع نقارات . انما في ايام الحرب وعندما يقود المدر الاعظم الجيش فانه يتمتع بميزة ادخال دف كبير الى موسيقاه .

٣ - رئيس القرن (اككجي باشي) وهو يامر على ستة وخمسين قرناً تقريباً .

٤ - رئيس المكتب او القلم وتحت امره ستة من الغلمان الخدم .

٥ - رئيس المطابخ (عشي باشي) وهو يامر على اثني عشي .

٦ - رئيس الحلويات او صانعي الطوى . وعددهم ستة وخمسون تقريباً .

الطوى

وليس رجال الاقسام الثلاثة الاخيرة زياً متشابهاً وهو كساء من الجوخ وقلنسوة من اللباد الالوان
دقيقة الراى حيث ترجع عادة استعماله الى اول ايام الدولة . وكانت اذ ذاك لباس الراى العام
لرجال جميع الطبقات . ويقول المؤرخ سعد الدين انه من زمن حكم السلطان عثمان الاول لم يكن
لبس الناس غيره . وكانت كل الالوان مسموح بها . الا انه عندما انشأ اورخان الاول جيش الانكسار
جعل لون القلنسوة مختلفاً بين الحشد وبقيّة الناس ، وكان للفريق الاول فقط الحق في لبس القلنسوة
البيضاء . ولكن بايزيد الاول خصص استعمال هذا اللون لرجال السراى وللفرق المنظمة لكما يميزوا

من حشد المقاطعات من خدم كبار رجال الدولة الذين كان عليهم استعمال اللون الأحمر . وكان استعمال الدمامة أصبح عاما في عهد السلطان محمد الثاني فإنه لم يبق من رجال السراي من يلبسون القلوب القديمة سوى البلاطيم والسباغيم و انسي الحلوى الخ . . . وقد بدر في الوقت نفسه استعمال ازياء مختلفة للرجال الجسم والرايا عند كل فرقة من فرق الجند وعند كبار موظفي القصر الا انه خصصت القلنسوة البيضاء المزركشة بالذهب او الفضة لضباط الانكشارية .
ويجب الاضافة الى هذه اللائحة فرقة مؤلفة تقريبا من ثلث مئة عامل من خيالين وسنانعي الفراء والاحذية الخ . . . مخصصين فقط لخدمة رجال القصر .

الطبقة السابعة

رجال الحرس

١ - ^{Solaks} السلطان وعم جماعة مؤلفة من اربع فرق انكشارية يتألف كل منها ثلثة من مئة رجل من قائد واثنين من الملازمين . وعندما يخرج السلطان بموكبه الكبير يمشي الى جانب فرسه اقواد اربعة والملازمون الثانية مع ستين جنديا من السلطان . وتكون ثياب الجند من الجوخ الثمين وقلنسوتهم محلاة بريشة طويلة ، ويرتدى الاقواد كساء من القطيفة الخضراء محلى بفروقه .
ويتمتع السلوك براتب احر من بقية رواتب الجند . ويضع لهم يوم عيد المولد النبوي مبلغ الف قرش . وهم يقومون في ثكنتهم في المدينة بمهمة الانكشارية . ويوجد دائما اربعة منهم لحراسة القصر بيدلون بنسبهم كل اربع وعشرين ساعة .

٢ - ال ^{Pekn} مكنون وعم يولفون فرقة من مئة وخمسين رجلا برئاسة قائد لهم . اما ثكنتهم فهي كانت قرب جامع السلطان احمد ، الا انه عليهم جميعا المكوث في القصر أثناء النهار . ينظمي ثلاثون منهم في موكب السلطان على جانبهم بين جماعة السلطان . ولا تقل ثيابهم قيمة عن ثياب هؤلاء .
يلبسون على راسهم خوذة من النحاس المذهب محلاة بريشة سوداء ، ويتسلحون بالحرايا وهوزي حرس الطوائف البزنطيين . وعندما يدع السلطان لنزهة يتبعه اثنا عشر منهم يرتدون ^{آنذاك} قسما مثل رجال شرف الصدر الاعظم (الشطار) او ردا من الجوخ المذهب مع منطقة عريضة محلاة بالجواهر

وخنجر موضح بالذهب وانعاكل منهم ريشة على عمامته وحامل رمحاً بيده .
 وكان ليجمل رجال الـ *Péiké* والسلاح فيما مضى الا عندما يرافقون السلطان الى
 الحرب ، ولكن على اثر حادثة الاعتقال التي قام بها احد الدراويش عام ١٤٩٢ على شخص السلطان
 ببايزيد الثاني صدرت الاوامر بان يرافقوا السلطان رنم دأنا مسلحون حتى ولو كان ذلك في العاصمة
 نفسها .

وتتبع فرقة الـ *Péiké* بيوت حامية وهي بنم واحد من اقدم رجال هذه الفرقة كل سنة
 بوليفة (محدعي باشي) اي حامل الاخبار السارة ، اي انه يذهب الى مكة ويأخذ من يد شريفها
 رسالة تطلع السلطان على خبر سامة دخول قافلة الحجاج الكبرى ويترتب عليه ان يكون في العاصمة
 يوم عيد المولد النبوي كي يقدم للسلطان رسالة شريفة مكة عند الاحتفال بهذا العيد في المسجد .

الطبقة الثامنة

حرس السراي

١ - " البستجي " وهي فرقة مؤلفة من الفين وخمسمئة رجل منقسمة الى ارباع او فئات داخلية
 في جدران التكمارية وعم علوة على انهم معدون لحراسة السراي والحدائق والجدران وبيوت متنزعات
 السلطان فانهم يشتغلون ايضا في الحدائق .

ولقد اطلق عليهم هذا الاسم " بستجي " لانهم كانوا في بادئ الامر مكلفين بتحويل الاموال
 الاراضي الخيرات لزوجة الواقعة داخل السراي الى رياض ويساكن . وهم يعملون كجذابين في زوارق
 السلطان وزوارق موظفي القصر . وعندما يخرج هؤلاء يتبعهم اثنان منهم او اربعة او غيرهم من
 الخدم " الحوخذار " مرتدين نفس الثياب التي " للبستجي " ويمكن تمييز هؤلاء عن غيرهم بقلنسوتهم
 المصنوعة من الجعج الأحمر .

وعنا ، تحت امرة رئيسهم " البستجي باشي " الموظفون الاتية اسماؤهم :

- ١ - الخاصكي اغا وهو ملازمه ويكون عادة خليفته
- ٢ - الاجاي كوخيه " (كولونيل) او قائد الفرقة
- ٣ - الـ القميجي باشي مفتش الدواب وهو تابع للبستجي باشي .

٤ - التوكه حي باشي * وهو محصل الضرائب المخصصة لمنصب البستجي باشي .
٥ - " البستجي لراوضه باشي " وهو وكيل رئيسه لدر الدولة ولهذا فهو يقسم في قسم القدر الاعظم .

٦ - " الوزير قولا " رسول بين السلطان والصدر الاعظم .
٧ - " الاغا قره قولا " يكون مركزه في قصر اعدا الانكساريه حيث يوجد برج عال مخصص لمراقبة الحرائق . ويقوم فيه الحراس ليل ونهارا ، وعند اول اشارة لحريق ما يذهب الاغا قره قولا راجعا عرسته الى رجال حرس المكان الذي حصل فيه الحريق ويأخذ من رئيس اذ ورعه بيانا يبين فيه مركز البيت الذي شب فيه الحريق ومدى الخطر الممكن حدوثه . ثم يذهب بسرعة فانقه ويقدمه لرئيس الخميان السود الذي يقدم بدوره للسلطان في اي ساعة كانت من الليل او النهار .
وقد بنى السلطان مصطفى الثالث حامعا في السراي لرجال " البستجي " واقام قربه مكتبة يستعملها مولفوه هذه الفرقة .

٢ - جماعة " الخاصكي " هي فرقة مؤلفة من ثلاث مئة نائب ضابط يترفعون عادة من بين البستجي . تكون ثيابهم مصنوعة من الخوخ الاحمر ويعلقون سيفا في وسطهم ويحملون عصا بيدهم . والذين يقبلون في هذه الفرقة يستلمون هذه العصا من القائد بحضور كل الفرقة . وعلى كل منهم ان يدفع لهذا القائد نفعا (دوقه) ويضحي بخاروقا يذبحه بيده في شجرة الفرقة الكائنة في السراي . ويدخل ستون منهم في مكتب السلطان يختبرون لهذا السبب من رجال الحرس . ويرسلهم رئيسهم البستجي باشي في احيان كثيرة في ماموريات الى الولايات .
ولهم موظفيهم .

١ - الباش خاصكي او القائد
٢ - " القرچيجي باشي " وهو ملقب بمعامل الكلل ويدفع من اجتهاد عشرة الف قرش في السنة للبستجي باشي
٣ - " البولق اميني " وهو وكيل امكة عيد التسمي في التروا وفي خواحي الاستانة يستأجرها من رئيسه بخمسة عشر الف قرش سنويا .

٤ - " الشراب اميني " وهو وكيل الخمر ولا يمكن لاي مسيحي او يهودي صنع الخمر بدون اذنه ، وله من اجل ذلك ضرائب تؤمن له كما تؤمن لرئيسه اموالا طائلة .

- ٤ - التركيحي باشي " وهو محصل الضرائب المخصصة لمنصب البستجي باشي .
٥ - " البستجي لراوضه باشي " وهو وكيل رئيسه لدى الدولة وله ذاك فهو يقيم في قصر الصدر الاعظم .

- ٦ - " الوزير قولة " رسول بين اسلطان والصدر الاعظم .
٧ - " انغا قره قولة " يكون مركزه في قصر انغا الشكاريه حيث يوجد برج عال مخصص لمراقبة الجرائز . ويقوم فيه الحراس ليل ونهارا ، وعند اول اشارة لحريق ما يذهب الاعاقره قولة راكمها عريته الى رجال حرس المكان الذي حصل فيه الحريق رياخذ من رئيس الازرعه بياننا يحين فيه مركز البيت الذي شب فيه الحريق ومدى الخطر الممكن حدوثه . ثم يذهب بسرعة فائقة ويقدمه لرئيس الخميان السود الذي يقدمه بدوره للسلطان في اي ساعة كانت من الليل او النهار .
وقد بنى السلطان مصطفى الثالث حامعا في السراي لرجال " البستجي " واقام قومه مكتبة يستعملها موافقه هذه الفرقة .

- ٢ - جماعة " الخاصكي " هي فرقة مؤلفة من ثلاث مئة نائب ضابط يوفدون عادة من بين البستجييه تكون ثيابهم مصنوعة من الخوخ الاحمر ويعلقون سيفا في وسطهم ويحملون عصا بيدهم . والذين يقبلون في هذه الفرقة يستلمون هذه العصا من القائد بحضور كل الفرقة . وعلى كل منهم ان يدفع لهذا القائد ذهبا (دوقه) ويضحي خاروفا يذبحه بيده في ثكنة الفرقة الكائنة في السراي . ويدخل ستون منهم في نوك السلطان يختبرون لذل السبب من رجال الحرس . ويرسلهم رئيسهم البستجي باشي في احيان كثيرة في مأموريات الى الولايات .
ولهم موظفيهم .

- ١ - الباش خاصكي او القائد
٢ - " القرجهجي باشي " وهو ملقب بمعامل الكلس ويدفع من اجسادا عشرة الف قرش في السنة للبستجي باشي
٣ - " البولق ايني " وهو وكيل امكة عبيد اسما في البرقا وفي غواحي الاستانة يستاجروها من رئيسه بخمسة عشر الف قرش سنويا .

- ٤ - " الشراب اميني " وهو وكيل الخمر ولا يمكن لاي مسيحي او يهودي صنع الخمر بدون اذنه ، وله من اجل ذلك ضرائب تؤمن له كما تؤمن لرئيسه اموالا طائلة .

٢ - "البلطجية" يندرجون تقريبا اربع مئة شخص من حراسة الامراء والميراث من العائلة المالكة وحرم السلطان ، ولهذا السبب فهم خاضعون لرئيس الخيالة السرد ، ويستعملون كغطاء للرأس قلنسوة دقيقة الراس من اللباد الاسفر . وكنتهم كائنة في الراي القديمة الا انهم يقصون النمار في السراي الجديدة .

وبعض امراءهم لخدمة القزلارغا وممازيمه وكاتبه وللرئيس الثاني لفرقة البلطجية ، ولكل امرا اراة من حرم السلطان ثلاثة منهم بقصون بخدشدا . وواحد لكل امير واميرة من دائرة السلطان . وللقب المبرزين منهم بقدوجي باشي او رئيس القدوجيه . وعند ايراق السلطان في ذهابه للحرب بعض نساء حرمه يمشي "البلطجية" قرب عرباتهم ويعسكرون حول خيمتهم . وكانوا يحيطون ان ذاك رجلا او حرة حيلة تنفي بال (بلطجة) ولهذا السبب اخذوا لقب "بلطجي" اي حاملتي القوموس مما ادى للقول بان عملهم هو في تكثير الحب .

وبعد موت السلطان او اي من بعد من مائته او من نساء حرمه والبلطجية هم الذين يحملون نعش المتوفي ويتأهبون في حفلة الجناز .

وامر قوادهم بعد القزلارغا هم :

١ - "البلطجي لركيخيه سي" هو رئيس الفرقة . يعمد بضيقته العريضة الدائمة من الحوخ الذهب ويقوم بموظيفة سامي الدولة لانهم هو الذي يعين عادة لحمل اوامر السلطان للصدر الاعظم .
٢ - "اليازجي افندي" امين سر القزلارغا والقائم بشؤون اوقاف الدينية المخصصة لمدينتي مكة والمدينة . وهو يحمل في وسطه كارة لوظيفته البارزة هذه . دواة فضية ذات ثلاثة انابيب .

٣ - "البوغاصكي" وكيل القزلارغا في دائرة الصدر الاعظم

٤ - "الخاصكي باشي" المحصل العام للاموال الزكية من اوقاف المذكورة اعلاه .
٥ - "كاتب" الخاصكي الاول . يلبس كل دولة المواقين على رؤوسهم قلنسوة من الحوخ الاحمر مبيطة بقلنسوة البستنجيه .

٤ - "الزلقو بلطجي" فرقة مؤلفة من مئة وعشرين رجلا مخدسون لخدمة موظفي عرفة السلطان . وتابعون للسلحدار اعلاه . وهم يلبسون نفس ملابس البستنجيه من سرو واحد وهو ان قلنسوتهم ليست محددة الراس كغيرها . وشحدر منه اعلى الخدين فغيرتان من الصوف . وهذه الصفات الصماء زلف هي التي اعطت اسم زلقو بلطجي لهذه الفرقة .

وهو لا هم موظفيهم .

١ - الكهنة رئيس الفرقة

٢ - ثلاثة من قدماء الاسكندر متعاونون في الرتبة

٣ - ستة من "لقوججيه" يقومون بتوزيع اوامر السلطان او اوامر السلاطين الى اصحابها

٥ - "الحواشي" فرقة مؤلفة من ست مئة وثمانين رجلا وينقسم الى قسمين عشرين رجلا يحكمها الجاوش باشي . ويوجد دائما قبيلة من تحت امرة قائدها "البله باشي" للخدمة في السراي . ويقوم رجال هذه الفرقة

بافساح الطريق للسلطان في الاحتفالات .

٦ - جماعة القباوي او الحجاب وعددهم ثمان مئة يقومون بحراسة بابي السراي الاولين . وهناك

اربعة منهم يتفقدون امام مدخل الحرم او قرب مركز الخديان السود وهم ماضعون للتلزاع . وهم يميزون عن غيرهم بلقبهم "بابا" ويتخذ قائدهم لقب اعا باباشي .

ويتبع ائمة رجال هذه الفرقة السلطان لما يله ربلان فيحمل معه ما يديره محلي بدفع الفرقة في عليه السلطان تدمر لما يمتلي صدوة حواء او عندما ينزل منه . ويطلق بولف المعد . السكلم اعا . وهناك يبره يخدمون في السكلم كحجاب لناداة الحجاب الدناوي .

الفصل الثالث

موظفو داخل البلاط والخدم النملان

يقسم خدم السلطان الخصوصيين الى ستة فروع وهم :

- ١ - فرع رجال الحرس الخصوصيين
- ٢ - القائمين على بيت المال
- ٣ - عمال المكاتب
- ٤ - رجال السفر
- ٥ - الخيaban السود
- ٦ - البيخير

الفرع الاول

فرقة رجال الحرس

وهي مؤلفة من تسعة وثلاثين موظفا يدعون " خاص اوضه لي " ويعتبر السلطان نفسه من هذه الفرقة فيصبح عدد رجالها اربعين ^{مجلس} وحوارتم يتفاعلون به . وهناك القاب ووظائف اسمهم رجالها بحسب ترتيب درجاتهم :

- ١ - السلحدار اذا اوحامل السيف ومورئيس الارطات او البلاكات الاربع الاولى التي ذكرناها ويعتبر " كالزلفويلطحي " اي الرئيس الاكبر لقدر السلطان . وعندما يخرج السلطان يتبعه حاملا له على كتفه اليسر السيف السلطاني ، الا انه في الاحتفالات الكبيرة يحمله على كتفه اليمين . وهو القائم على اسلحة السلطان وثيابه الحرية التي يستعملها .
- ٢ - " الجوخدارلغا " اي رئيس خزانة ثياب السلطان . ومو يتبع السلطان الى الجامع في الزعمه الاعياد الكبيرة ويرمي للناس قطعاً فضية صغيرة جديدة .

٣ - "الركاب داراغا" أي مولف الركاب يقبل على ركاب السلطان لما يعتل هذا صهوة جواده .

أي يتجسوا
ويمكن لبوزة المولدين الثراء بجلباسهم ، اما بقية "الخاص ارضلي" فانهم يضعون على رؤوسهم قلنسوة مزركمة بالذهب . وللسلطان داراغا وحده الحق في لبس الفراء . اما البقية فانهم يرتدون ثيابا طويلة مشدودا على وسطهم بمناقرة من الكشيش ويطلق على ثيابهم هذه اسم "اورطة كوحك" .

٤ - "الدليند ادا" هو مذهب للزنتاء بنعمات السلطان . ويتبعه في الاحتفالات الفخمة راجيا حواده . واداملا له عفة سلطانة يميله ايده . من وق الى اخر نحو الدار الذين يحيون باحترام . ويسير الى شماله خاص ارضلي اخر يحمل بيده عفة اخر يميلها ايضا نحو الحماير

٥ - "الزنتار ادا" أي الذي يحتفظ بالمفاتيح وهو وكيل مساكن الارض ووكيل مائدة السلطان *Anakhtar*
٦ - "البشكر ادا" أي الخصم لحفظ ساديل او سائف السلطان . وهو يخلف وكيل الخرج في حال غيابه .

٧ - "البنيش بشكر ادا" يقوم بصحبة "البشكر ادا"

٨ - "الزبرقدار ادا" أي المولف الذي يحمل اية من وحر يسكب الماء على يدي السلطان .

٩ - ١٠ - *Kusseé - Baschis* ما مولفان يدومان بوليفة الشرعة في ارضه .

١١ - المولفان باشي ار كبير المولفين في مسجد السراي . ويحرف على المسجد الذي يذهب اليه السلطان يوم الجمعة وهو الذي يقيم الصلاة .

١٢ - "السركاتب" أي امين سر السلطان الخاص هو من رجال موكب السلطان يحمل كل ادوات الكتابة في محفظة مزركمة بالذهب يحمله افي وسطه . وله حق لاي انسان غيره ان يحمل محبرة من الذهب في منطقته . ويقراء للسلطان عند رجوعه الى السراي المراكب التي قدمت له

وهو في رقبته الى الصاعد . وهو يعطي ايضا بمكة السلطان الخصوصية .

١٣ - " الباشا جوخدار " ار رئيس الخدم ونوابه على اربعين منهم وهم ينتمون للارطاة
الثلاث الأخرى . وهم ينتمون السلطان ويكونون مرتدين قلبا شينة وانعسين في وسطهم فنجوا
فخبا وسوا لينتهي بساكن اولفة من الفضة ، التي لرئيسهم فتكون من الذهب . ويومني على
يمين السلطان ولحم ايداه على رقبته حذاءه وواحد في جيب رداءه على صدره نعال السلطان
محفوظة في حاف من الحرير . ولرئيس الخدم هذا سواد يعطي على شمال السلطان .

١٤ - " الساركي باشي " ^{Savikdi} يلف عمامة السلطان المصنوعة من الحرير الدلم الابيض . له ويدي
لباس الرأس هذا " سارا " وتوضع العمامة في عرفة خاتمة اسمها " سارا اوشه " على بقاعد
صغيرة مكموه بصفائح الذهب والفضة .

١٥ - " الله وحي باشي " ار رئيس سابعي اقدوة وليس له من عمل سوى صنع القهوة المخصصة
لشرب السلطان .

١٦ - " انتفكجي باشي " اي حامل البندقيّة التي يقدمها للسلطان عندما يذهب للميد .
ويستلم من صيادي القصر ما اصطادوه .

١٧ - " البربر باشي " اي رئيس الحزقين بحلق مدح السلطان وهذان عادة في انه عندما يحس
اول مرة مدح امير من ابناء السلطان عليه ان يذهب الى الصدر الاعظم باحتفال ليخبره بذلك .
وهو يتناول منه بقدرة المناسبة قهوة من حلة السمور وكيسا من خمس مثاقيل ذهب (دوقه) وجوادا
مجهزا باثني عدة .

وتولاه السبعة مقرر مؤلفا هم الوحيدون من رجال الارلة الاولى الذين يحملون القبا
خاتمة . ويقوم السبعة الآخرون منهم مع خمسة من اقدم الاثني وعشرين خادما الذين يخدمون
السلطان بخدمة هذا الأخير في المكان المسمى " ماين " انما اور لمكان الحرم ويسمون " ماينجي " .
ويترتب على مؤلفي الارلة الاولى ان يجرسوا المسح الذي تحفظ فيه بركة النبي ورايته وثقة
مذلاته ~~وهو قريب~~ من مسكنهم . ويكون دائما اثنان منهم في الحراسة لمدة اربع وعشرين

أما أنه يمكن لأعضاء المجلس من أن يعرضوا من الخدمة .

الفرع الثاني

بيت المال

إن موافق حاتم الدائرة مفتوحين لحرارة كوز المراء المحفوظة في بناء واحد مؤلف من أربع قاعات كبيرة ذات سبع قاعة فوق سراديب ملحقة ويحرق هذا المستودع على عدد كبير من الإيلاء الشبهة قد حصل هذا أول أيام الدولة . أما زادت بدورة خلاء بهند الاستيلاء على القلاع الخليفة وإتقال بريد سروراشام . ويحدث بالحق في هذا الموضع كنيا قديم يونانية ولاتينية . وإذا كان هذه الكتب فعلا موجودة فمن هذه الخزائن فإنه يُنظر إليها بعين التطير كطلاس يمكن لسمها لو عرفت على أن الرافضيين (١) وأما المستودع أيضا غيره كن سلطان من سلاطين آل عثمان مع ثياب كاملة من ثيابه .

وهذان المختار كبريان بأسماء جميع الإيلاء الشبهة الموجودة في هذا المستودع وبسببها توقيع وزير المالية ، ويقدم على حاتم السلطان إدارة كنيته الخزينة رئيس الدائرة الثانية هذه وفي كل مرة يستبدل هذا الإدارة الخزينة من وجود كل هذه الإيلاء الشبهة المذكورة في الترخيص بالمر المستودع . ويكون ذلك العام كمال سواني الخليفة ، وتقدم هذه الخطة السليمة عادة من خمسة إلى ستة أشهر . والدليل لهذا الاختار هو الاختار الكبير الذي حصل في عهد السلطان محمد الرابع . وذلك أنه بعد وفاة التمر محمد بأمر سنة ١٦٨٠ ~~المر~~ وكان أيضا للخزينة توصل بعد المركز " بترقية " وجعل بين مشركه حوامر ^{الدولة} شيرا من الإيلاء الشبهة التابعة كوز السراي .

وأما موافق هذه الدائرة هم :

" لجنة الخزينة " أو وكل الخزينة الداخلية رئيس الدائرة وهو القائم على مصالح السراي ويتقدم للسلطان في آخر كل شهر لأربعة بنفقات السلطان الذي يوافق عليه بيان يخط هذه

(١) كل مجر ودان السوء للدخول إلى هذا المكان المقدس ذهبت عبثا .

الكلمات ، " مقبول مهموني در " اي ان حضرتي الالهائية تراثي فيها .

أوستلم هذا المولد عند تعيينه الختم الذي عليه ان يختم به الباب الخارجي للكنوز السلطانية . ورواقف الختم الذي اعطاه السلطان سليم الاول لخارج من خطته على سر . وقد اكتم هذا العمل ان يخرج من يده على كبر السر بين الذين يخلقوه ان يستعملوا دائما هذا الخاتم بالغمر الفخري الا اذا كان احدهم سعيد الحدث يتمكن من زيادة هذا الكثر بأشياء امن من التي قد تمسكها من فتوحاته . وهذا الختم هو من العقود الحمراء وضع فوق خاتم وكتب في وسطه العتيق " شاه سلطان سليم " وكتب في اسفله " ابراهيم " ترك على الخالق " الخصي له . واما بحق الذين الذين ان يفتح باب صندوق الكنز او يأتوا بالذي يسمي من السلطان واما كجار موافق دائرته وبعد ان يكون قهصرا الاختام .

وبما انه هو الذي يحفظ ايضا فرا وجواهر السلطان التي يستعملها اعاده فانه يكون حاضرا عندما يفصل ثوب جديد للسلطان ويجرى ذلك بنشئ من ^{الحناء} مصحوبا بالادعية للسلطان وقد الذي يخلف عادة السلطان اعا .

وله نائبان هما : " الخاتم باشي " والباش قلعي " . ونوب هذا الاخير عنه في يوم شتر ان السلطان عندما يقيم تيمنا في اثناء من الربيع والربيع فانه يمكن لوكيل الخزانة ان يتنوب اداء من السرا . اما بقية موافق هذه الدائرة فهم : الزنتار اعا " وهو مرطي وله دائرة الخزانة . " الباش بازجي " رئيس اكتاب ومخمس لتفقد حالة الخزانة وأعمال الامخاص الذين يوافقون موافق الدوائر ارض .

" الشنطحي " واسم مشتق من كلمة شنتة او حنطه وهي من الجلد السخيان امزركن تملأ بالذهب والفضة ^{كلا} عندما يتبع السلطان .

" السرفجي " مختصم للربط بين السلطان المرمعة بالحجارة اكرمة التي تحلي عهد السلطان " الكنيججي " ويحافظ على ثياب السلطان الرسمية الشخصية للاحتفالات وهي موشة بفرا السود من حلد الثعلب يرتديها السلطان في الاحتفالات الكبيرة . وهو يقدم هذه الثياب للسلطان الا بعد ان يعطرها بالعصنير ويجرى تعطيرها وهو ينفي الاناميد من بقية موافق هذه الدائرة " الطبق امكي " مختصم للربط بالاولائي العينية .

اشنان من " الشنكجة " واما خادمان يتبعان السلطان في نزواته ويحمل كل منهما بندرية محلاة

بالذهب والحجارة الكريمة .

الطبقة الثالثة

دائرة المكب

تتألف هذه الدائرة التي يرأسها مولانا يسمى " كملر كخبة " من مولفين يقومون بتقديم الذهب والياقوت والفواكه والبراريات والدراب ويرى من الشرائيات اللازمة لعائدة السلطان وحريمه كما أنهم يقدمون الكرم لسجد السراي . وهم يستمعون نوعا من النسيم الحرير الدقيق (ناقش) المذموم ويقدمونه للباشاين لفيد جواهرهم ، ويعتقد بان هذا العمل الخيري الذي يطلق السنة بولاء الصاكين بالصلاة والدعاء تجلب البركة والمنفعة للسلطان .

الطبقة الرابعة

دائرة السفر

كان قديم هذه الدائرة فيما معنى يتبعون السلطان عندما يذهب للحرب وكان سكرتير الرئيس عسل ماريس السلطان الداخلية الان مدرسة تعد الموسيقيين والمغنيين والمهرجين والحرقين والمغسلين للخدمة في السراي . يدعى رئيسه " سفر كخبة " ويخصص احد موظفيه وهو " الباشا قلفجي " لتسل اقمشه عائم السلطان الحريرة مرتين في الاسبوع في وقت فاضي كبير . وهو في عطلة هذا يقوم بقية خدم هذه الدائرة بترتيب الاناشيد .

ان رؤساء الدوائر اثلاث الاخيرة يستقون من بين موظفي الدائرة الاولى وحيث ديمكم الرجوع اليها الا اذا ترقوا الى رتبة سلكدار لقا .

ولكل من هذه الدوائر الثلاث الاخيرة ائمة مرئيين مولانا يدعون " بجقلي اسكلى " لانه يحق لهم حمل خنجر مرصع بالذهب والفضة في مناسبتهم .

ويجوز في كل دائرة ثلاثة او اربعة من الخراسان يرأسهم اقدم واحد بينهم من المنتمين للدائرة الثانية . وهو يقف على باب المعرفة السلطان عندما يكون في جلسته ، سريفة من الصدر الاعظم اومع

المفتي . وهم يضعون على رأسهم قلنسوة مريجة بالذهب تختلف شكلها عن بقية قلنسوات الخدم . ويتخاطبون فيما بينهم بالسمات سريعة يقدمها أيضا بقية رجال السراي ونساء الحرم كما يقدمها السلطان نفسه **الزهور** بتلبية الحال لا يسدر أوامره // إلى من حوله إذا بادرت من يده . وعلى كل حال فإنه لا يحق إلا للصدر الأعظم والكيفية بأن وحكام الولايات أثناء الخراسان في خدمتهم .

وفي كل دائرة ثلاثة أو أربعة اقزام بمارس خاصة . ويشدون منطقتهم بمشبعين من الفضة ويلبسون قلنسوة اسمها بلكن . ويعين لهم رئيس من الدائرة الثانية . وينحدر عظم بتسليط عمل البلاط بدعائهم التي يقومون بها في بعض المناسبات ويمتدئ الإباحة أمام السلطان . ويجوز في دائرة الحرم ثلاثة أو أربعة اقزام من الخصيان هم تسعة بين السلطان ونسائه .

يخرج من الدوائر الثلاث الأخيرة عدد من السوفيين يدعون جواش يلبسون نفس مزيي الاقزام ويقوم دأما بخدمة السلطان اثنان من كل دائرة يحطون أوامره إلى مختلف الدوائر . ويخبرون من مولد الخدم مخصصون لخدمة كبار مولاي داخل السراي ويطلق عليهم أن ذاك اسم "قلنجي" أن كل واحد منهم يلقب حسب نوع العمل الذي يقوم به مثل هناك "التحني" والقهوجي الخ

وهناك أخيرا في كل دائرة من هذه الدوائر الثلاث الأخيرة مولف يدعى "نوتجي باشي" يشرف على ما يدور في دائرة . ومو يستعين بأثنين من المحكومين بأمره بالشفقة يكونون غيدين الأرجل بالسلاسل لتأدية الأعمال المتعبة العروقة .

أن زى رجال هذه الدوائر الثلاث الأخيرة يوفى زى مولاي الدائرة الأولى غيرهم أن تبعثهم أقل زركمة ونوعا عن الشال الهندي ينسحقون بحزام على الطريقة الفارسية . ويدعون Itch-Oghlans . أي علمان خدم القسم الداخلي من Itch-Aghlans أي أدوات القسم الداخلي و"علمان خاصة" أي عبيد السلطان الخروصيين . ويقبل السيد السود في الدوائر الثلاث الأخيرة حتى أنه يمكنهم الوصول إلى أرفع الدرجات إلا أنهم لا يمكن قبولهم أبدا في الدائرة الأولى .

وهنا فيما مضى خدم العلمان من الشبان الذين تفضل الدولة أن تأخذهم من الولايات الأوروبية وعلى الأخص من البوسنة والبناتيا فكانوا يتلقون أول تربيتهم في ثلاث مدارس وهي : مدرسة غلطة ومدرسة إبراهيم باشا الكائنة في استنبول ومدرسة أدنة . ثم ينتقلون من بعد ما إلى دائرتين في

السراى تعرفان بالدائرة الكبيرة والدائرة الصغيرة لاكمال تدريبهم . ومن ثم يوضعون في الدوائر
الثلاث الأخيرة حيث ينتقلون منها الى الدائرة الاولى يكون ذلك على اساس التقدمية . ان هذه
الدوائر التدريبية القائمين المتخذة في قرقه التكميلية في اول انشائها اخذت تضمحل نوعا فشيئا
والسلطان ابراهيم الاول ازال مدرستي ابراهيم باشا وادرنه وازال محمد الهراي الدائرتين الكبرى
والصغرى .

يبقى قسم غلطة منذ ذلك الوقت المدرسة الوحيدة لتدريب الخدم من العلمان المودين
لخدمة السراى . وهم ينقسمون الى ثلاثة اقسام تحت رئاسة خسي ابيوزيدعى " سراى اعلى " يكون
تابعاً للسلطان ارغا .

وامتداد السلطان راره هذه المدرسة مرة كل عامين او ثلاثة ومويناقي من هؤلاء العلمان الذين
يقدمهم له رئيس قرقه عشرة او اثني عشر فتبصرهم الى اسرار حيث يوضعون في احدى الدوائر
الثلاث الاخيرة . ولكن بالرغم من ان القوانين لا تسمح لاحد بدخول هذه الدوائر الا بعد ان يكون قد
انام في مدرسة غلطة فان البعض يبيع احياناً المدرس الى ثبور بعد اشباع المنمين لعائلات
كبيرة او من اليتامى الفقراء المنتمين الى عائلات مديرة . فتسجر اسماؤهم منذ حداثة سنهم وعند
بلوغهم من التاسعة الى العاشرة يدخلون في احدى الدوائر الثلاث الاخيرة حيث يترقون بسرعة
تحت رعاية السلطان ارغا . وكان السلطان محمد الثاني والسلطان سليم الاول ذقبيلان الى علم في
خدمتهما قبل ان يعرفا حسن حاله من المنحيين . وكان عدد علمان مختلفة الدوائر والمدارس فيما
مضى ايام من السراى الا انه لم يبق الان منهم سوى مائة . ثلثهم في غلطة والثلثان الباقيان في
السراى .

ان مسكن هؤلاء الذين في السراى قريب من دار السلطان المسى " رايين " يسكنون ~~كل~~ كل غلطة
بما في قرقه اعلى يسمى *baghche* ان كبار الموظفين منهم يسكن كل واحداً في جناح خاص .
وحيث انهم احرار حفين من الدارين تعلوها المنابر ويحيطها اقدم الخدم منهم . وفي منتهى كل عائلة
عرة من الزجاج تستعمل ليدعى احد رؤساء الدائرة . ان هذه الدوائر مزينة باثمن زينة لان السلطان
يشرفها بعض الاحيان بحضوره . حتى انه من المعتاد ان ياتي في الدائرة الاولى الليلة التي تسبق
يوم العيد حيث يسمح خدما في مواضع اخيرة وقلمية ويشاهد بعد ذلك العجايب المختلفة يقوم مرضها

والا حسب رايه تدبمه ان بالبوابة السبعة توضع فوق الطريق حيث يوافق عليها السلطان بان يكتب بده كمنين ليه . ويقدم فلان الدائرة الثالثة ايضا تتدبم الزاوية ايسر من سابقته . وفي مؤلفه من ماء اول مارنيسان يجمع من على سطح ونوش في اوان من العيني . انه يعتقد ان الماء نافع للصحة الا انه يحصل في بعض الاحيان ان اسرار له على في نيسان ولكن الخدم يستعيضون منه بما كانوا ^{قد} قالوه من مارنيسان في السنة الماضية . وينح ايضا لكن واحد منهم الت بارة .

وبما انه ينسب على تولد المولفين والخدم ان يتبعوا دائما في السراي فانهم لا يتزوجون ويسمح قدرا للسلطان اياها واسم الخليفة المعنى في المدينة وذلك يمكنه من الزواج . الا انه ايضا لا يحق له ما السباب عن القدر سور مرة واحدة في السبوع وينح السباب قدرا في مساء يوم الخميس . كان يحق لخدم ان يما معنى ان ينكحوا دائرتهم بعد ان يخدموا سبع سنين فيها وان يتولفوا في الدولة كل حسب درجته الذين ينتمون للدائرة الاولى كانوا يحصلون عادة على وظيفة قبوجي باشي . اما البقية فقد كانوا ينتمون في رتبة القيسان . الا انهم خسران هذه الحقوق التي زالت منذ امير . بل كان البواب ابقوه على اثر ثورة فرقة الفرسان اتاء الاضطرابات الفرية التي قامت بعد نكبة السلطان عثمان الثاني وابراهيم اول . اما الان فليس ثمة هناك غير العجزة من خدم " الناص اوزلي " وانفقد بين في السن وخدم السراي الداخلية الذين البوا في المراتب البسيطة الذين يلتصقون اطراف سرايهم . وهم يحصلون ان ذاك بمعية الراي على عمل صغير . الا ان موافق الدائرة الاولى يتوصلون بسهولة الى اقداء التراكوا الرفيعة . وانه من النادر ان يحمل السلطان اذا على منصب حاكم ولاية مع منحه الرتبة الباشوية من فوات الاطوار الثلاثة حتى انه شوعد بين موظفي السراي مولد من تقدم راسا الى قصر الباب العالي متقلدا رتبة العمارة .

الطبقة الخامسة

الخصيان السود

ان عولاء الخصيان وندد هم يقارب المثبتين وهم مخصصون لحراسة الحرم السلطاني ولهذا السبب يدعون اغاوات الحرم . ورئيسهم هو القورلغا اي اغا الفتيات وعوض ^{نفسه} بالوقت برأس فرقة البلطجة .

ومدير المدير العام للوقوف الدينية المخصصة لمكة والمدينة ولجميع باقي الوقوف المتينة لأكثر جوامع العاصمة والولايات . ان هذا المنصب يجعل له اخبارا كبيرا . وتحصل بواسطته جميع المخابرات التي تقوم بين السلطان وبين الصدر الاعلى وهو يحمل رتبة اياموية من ذوات الاطوار الثلاثة وهو الوحيد من بين موظفي السراى الذين يحق لهم استخدام النساء الجوارى . واذ ابتغى فانه يرحل دائما الى مصر . بخلافه عند ذاك اما امين الخزانة او رئيس السراى القديمة او حاكم المدينة المنورة .

وباني بعده في رئاسة تولاه الخصيان الخزندار انما هو وكيل مسارب الحرم وفرقة " البلطجية " يقدم كل ثلاثة ايام ربه حساباته لأمين الخزانة رئيس الدائرة الثانية . وعمر يحمل ايضا رتبة الباشوية من ذوات الثلاثة الاطوار .

ان اسم موظفي الخصيان السود بعد الخزندار انما هو ابانر محاسب الذى يبقى دائما عربا من السلطان لكي يحمل اوامره الى القلراغا .

وهناك ثمانية او عشرة من اقدم موظفي هذه الفرقة يطلق عليهم اسم " محاسب " يخدم كل اثنين منهم دار السلطان مدة اربع وعشرين ساعة ويقومون بتوسيل اوامره لرئيسة الحرم . وهم يتوصلون بتوصلون عادة الى منصب حاكم المدينة المنورة .

اما بقية الموظفين فقدم " الاوضة لالا " ووكيل الخزانة " والباقر قبوا وعلان " واليلىك باى قبوا وعلان " الذين يقومون عادة مقام حاكم السراى القديمة .

تحرى لدولة العليبيد السود وهم في حادثة سنة ثمانية الخصى اتمامه . وافضل شريعة تعمل لشرفائهم من هذه العملية التي وعابا ما تكون مهيئة هي ان يفردوا ^{الى} وسطهم بالرمل مدة اربع وعشرين ساعة . ان اباهم انفسهم هم الذين يخدمونهم لكيما يبيعونهم باثمان باهظة . ويقوم حكام الولايات وشاعة حاكم ولاية مصر بواجب تقديم مثل تولاه الخصيان عديدة للسراى . وللكبار الشخصيات ميزة استخدام خصيين او ثلاثة في حرمهم .

الطبقة السادسة

الخصيان البيض

يوجد في السراى ثمانون خنثيا تقريبا من الذين احرمت لهم عملية " الخصى " الخبير الكاملة او

أو البسيطة . يدعى رئيسهم قبوظم اعا . واعم اسرانيين من بيده عود . الخاضع اوضة باشي "يحمل
احدى الاختام السلطانية الثلاثة التي يستعملها في ختم الامراء الثمينة التي تحفظ في بيت السلطان
كما تحفظ ايضا زخارف النباه التي يورثت بوضع سر بيده النبي عليه اوالتي يفرها السلطان في
الخامس عشر من رمضان على كبار رجال الدولة . وهو الذي يلبس اللخسيات الخلى السنية او انفراء التي
احمها السلطان عليه . يحفوره . وبما انه في كل مرة يحلق السلطان شعر راسه يقف الخدم مصطفين
امامه وايديهم على صدورهم فان الخاضع اوضه باشي يقف اذ ذاك على بضع خطوات من الاريكة قابضا
بيده اليمنى على عصا محلاة بصفائح الذهب والفضة .

اما بقية موظفي هذه الفرقة فدموا السراى الذى يحكم السراى عندما يكون السلطان في احد دور
شجراته ، والخزندار باشي كىل مصادر الفرقة وهو يقدم حساباته لرئيس الدائرة الثانية ،
والقلجى باشي مفتش حسابات اريف المداين ومكاتب القصر .
يسكن اللخسيان السود قرب الحرم اما اللخسيان البيض فيسكنون وراء باب اسرار الثالث المسمى
باب السعادة . فالسراى هي سجنهم وقبرهم اذ لا يحكمهم مفارقتها قط . وليس لللخسيان البيض
من امل سوى الترقى الى منصب مدير مدرسة علمية للخدم الخلدان وهو منصب يمكن ان
توصل صاحبه عادة الى منصب القباغا .

وهو الذى رئاسة اللخسيان البيض اول وظيفة في السراى عده ثلثه قرون وهو لا يشترط هذا المركز
ان ليستلم وظيفته حاكم ولا يجب ان يكون اذ ^{في الامم الغالب} ستر في الجبال العالية . وقد توصل كثيرون منهم الى
رتبة المدايرة كالخصى علي باشا والخصي بنان باشا والخصي سنان باشا الخ . واشتهر معظمهم
بمقدرتهم وبواعثهم في الفنون الحريية ولكن الشهرة كان عصفرا اذا وثق من اصل مجرى اسرني صغره
وربي بين علمان السراى واعتنق الاسلام . وقد خضع لوامر السلطان سليم الثاني وقبل ان تجرد
له عملية الخصي المهيئة لكيما يصبح رئيسا لللخسيان البيض الذين كانوا الوحيددين اذ ذاك في خدمة
السلطان . ثم توصل الى منصب رئاسة اللخسيان البيض حيث بقي فيه يتناول مرتبا كبيرا مدة ثلاثين
سنة اثنا . حكم سليم الثاني ومراد الثالث ومحمد الثالث وكان له تأثير كبير في شؤون الدولة الا انه
قتل سنة ١٦٠٣ - في ثورة قام بها الخند . ومنذ ذاك اخذ الاعتبار المعطى لرئيس اللخسيان البيض
في النزول ولوحظ ارتفاع شأن موظفين من موظفي القصر وهما : رئيس اللخسيان السود والسلحدار لقا .
وكان علو مركز الواحد بالنسبة للآخر يختلف حسب تقربهما وحظوتهما من السلطان . وكان رجال

السلحدار اقوياء مدة حكم كثر من السلاطين . فالسلحدار مصافى باءا والسلحدار يوسف باءا الاول
 زمن مراد الرابع والثاني زمن السلطان ابراهيم كانا من وزراء القبة عتومان بولايتهما هذه في السراي .
 وقد تولى السلحدار يوسف باءا الى منصب امراء البحر وقاد اول حملة على جزيرة كادييا . مع ان
 وايضا سلحدار كانت دائما تابعة واقل شيئا من منصب رئاسة الخصيان البيض . وهؤلاء لم يخسروا
 افضليتهم الا سنة ١٧١٠- في حادثة استحقوا الذكر . وهي ان عثمان ادا رئيس الخصيان البيض
 وكان رجلا قاسيا ومتكبرا حاول استرداد ما كان مركزه من افضليه . وبما انه كان يحسد السلحدار
 علي ادا على ما كان عليه من المنة فقد علم على ازالته من امامه . وفي احد الايام عندما اراد السلطان
 احمد الثالث ان يقوم بمنزلة الى " سعد اباد " وهو مكان معروف الآن باسم " الياض النائية " .
 تجرأ رئيس الخصيان البيض وش السلحدار من الدخول الى عربة السلطان وهدده ان فعل ^{السلطان} بسلطه
 حيا . ^{ان} ~~من~~ ^{ان} السلطان بزورقه الى المكان الذي كان ينتظره فيه موكبه فتعجب جدا من رؤية
 السلحدار يستحل مخطط السلحدار بعدم رافقه . اراد ان يخرج امره بالسود التي التزكت واكد عليه
 ان يشرح له سر ذلك . ولما فعل ذلك غضب السلطان من وقاحه رئيس الخصيان ولم يكذب ينزل في
 " سعد اباد " حتى اصدر امرا بخلع رئيس الخصيان البيوز من رئاسة قسره وانطأها للسلحدار اعا .
 وتلى السلاطين من بعده يعملون وفق هذا الترتيب . واشتهر هذا السلحدار نفسه فيما بعد
 باسم الداماد علي باءا الذي رقي الى منصب الصدارة وتزوج احدى بنات السلطان وقد اخذ العورة من
 ابتدائة . ومات عام ١٧١٦- في معركة ^{سمرقند} ^{سمرقند} التي انتصر فيها الامير اوجين انتصارا باهرا .
 وقد صمم زمين تسنم الوزارة ان يحط من شأن الخصيان السود حتى انه اراد اقتداءهم بالمرءة .
 وقد قدم لهذه الغاية كل العوارض والاسباب الى السلطان احمد الثالث الا ان هذا رأى انه غير
 مناسب بعد نفاد عادات القصر القديمة . الا ان رؤساء الخصيان السود استردوا بعد موت منافسهم
 النقوي . اكان لرؤساء الخصيان البيض من شأن وخلفهم في اداره شؤون الاملاك الشخصية للملك
 والمدينة ولمعظم مساجد الدولة .

والقزلباشا هو ان البيوز اول مؤلف في السراي ولد في الدونيه الزوا الكبير . وتأتي رتبته حالا
 بعد رتبة الصدر الاعظم والنقوي . وكان رؤساء الخصيان السود هؤلاء يديرون شؤون الدولة في انشاء
 قصور الامراء او اثناء حكم السلاطين الضعفاء العديمي القدرة . وقد حصلت في غالب الاحيان من

اجل ذلك مازعات فاضحة بينهم وبين الصدر الأعظم .

فرفض الخديان السود ورئيس الخيالة الباشا السلحدار والحويدار واعاوات الركاب وروما
الدائر الثالث الخيرة يعرضون من قبل السلطان ^{الفرعون} هو بلدهم ضلعيهم بان يخلع عليهم بحضرة
نراء من حلة الاسود . وهذه الخيرة تجعلهم مستولين من اسدر الاعظم الذي يشرف على كل المناصب
حتى على اولى مناصب الباشا . ويجوز لهم مقابر ذلك ان يقدم كل منهم للسلطان مذكرات عن هموم
دائره .

ويجب ان يكون بارط السلطان سابقا يكون سابقا من فرقة تعد (١٢٠٠٠) رجل تعرف باسم
" تلح " او سيف دالة على فتوا الحكمة . ورايها عدد بينه محمد الثاني لفرقة انكشارية
وكان ارجح اعتقاد ينبغي يشير الى هذا العدد (١٢٠٠٠) ^{مسلم} المتعيين للمحاربة من اجل الدين .
سر ان هذا العدد يختلف كما يختلف عدد الانكشارية حسب المناصب ^{وبقده ما يكون} ~~بحسب المنصب~~ ^{للسلطان} مقتضا .

الفصل الرابع

الحرم المايوتي

كان اول السرايين الشانين يتزوجون من اميرات مسلمات ومسيحيات فارخان تزوج نيلوفر
ثانيه امير *Yar Hissar* الجرجاني كما تزوج تودورا ابنة امبراطور *Jean Cantacuzène*
وتزوج مراد الاول اميرة بزنطية وهي ابنة مانوئيل الثاني . وكان لبيازيد الاول ثلاث نساء ،
ابنة ملك كرميان *Kermeyan* واميرة بزنطية ومارو وهي اميرة عربية وقعت معه في الاسر في حربه
من نعلند . اما زوجه محمد اذرن فقد كانت اميرة من ابيستان *Elbistan* وتزوج خليفته مراد الثاني
اميرة من قسطنطينيا كما زوج من امير ابنه جورج ملك الصرب . واخيرا فالسلطان محمد الثاني
كان متزوجا اميرة من ابيستان واخوه من قسطنطينيا .

وقد تكرر ثلثة سائر طين بعد النساء من بينهم وذلك بعد ما الى حريمهم . فعثمان الاول
تزوج ابنة المفتي الشيخ اخيالي وعثمان الثاني تزوج ابنة المفتي اسعد افندي . وفي سنة ١٦٤٧

احتفل ابراهيم الاول بزواجه من احدى نساء حريمه *Telly Kharseki* التي لتبت بعد ذلك بالشاه

سلطانة . وهذا ذلك الوقت لم يتزوج احد من حاشيته الى عثمان ، الا ان كثيرين منهم عقدوا روابط
 امنية ^{منهم من يوفونهم من نازية} ارضك لضيقهم مع بعض نساء حريمهم كما حذر فيما بعد . ولهذا قال حريمهم لم يكن
 هؤلاء الذين السراي . والمسلمين كان يفتنون بالبعد عن السلطان كمدية من السلطات
 ويجارحاز الدولة وحكام الولايات . ومن كان يريد ان يقوم بعمل هذا العمل نحو السلطان فانه
 يعني بتربية فتيات ممن خصتهن الطبيعة بالزوايا الحبيدة . وعندما يحسن في العاشرة او
 الحادية عشرة من سنهن يرسلن الى السراي بافخر زينة .

اما الجواري التي ياتون للسراي من قبل رئيس حرم الى ذلك . وموافق
 كبرهن جمال وحاليتها يتبعن لافكار بعض المراكز الدارة في اخر مراتب الحريم . الا انه
 ما من فتاة تقبل مداما كان الشخص الذي تدعى قبل ان تفحصها امرأة مخدعة لشغل هذا العمل .
 لموجود اقل عادة جديدة فيها كقيل رفضها .

واللائي يقبلن حديثا يتعلمن مبادئ الدين الاسلامي على ايدى بعض النساء ، كما يتعلمن
 الزمان والحكمة والاعمال والتطبير ويترين على الموسيقى والرقص اذا امكن استعداد لذلك . وبعد
 هذا التدريب الاول يبدأن عملهن في الحريم الذي قسم الى خمس مراتب : مرتبة الخاتون *Padishah*
 وهي كلمة سحرقة من خاتون ومقلب يعطى للنساء اللاتي من اصل طيب ويقابل كلمة سيده ^{مسيده}
 بمرتبته *Quedukli* والـ *Custas* والـ *Shagirdes* والسراي .

المراتب من رتبة خاتون . ومن حاليه السلطان . يحصلن على من امتيازات التي كانت
 السلطان ان التقديرات روحان السراي ويتحدثن بها . ويكون من بين الاربعة الا انه كان معه
 ليعود الاول من بينهن . وبعد الحيد في اخر الحكم سيج . وان عدم الاستعداد هذا والسراي
 الحريم الكبيرة في زمن كبرت فيه الحائث كان من اسباب ملأه الشعب له .

ويجوز ان تكون النساء بعدة السراي : الخاتون الاولى : الثانية : الثالثة : الخ . وذلك
 حسب اتديتهن . وقبل من احد الفاتح كان يعطى لقب " خاتون " لانهما " للتي تلدهن من
 السلطان ولدا ذكرا . اما التي تضع انثى كان تلقب فقط " خاتون " .

وعندما توفي احدى السراي الى رتبة خاتون فان رئيسة السراي تدخل اقرارا لسلطان
 عند الحريم وتلبسه افروقة من حلك السمور . وبعد ان تحصل على هذا الاعتبار امتياز تذهب وتقبل
 رداء السلطان الذي يجلس الى جانبها . وفي ^{نفس} اليوم يجلس له اماكن سكن خاص كما يعيه
 يمين لها حواري لخدمتها . وموظفين خاصين ولكل التزام ابداء .

وحيث هم ^{الزوجة} من نوحوا حظائهم قبل ان يرفعون الى رتبة داتون . وقد انقسموا
 منهم الى رتبة اكي يوتوا بكمية ميراثهم البقية . الداتون الذي من انتماء شخص له ميراثا
 اذا كان ارثه من سيد وجارته لا تكون قانونية الا اذا كان متاكدا من انه لم تولد مسلمة ولا
 حرة . واذا كان يفتقر مثل هذا الاثبات ويريد معادرتها عليه كي يطمئن ضميره ان يعتقد
 ويتزوج . ويتزوج الداتون بعد ان يحدد ان حالته المستقرة بحدوث الفتى بدون او احتفال . ومن مثل
 ذلك في الميثاق الذي اشاله السلطان عبد الحميد . ان هذا الزواج الذي يمارسه اثنا جدا
 لا يرفع خاتونا فوق رفيقاتها الا اذا تمتعت باعتبارات شخصية عالية .

٧ - النساء من رتبة (١) *Quideklis*

من بين النساء الداتون . بركات شان يحملن اسم وظيفتهن مثلناظرة المائدة
 وناظرة الملابس الخ . . . (جاشنكير اوسطه) (رحامير اوسطه الخ . . .) ولكل واحدة من
 اثنتي عشرة الداتون . داتون خاص لهن يولفن القدر الداتون (خاخر ارضه لي) ويلقبن
 مثلهم باسم وظيفتهن الداتون . واليات الداتون . ان اجبت الى ادراك التقديمه فان الداتون يستلم
 اختيار التي ~~من~~ منهن . من هؤلاء القتيات الذي يولفن نفقة الحريم . وغرامة السلطان
 لندائه تكون من هؤلاء القتيات . ويقتب تلك التي حق اختياره عليها " انبال " او المقتاه او
 الشهارة " لو " نام اوزه لك " (٢) او خاتمة مرة السلطان ان اندا تبقى مع رفيقاتها ولا تحمل
 على رتبة خاتون الا اذا حملت منه .

لم يكن السرايين ابقا يتبعون او تقاد من هذا التبعين فقد كان لازم عدد كبير من النساء
 ويبرون من مرات متعددة . وكان لكثيرات منهن خدام اكثر من شرفته . ولم يكونوا ينجحون رتبة
 داتون الا واحدة او اثنتين من الدواتي انجبن لهم ابناء . وكان مراد الثالث من الخرمساريين
 ان يشاء ميراث النساء فقد كان له منه شرشون ولد او شرشون عند موته ستا وعشرين ابنا وعشرين ابنة .
 وكان يحاصر اربعين محبوبة من " الخاخر اوزه لك " ولم تتوصل والدته التي هالدا محراطة الى
 اقتناعه بهذا العدد الا بعد جهد كبير .

(١) كودلي معناه احره وراثي ويدل هذا الاسم ايضا على عدد كبير من الموظفين المدنيين والعسكريين

(٢) مراد بكلمة " خاخر " كمن ماضو مخصص لخدمة السلطان وبكلمة " اوزه لك " ما امر متعلق بالشرفه

واخذ السرايين منا محمود الزرعي ملوك في بولهم ولم يحدوا الزليار عن قاعدة تعشوا عليها
في سواة الخزينة والراي العام .

١ - النساء من رتبة " اوسطه " ويدين ايضا " خلفس " ومن يخدمه السلطنة والولادة
والخدمة نساء السلطان من رتبة " اوسطه " و " خلفس " أي في الدار الواحد منها من عشرين
الى ثلاثين فتاة . وتحمل كل فرقة من هذه الفرق اسم الشخص الذي تخدمه .

٢ - ال *Shaygundes* او المبتدئين يدعى الشخص المراكز الشاعرة في رتبتي الكدلي وادسطة
اما بقية نساء الحرم فانه يطلق عليهن لقب حارية . ويقمن بالاعمال العادية . ومن النادر
ان يخرجن من هذه المرتبة الاخيرة .

والحرم الداخلي يتألف من خمس الى ست مئة امرأة من مختلف الاقطار من اوريا واسيا
وانترقة . ومعلمتهن يحلن اهل . ويتخذن اسما مختلف عن اسما النساء الا حرام كاسم حياتي
ومغاي و *Mottesté* او التي تربي القلب ، ويراد بها رتبة ار او زمره الربيع الخ ولهن
رئيسة كبيرة يعطيهن الاسما " كخيمة خاتون " ينتخبها السلطان عادة من بين اكبر نساء
ال *Guédiklis* نساء . وللدارلة بلى مركزا ورتبنا فانه تحمل على الرئاسة محلة بصفائح الفضة
وخاتمها ما يوزن تستعمله في غتم مختلف الحاجيات الموجودة في جناح السلطان . ويحفل لها
بكر النساء منتدئ اعتبار حتى ان السلطان يمنحها لقب والده اذا لم تكن والدته على قيد الحياة .
وتساعد افي رايته اهذه نايبة لها تحمل لقب غارزة (غارندار ، اوسطه) وهي تعنى
بشباب السلطان وتشرف على مصروف الحرم . وترافق نساء القصر ما يذهبن الى دور النزهة لقضاء
الصيف بينما تبقى الرئيسة الكبيرة في المدينة من بقية الحرم .

ويحيط بدائرة الحرم في القصر سور عريش له منفذ واحد الى الداخل وهذا المنفذ معلق ببابين
من البرونز وبابين اخرين من الحديد . ويقوم على حراسة هذه البواب في الليل والنهار جماعة من
الخيربان السود ^{مست} ويمكن لرئيسهم نفسه ان يتعدى هذا الحد اذ يامر رسمي من السلطان . ويقع
في وسط دائرة الحرم هذه جناح السلطان الخاص . والمكة الدامة فيه هي غرفة النوم وغرفة
المرور . ففي غرفة النوم يقوم سرير السلطان على مكان مرتفع ويحيط به سحاف من الحجر الاطلال

مركزه بالذهب والدر الثمين . ويتألف اثنا عشر غرفة من أربعة مضاعفة بتعاقب من الحين المذهب وفي غرفة العرش يستقبل السلطان الميراث من عائلته والنساء من رتبة خاتون كما يحتفل بها بالكر الأعياد المدنية والدينية . وهي محلة يتقرب من رتبة الأرائك وتقوم في الزوايا الأربع عرش تتويج الذهب بالحجارة الكريمة . ويوجد وراء هذا الحجاب بناء ^{مكبر} من ثلاث عشرة غرفة تؤلف دائرة ثياب السلطان الذي يسمى " كمر الحرم " وموتحت عناية نائبة رئيسة القصر . وبالقرب من هذا المكان توجد غرفة الحمام أرضها من الرخام تقيم فيها عوايد من الرخام الساقط . ويخدم السلطان في الحمام نساء من رتبة الد " Guédikhis "

وهناك بناء مدور واسع ذو قبة أسمة " صوفا " يؤدي من ناحية إلى جناح السلطان ومن الناحية الثانية إلى دور النساء من رتبة " خاتون " . وهذه الدور ملتفة حول هذا البناء المدور وكل واحدة منها مؤلفة من عشر إلى اثني عشر غرفة ويسكنها نساء من رتبة " خاتون " بحسب قدميتهن . وتقوم من الجهة الخلفية دار رئيسة القصر الكبرى ودار مساعدتها . ثم تقوم على مسافة قريبة ابنة الدار ^{التي تسمى} *Guédikhis* وال *Guédikhis* وال *Guédikhis* وال *Guédikhis* وال *Guédikhis* وال *Guédikhis* وهي مفترقة عن بعضها البعض ولكل خاتون حمامها الخاص وكذلك لرئيسة القصر الكبرى . وهناك حمام عام لبقية نساء الحرم يكون جاهزا في جميع أوقات الليل والنهار .

ولا يشاهد النساء من رتبة خاتون بعضهن بعضا إلا نادرا ولا يتزاورن إلا في الأيام الرسمية حتى هذا لا يحصل إلا بأذن من السلطان أو على الأقل بموافقة رئيسة القصر .

ومن يرتدين ملابس مبررات من أرباب السلطان . والعلامات البارزة في ملابسهن هي مشابهة من الناس وأكمام خارجها من القروتصل إلى الكعب ، ويخيل من الشمر فوق الجبين ، ويكون بهذه هذه الملابس بصورة خاصة في جمال الشال الكشميري الذي يستعمل كوشاح لتغطية الرأس والكفين . ويرتدي النساء من رتبة " اقبال " أجوان الشبقة وفي الشتاء الثياب ذات الفراء . أما ثياب *Guédikhis* وال *Guédikhis* وال *Guédikhis* فهي طويلة الذيل ومبرسمون لهن بلبس الفراء ، إلا أنهن يضعن على وسطهن الشال مثل النساء من رتبة " اقبال " أو بزنانير تندي بمشابك من الذهب محلاة أحيانا بالحجارة الكريمة .

وتتفاضل النساء من رتبة خاتون حسب درجاتهن . فالأولى منهن تتفاضل عشرة أكياس في الصدر أي ٦٠٠٠٠٠ قروش سنويا . أما الباقيات فتأخذ كل واحدة منهن كمسا انقصر من التي اعلى

ويوجد في الأبنية وفي " ستة أوصية " حمامة آفلة يقوم على خدمة السلطان فيها من غنمه وعلاته

والدولوة . وعلى نوايا السير الزرع كرام من الفضة محبرة بالاحجار الكريمة ويتدلى من اعزء اثنتا عشرة حبة من الدولوة والياقوت . ومن شافق من الحرير ان الس اقمري اللون ايضا ومن اريكة من الاليس الازرق . (١) ان هذا الاحتفال بهذا السير المدة ستة ايام فقط لا بعد ما ينقل الى مكان معد لحفل اذ كان ~~حيدر~~ ^{سلا} ^{عائفة} يخرجونه مرة ثانية او عندما تكون حفرة الخاتون في حالات الوضع . وبما ان الاحجار الكريمة التي تزين هذه الحفزة تبقى دائما في بيت المال فان المصاريف لا تكون باهظة جدا . وبعد ان تستقر الخاتون في هذه الحرفة ترسل رئيسه اعد رباعات دعوة تدعوا فيها السلطانات المتزوجات ونساء اعم شخصيات الدولة ليحضرن ويقدمن ثنائيهن . وتكون بمخافات الدعوة هذه حماية بالآواني ائسني المملوة مراكبا . وتجنب انما المدعوات عدا السلطانات عند زوجه السدر الاعظم حيث يركبن العربات ويدعين حفا الى الحرم السلطاني .

وبعد ان يدخلن الى غرفة النفساء بحرية ا بوضع مفاد من على طرف عشاء السرير ثم يجلسن على الارائك . وبعد برهة وحيزة تدخل السلطانات . وبقية نساء السلطان فيقدمن ثنائيهن للنفساء ثم يجلسن على اريكة تحت لحن غنية ا مقابل السرير كي يحزن عن بقية المدعوات . وفي اثناء هذه التظاهرة نقاء جارشان مترفعان الاستار عن السرير حيث تكون ~~ال~~ القابلة في اسفله قرب العرض التي تكون حاملة المولد الجديد . وتسمع اثناء ذلك انما شجبة لطيفة مادرة عن جايات فوجيات حائيات فوق الطنفسة .

وبناء ~~في قصر~~ ^{في} الحرم السلطاني كما يضاف باقي اسرار ويكون هذا ادارة لافراج الدولة . وقد وتلع اذكور في ان لا انشاء المدبر الدام الذي يغسل بين بيت السلطان وبيت نساءه . وفي هذا المكان تتدلى الابواب من نساء القصر في التيام بجميع انواع التكاليف . فظلمتهن ~~حفظ~~ الحرية للقيام بجميع انواع الالعاب المرحدة . فيتخفى ابع سندن على بيثة اتراك والبعدي الاخر على هيئة اوروبيين فيقلدن بساطرة مقابلة احد اسفراء الاحاب للصدر الاعلى ليسمع منه خبر اعلان الباب العالي الحرب على بلادهم . فيقبضن عليه ويسقنه مصحوبا بغيرا ~~السعر~~ ^{واسفراء} . او امنن يقلبن الى هزة ماتم اليونانيون فيثمن بماريس رجال الدين حاملين اسبخرة ويرتلن مثلهم بينما تردد باقي النساء ما

(١) لقد اتبع الكتاب عدة مثل هذا الاشك سنة ١٧٧٩ عند جوهر السراى حيث كانت تستحل ثمانون طرازة تقريبا كلهن مسيحيات .

الاعوام ثم ير الى هذه الشاوية . ولا تحاول السلطان في هذه العادة لبس او ثلاثة فان ذلك يعني انه مشى كغيره على وزره الاول الذي غالبا ما يقدم مع هذه التقدمة لولده حوادا جديلا مجفزا ابيض اللون . وعلى الاغاليات المزوجات والاكمام في المدينة وعلى امير البحر ولغا الاشكارية ورئيس الحماران ان يراوا ايضا للدار وهذه العناسة الاولى من السني مطوطة وريدا وفاكة . ان حلات الامير هذه السرايا المبرزة بغيره من ان لا يفسد رايه في الدار . ولكن ان يفسد رايه في الدار . ولكن ان يفسد رايه في الدار . ولكن ان يفسد رايه في الدار .

السلطان فيها ~~الطريق~~ طريقته الى ^{القتال} حتى يتصل به من رايته . ~~من~~ من ~~السلطان~~ السلطان في الدار . ولكن ان يفسد رايه في الدار . ولكن ان يفسد رايه في الدار . ولكن ان يفسد رايه في الدار .

السلطانة . ولهذا فلها يفسح مجال الحرية لتسائه فانه يتخلف احيانا عن مرافقتها .

تقضي نساء السلطان عادة فخذ السيف مع السلطان في قصر يسمى بشككارا ويترقب على الدابة الأوروبية من البوسفور . وتوفد في الدار يفسح جميع الاحتياطات كي لا يصابه احد .

فيخرجن تير يافق الشمس يحسن ان يراوا في الدار محجوب بالثريات وتتصب الاستار من دائرة الحرم حتى " يظن كذا " . ومن ان يراوا في الدار محجوب بالثريات وتتصب الاستار من دائرة الحرم حتى " يظن كذا " . ومن ان يراوا في الدار محجوب بالثريات وتتصب الاستار من دائرة الحرم حتى " يظن كذا " .

محجوب كل جسمه . اما السبيحة التي تحملها في الدار من الدار او عيشة امهات الملكة في الدار . ومن ان يراوا في الدار محجوب بالثريات وتتصب الاستار من دائرة الحرم حتى " يظن كذا " .

يقفون على قوارب بمحيط كل شام مسان عصاه بيده وذلك ليعودوا مراكب الناس .

الحكم في الدار من الدار محجوب بالثريات وتتصب الاستار من دائرة الحرم حتى " يظن كذا " . ومن ان يراوا في الدار محجوب بالثريات وتتصب الاستار من دائرة الحرم حتى " يظن كذا " .

السلطان عند مرافقته رئيس الدار . وتكون الموضة وكل النساء اللاتي يحضرنها محجوبات بالشال . اذا اراد الطبيب ان يراوا في الدار محجوب بالثريات وتتصب الاستار من دائرة الحرم حتى " يظن كذا " .

عندها يحيا ان يكون باقي وجهه محجوبا . فاقبل لها نفسه ليجرأ ان يلقي ناره على امرأة من الحرم . وعندما يصادف غائبا او سلطانة عليه ان يقبل ثوبها .

ولا تشاهد نساء السلطان تترجا ابدان نساء ربات من الحرم عند حواجز الدار القديمة اللاتي اعتنق وتوجن . وتفتح ابواب الحرم ايضا في بعض الاوقات لنساء عائلات من انفس كبايات او ارات او عائلات برعهم الدار ويكون ذلك بتوفيق من السلطان او احد كبار السيدات . الا انه يلزم يحب ان تقدم اسماوهن للقلراغا وان يوفد لمن من السلطان .

ويؤلفان تتعك النساء الدعي او بين بدن من الاتصال بالحرم وبالحاؤون التي تكون لها

أكبر محاولة عند السلطان فتعمل هذه لصالح عائلته تلك السيدات .
 ان التامش يعطي بعض الأمثلة عن تأثير هذا النساء على السلاطين الضعيفي الإرادة .
 من أمثلة ذلك ان ابراهيم الرابع كان ضعيفا في مؤثره السلطاني العاطف . وقد اقرطن في استعمال
 تأثيره التي ترجع الناس كن يحسن على ان يتركهم بين الزمرات ويستحدث الناس يحكمونه .
 بالسر . فان احدا من راي ان انما خالف في نرجس السلطان فانه سبه الى درجة انه غضب
 في احد السام على ان لا يات في مكانه . ثم ان الجار من نجله زوجته وابنه من على ان يخدمه او يسي
 على ان السام وان يحسن حتى لم يبق التمام الى يد يد التبريد السام وبعده .
 وتتمكن ان الجار السام الذي انتقم من الحرم بداعي له من ان السام السام من تقديم
 من ان السام . لا . من التبريد . من السام . وله في ان السام من السام (١) . يكون رواج
 والبا متفقا عليه من قبل مع رفيقاته من القديسات اللطفي يكن تد تزوج . ويكون عتقن اما بدافع
 مني اولياءه نذرا او لمناسبة وضع احد من نساء السلطان . الا ان ذلك يحصل حاليا عندما يتسبب
 يتسبب السام سلطان جديد . اذ من التقاليد ان يضع السلطان الجديد الحرية لغيره
 النساء الجوار . وبصفة خاصة لنساء السلطان المتوفي وللنساء اللطفي كان لهن حلوة عنده
 واللطفي لم يصحب امدات .

ولكن النساء اللطفي انجن اطفالا من السلطان السابق حين وان كن معتقات فاننا فانه
 لا يمكن التزوج والتمتع بحريتهن . اذ يحصل ابعاد عن الى السراء القديمة بعد ان يحرم
 من بين محوراتهم . يغفل عن ان السام الذي لا يحتاج عناية امهاتهم . ولكن تدخل
 لهن الحرية في بعض الاوقات لنساء اب واما ان السام في السراء . وان اللطفي لهن اولاد
 من الذكر يكن مومن احرام رائد وذلك التي يكون ابدا السام على العريس تعامل بسورة خاتمه
 بنسبته اعتبار .

(١) يمكن ان السام بواسطة ازواج نساء السيدات القديسات من معرفة الاشياء الخاصة التي تتعلق
 بالحرم السام . وهذا العمل كله الكتاب انسابا وهدايا اكرم من جميع المواد الضرورية لبقية
 الكتاب .

الموافقين وقدامه كان له (٢٥) غنيا وكثيرا من الباشا والقريبات . ولهذا القوم عيون يذمون هذه الزيجات عندما يتمكنون منها . الزائفة منذ زمن احمد الثالث ابحن يتزوجن بباشاوات من ذور الثلاثة الاطواغ اي من رجال من ارفع المراتب في الدولة .

ويتزوج هؤلاء السيرات وبن في سن صغيرة وعلى الباشا الذي يحل له مرز التزوج باحدا من ان يكون قادرا على اعطاء سببا . ويقع الزيجار عادة على رجال كبار السن اغنياء وتتزوج الاميرة بالباشا وهي في السادسة عشر من عمرها بيد ان تكون فوجيت مرتين او ثلاثة . ويحتفل بزواجهن في السراي بنفق ^{المستحق} التي يقيمها اساتذتنا .

ويقوم رئيس الخديان السود بتمثيل السلطنة في احوال اما الباشا فيمثله وكيله او احد شخصيات البلاط . ويرأس القضي حفلة عقد القران هذه حيث - بين فيها المعمر الذي يترتب على الزوج ان يدفعه . ويكون من شيعين التي الى من المذهب الذي يصر احيانا الى ائمة من ذلك . ولا تحضر السلطنة ابدا حفلة عقد القران هذه . والباشا نفسه لا يحضر ان كمتفرج ليس له ، اما السداك فانه ويكون دائما موجودا فيها . انما يقدم لكل الممرضة من قبل السداك . ويقوم القزلباشا ولبس الباشا فرة ثانية من حلك الامور تكون من قبل السداك كما يفعل ذلك من القضي ومداونه . ومن امام مسجد ايا صوفيا .

ويتقدم ويتقب حفلة عقد القران هذه اعيان فخمة يقيمها الباشا حيث يدور بالدور كل نبات الدولة . ويتبعها احتفال ارسال دايا الباشا لزوجته وهي مؤلفة من الحواجر والخواتم والاساور والاقراط والعماليق ومن خزائن توضع فيها اواني الذهب ومن وشاح ونحوه وتقب ^{على الله} للحمام وكل هذه محلاة بالحجارة الكريمة او الدرر الثمين . كما يضاف الى ذلك خمس من الجوى الذهب يحترق على الفين او ثمانية آلاف ذهب مع اربعين سخنا من الفضة ملبسة بالحلويات . وكان التاج الذهبي المرصع بالحجارة الكريمة . وفيما يضيئ اثنان من ايام التي تقدم للبركة السروس . الا ان هذه المائدة المأخوذة عن البنزليين ابطلت منذ قرن تقريبا .

وبعد ارسال الدايه بيومين يعبر حمار السداك في عرفة من مرز السراي حين يحضر الصدر الاعظم والسفني وكبار رجال البلاط ويغضون اذانهم في سادس تحوى على حواجر الاميرة . وبعد ذلك يرافقون الحمار عندما يحمل الى القصر المسمى لدا . ويرى الناظر دائما في هذا الموكب هرمين او ثلاثة من خفاف الذهب والفضة . وفي اليوم التالي تنتقل السلطنة من السراي الى قصر الحديد يصحبها امراء البيت المال وهو

الفصل السابع

الاميرات بذات السلطانات - خانم سلطانه -

ان حال هؤلاء الاميرات الخف وعاء من حال امهاتهن . فهن احرار في انتقاء ازواجهن ويحتفظن باولادهن الذين يتخذون لقب باي . ويكسبون في السراي ^{بمخلوطة} في فرقة القبوجي بانسي او في جملة موظفي القصر الداخلي (خام اوضه لي) . وتتخذ الفتيات لقب خانم وعوا على رتبة من لقب خاتون . ويعين لهن راتب شهري يبلغ ثلاث مئة قرش ولهن امتياز خاص في كل مكان انه لا يمكن ان يطلقن بدون موافقة السلطان .

الفصل الثامن

ابناء السلطان الحاكم - شاه زاده -

يتخذ هؤلاء الامراء منذ زمن السلطان محمد الاول لقب شاه زاده وهو اسم فارسي معناه ابن الملك . وفي زمن حكم الاربعة الاولين من سلاطين آل عثمان كان البكر من هؤلاء الامراء يدعى باشا ^{بالبكر} باي او يطبي او امير وهي تسمى باللقاب التي كانت تتعلق على كبار رجال الدولة . ويعين لخدمة الامير منذ ولادته عشرون فتاة تقريبا من مرتبة اسطة . كما تكون له مائدة خاصة او على الاقل يترتب على وكيل شؤون المطابخ ان يقدم له عددا من الالوان او ما يعادلها من النقود وذلك بموافقة والدته التي تقوم على صرفها في لوازم القصر . ويفطم الولد عادة في السنة الاولى من عمره ويكون له حاشية خاصة منذ ذلك الوقت وهي مؤلفة من ستين شخصا تقريبا . اهمهم ثلاثة من خدم القصر الداخلي (خام اوضه لي) ويقوم اكبرهم سنا بوظيفة فهم متخذوا لقب باشا لا يكون تحت امرته ثلاثة من الخصيان السود يدعون 'الالا' . اما بقية الحاشية فانها تؤخذ من بين صغار الخدم المنتمين للثلاثة الدوائر الاخيرة .

وعندما يصبح في الرابعة او الخامسة من عمره يعين له معلم (خوجة) يقم بابنية في دائرة الامير . يحضر الى السراي رؤساء جميع هيئات الدولة حيث يبارك الفتى بحضور السلطان ^{الامير} كما يبارك كتاب حروف الهداء الذي يدرس فيه ويجعله يعيد كل حرف منها . ويقدم الصدر الاعظم للامير كل ادوات الدراسة المخصصة للاولاد لكتب والواج ومحافظة الخ . . . وهي محلاة

بالذهب والحجارة الكريمة . وبعد هذه الحفلة ينسحب لكل من الحضور فرقة ثينة . ويبدأ المعلم عمله فيعطي الدروس للامير في غرفة القزلرغاا . وعندما ينتهي الامير من قراءة القرآن يتقبل التهاني من جميع علماء الدولة ويقدم كل منهم حويرة هدية له . وفي هذه المناسبة تتطلب الاصول ان يقبل يد الفتى الا ان هذا يتمتع ويضع شفتيه على كف الامير .

ويتمتع ابنا السلطان بحريتهم اثناء حكم ابيهم . فعندما يصبحون قادرين على ركوب الحمار يتبعونه الى المسجد محاطين بحاشيتهم الخاصة حيث يرفع واحد منهم مظلة فوق راس الامير الشاب التابع له . ولهم قوارب خاصة وهي لا تقل زينة عن قوارب السلطان انما تختلف عنها في ان المظلة مغطاة باستار زرقاء او صفراء . ويقفون في المحاليس العامة وفي مجالس سفراء الدول الاجنبية على شمال العرش .

وتحري لهم عطية الختان عندما يصبحون في السادسة او السابعة من عمرهم . ويحتفل بهذا العمل الديني بالعياد فخمة تدوم في غالب الاحيان عدة اسابيع . ويعلن الخبر في كل انحاء السلطنة قبل ثلاثة او اربعة اشهر بواسطة فرماتات او شائير يدعى بها حكام الولايات وكبار الموظفين لحضور هذا الاحتفال . ويقام في ساحة الميدان معسكر يمثل بلاطات السراي حيث يعامل كل رجال هيئات الدولة ومختلف اقسام الجيش بابهة مدة عدة ايام . ويزيد في رونق هذه الولائم الموسيقي العسكرية وجميع انواع الالعاب والمناظر . ويظهر السلطان حوده بهداياه الى كبار رجال الدولة وباعطياته للجيش وصدقائه على الفقراء . وفي التواريخ العثمانية وصف لاعياد فخمة اقيمت لمثل هذه المناسبات من قبل مختلف السلاطين . اشهرها تلك التي اجراها محمد الثاني والسلطان سليمان الاول والسلطان مراد الثالث احتفالاً بختان ابنائهم . ودامت الاحتفالات الاولى والثانية ثلاثين يوماً اما الثالثة فقد امتدت الى شهرين . ولما يبلغ الامير الثالثة عشرة او الرابعة عشرة من عمره يقام في جناح خاص ولا يحق له مشاهدة اي امرأة من نساء الحرم عدا امه وشقيقاته .

وكان الامراء فيما مضى يحكمون الولايات . وكان العثمانيون يتعدون بذلك على غرار الخلفاء الاقدمين وبعيهم من الملوك المسلمين . الا ان تحرية مولمة جعلتهم يقلعون عن هذه العادة وكان ذلك على اثر عصيان كثير من الامراء مثل قرقود وجم ومصطفى واحمد وسليم . وكان لهم في بلاطهم رجال من كبار الموظفين يحيطون بهم السرب والالقب التي يحملها موظفو السراي في

الاستانة . ولم تكن مخصصات الامير سوى اثني وثلاثين مائتي اي ما يعادل ٢٦٦٦٦ قوشا .
الا انهم كانوا يتصرفون حسب مشيئتهم في موارد الولاية وكانوا يعدون في تعديلاتهم
مصدرا للربح . حتى انه كان يخصم لهم منذ حداثتهم ادارة احدى الولايات وكانت تحكم
باسمهم وتخصص موارد ما لعائلتهم . غير انه منذ حكم السلطان احمد الاول تقرر انه ليس فقط
لا يعطى للامراء ادارة الولايات انما يجب ان يحجز عليهم في السراي ومنذ ذاك الوقت اصبح
ابناء السلطان الحاكم فقط يتمتعون بحريتهم . ولكن على كل حال فانه يحكم عليهم بالانزواء
عند وفاة ايهم السلطان ويظلون على هذه الحال حتى الوقت الذي يدعون به الى تنصيب العرش

الفصل التاسع

امراء البيت المال - شاه زاده - (١)

ان بيوت سكن عولاء الامراء ملاصقة للحريم في مكان يدعى شمشرلاي لانه محاط بالشجار .
وهو مؤلف من اثني عشر حاضرا يتألف كل جناح من غرف كبيرة كوحاط بسور عال يغم في داخله
حديقة صغيرة . لهذا سميت هذه المساكن بالاقفاص . ويقوم على خدمة كل امير عشرا واثنا
عشرة حامية من الفتيات وعدد من العلمان يؤخذون من اقسام الثلاثة الاخيرة . وهناك عدد
من الموظفين ملحقين اسميا به الا انه لا يسمح له قط بمقابلتهم . ويحرم عليه اي اتصال كان مع
بقية سكان السراي . ويستمرسل في التشدد لدرجة انه يحكم بالموت على كل من يحمل رسالة
كتبها الامير او كتب له . واذا مرض الامير لا يمكن الا باذن من السلطان ادخال الطبيب اليه
الضروري مرافقه رئيس الخصال السود . ولا يسمح للمسلمين ارخاء لحيتهم وهو بذلك يتساوى مع
موظفي بيت السلطان .

ولا يسمح لدولاء الامراء حتى مقابلة بعضهم بعضا . ولا يمكن لامهاتهم ومن يسكن في
السراي القديمة من زيارتهم الا باذن من السلطان . وهذا لا يقبلهم في حضرته الا في
الاحتفالات الكبرى ويستقبلهم اذ ذاك في المايين . وهم لا يظهرون قط امام الناس . وانه من
(١) نلاحظ ان دوسون يترجم في الفصل السابق كلمة شاه زاده بالامراء ابناء السلطان الحاكم وهذا هو
معناها بالفارسية . ثم نراه هنا يترجمها بامراء البيت المال . ونلاحظ من فحوى هذا الفصل ان يريد

الغربة ان يكون لهؤلاء الامراء القدر لهم يوما ما حكم امبراطورية واسعة معلمون او مدرسون من
 الأشخاص السود الذين لا يستطيعون إعطائهم من المعارف الامبارية اولى . حتى انه في بعض
 الاحيان يقوم على تدريسهم نساء جاريات اي كما هو الحال عند صغار السلطنات .
 ويتعلمون عادة لقضاء اوقات فراغهم قبا يدويا ما . فيشتغلون في صناعة الحلوى والصناعة و خراطة
 ويعملون الاقواس والسهام ويشتغلون الصدف والعاج وخشب الابنوس . ويوفون حلد السخيان
 ويصوبون على الشك الموصلي واخيرا ينسخون القرآن والكتب القانونية . وكثيرون منهم بعد ان
 يعتلوا العرش يتابعون ممارسة الفن الذي كانوا قد انقطعوا اليه ويبيعون باثمان عالية ما قد صنعوه
 بايديهم ويخصمون الدراهم للاعمال الخيرية .
 ولا يمكن لهؤلاء الامراء الاحتفاظ باولادهم الذين ولدوا لهم من حاراتهم . ونؤخذ الاحتياطات
 في اعطاء هؤلاء النساء ذرايا مجهضا واذا حملن بالرغم من ذلك فانه يحكم على المولود بالموت بغض
 بالطريقة التي يموت بها اولاد السلطنات .
 ان معظم هؤلاء الامراء يقضونه ايامهم في هذا السجن النكيب هذا اذا لم يذهبوا وهم في زهرة
 العمر ضحية السلطان الذي يقضي عليهم كي يرومن الملك لابنائه من بعده . ولا يظهر الوصي على
 العرش الا عندما يعيب السلطان الحاكم مرضا خطرا او شيخ فيتصل ان ذائع باهل السراى او بكبار
 الموظفين الذين يسرعون في اتيار وفائهم له . الا ان هذا العمل السابق لاوله يكلفهم احيانا
 كما يكلف الوصي على العرش غالبا .
 ويمكننا ان نقدر تأثير هذا الافراد المفروض على هؤلاء الامراء على حياتهم الخلقية والعقلية .
 ان بعد ان يكونوا ^{قوي} المنتمين على النعمة وفصلوا عن العالم جاعلين ما يحدث حتى في المكان الذي
 يعيشون فيه يتسعون العرش وهم في غالب الاحيان في عمر تصعب فيه اكتساب المعارف وتغيير
 العادات . واذا اصبحوا سلاطين وكانت الطبيعة قد وهبتهم استعدادات غيبة فان هذه تعاكن
 بشدة من المصطلحات والعادات والمصيبيات .

بكلفة شاه زاده امراء البيست المال مع لنا نلاحظ في اواخر الفصل السابق انه يفرق بين ابنا السلطان
 وبين بقية الامراء من ال عثمان بقوله لمن الاولين فقط يتمتعون بحريتهم بينما يحجز على افراد القسم
 الثاني .

أما الذين يموتون وهم في عزلتهم فانهم يدفنون في مقابر العائلة السلطانية ويخرج في ماتم جنازتهم علماء رجال الدولة ولا يكون معهم قط أى شخص من حاشية السلطان . وتجوز ~~تجوز~~ هذه المراسيم للسلطانة الوالدة وللأميرات أما نساء السلطان فانهم ينقلون ببساطة ويدون أى مراسيم إلى السراى القديمة ويدفن بعد الصلاة عليهن في مقابر مخصصة لهن . يرث السلطان الأمراء والسلطانات ونساءه وكل النساء اللاتي يقضين حياتهن في القصر أو في السراى القديمة . ولكن عندما تتوارى سلطنة ما أو ابنة سلطنة أولاداً من بعدها فإن السلطان يرجع لهم عادة قسماً من ممتلكات أمهاتهم .

الفصل العاشر

السلطان

كانوا فيما مضى يحرسون سراً على اقتداء خبر وفاة السلطان إلى وقت مجيء وصي العرش إلى الاستانة وهو يكون دائماً بعيداً على رأس ولايته . وهذا الحذر المتخذ من قبل الثلاثة الموظفين الأولين في السراى ومن الصدر الأعظم كان ضرورياً لتلافي عيبان الجيش أو اطماع بقية الأمراء أبناء السلطان .

إلا أنه منذ انزواء هؤلاء الأمراء فإن وفاة السلطان يعقبها في اليوم نفسه المناداة بخلفه . ولما يلفظ السلطان آخر أنفاسه يعلم القزلباغ الصدر الأعظم بذلك ويدعو هذا الأخير للاجتماع في السراى كبار رجال الدولة وهم : المفتي وأمير البحر ونقيب الأشراف ولغا الانكشارية وقاضي العسكر وقاضي الاستانة . وعندما يجتمعون في المكان المسمى "سنة اوضه" يذهب رئيس الخيـان السود والسلحدار اغا ويعلمان الوصي على العرش رسمياً خبر تسنمه الملك . ويذهب السلطان الجديد إلى "سنة اوضه" يساعد هذان الموظفان الكبيران ويجلس على الأريكة ليتقبل خضوع كبار الموظفين الذين يحيطونه بوضع شفاههم على رداءه ولكن الصدر الأعظم يقبل قدميه إذ يعتبر أنه يمثل أشد جميع الأمة .

وأول عمل ملكي يقوم به السلطان الجديد هو أمره لرئيس الخيـان السود بأن يقدم لوكليه ~~والإد~~ الصدر الأعظم والمفتي فروتين من جلد السمور إشارة لاتباعهما في منصبيهما . ثم يذهب بعدئذ إلى مسجد السراى ليقدم حمده لله تعالى وليتقبل خضوع كبار موظفي حاشيته . فيتقدمون كل حسب

رتبته ويضعون باحترام زائد ويلمسون الأرض بيدهم اليمنى ثم يرفعونها إلى شفايعهم ومن ثم إلى حينهم وبعد ما يقبلون ذيل ثوب السلطان . ويدعى هذا السلام سلام الخضوع (يعني بوس) . ويرتدى السلطان آن ذاك ملابس الملاة الفخمة وهي موفقة على الآخر من عمامة محلاة بوسام من الماس (١) ومن ثوب عليه فراء ثعلب أسود مزين بشبابك تلتمع ويتنطق بحزام يشع بالذهب والحجارة الكريمة .

إن شارات الملاة كانت تتغير عند المسلمين فالنبي محمد كان يحمل عصا تسمى "مجن" وكان الخلفاء الراشدون الثلاثة الأولون يضعون خاتم النبي كرم لخلافتهم . وقد اضاعه الخليفة عثمان سنة ٦٥٢ . وأول شيء فعله معاوية مؤسس الدولة الأموية ومفتصب الخلافة هو أنه غير هذا الخاتم البسيط بغيره اثنى منه واتخذ شعارا له . وأضاف إلى ذلك قضيبا وثوبا من ثياب النبي محمد ابتاعه بشئ فاحش من أولاد كعب أبناء زهير المشاعر الشهير الذي تغنى بانتصارات النبي الحربية . وكان معاوية يتحلى أيام الاحتفالات بشارات الملاة هذه وقد تركها لخلفائه . ولكنه ما من ملاة مسلم لبس تاجا إلا السلطان محمود المزنوى الذى وضع على رأسه لما توصل إلى العرش سنة ٩٩٨ تاجا ثميناً مقلداً بذلك ملوك الفرس القدماء .

ويجتمع كل الموظفين على اختلاف رتبهم في القصر يامر من الصدر الأعظم ليقدموا طاعتهم للسلطان الجديد . وتسمع طلقات المدافع من مختلف أنحاء المدينة . ويحيط بالمدينة ثلاثة ضادين يعلنون الحادث الحديد (٢) وتعلو في الفضاء أصوات المؤذنين من على مآذن أكبر الجوامع ~~الإسطنبول~~ في المدينة الأممية .

وتحصل حفلة الافتتاح في ساحة القصر الثانية . حيث يوضع أمام باب السعادة عرش من الذهب

(١) ويلمع علماؤا الوسام أجمل قطعة من الماس موجود بقي السراي . وقد وجدها شحات عام ١٦٧٩ بين اكوام الاقدار في محلة "عريقبو" . وكانت غير مصققة واخذ في ~~نفسه~~ اليوم ثلاث ملاحق من الخشب لا منها . وبعد ان تبودلت من يد إلى يد حصل عليها السلطان محمد الرابع . وبعد ان صاغها خرجت ماسة من أجل واصفى الماس تنن تلمنح وأربعين قيراطا .

(٢) وهذه الفنادة تكون بهذه الجملة: "بما أن البادشاه السلطان فلان خان انتقل بمشيئة الله إلى السعادة الأبدية فعلى قيام السلطان العظيم القوى الرهيب على العرش السلطان فلان خان سيدنا ومولانا الذى سيكون ملك السعيد سبب سلم العالم أجمع . فإن تمنياتنا الطيبة له وصلواتنا لا تقطع ليحفظنا الله أيامه الغالية .

يتقدم بالاحبار الكريمة (١) وتعطف فوق الحرس عن اليمين وثلاث فرق عن الشمال . تتألف الاولى من رجال القبوحي باشي اى من رؤساء الحجاب وعلى راسهم المبرعلم اى حامل العلم ولها الانكسار و رئيس التشرىفات واثنان من حاملي السلاح مع الموظفين المختصين بالصيد . اما الثانية فتتألف من قواد الانكسار و رؤساء السلا . اما الثالثة فمن رؤساء بقية فرق الشاة والفرسان والمدفعية ورئيس فرقة ال *Feik* مع اربعة من كبار قواده . ويحتل الحجاب والزلفوا بلطجي الرواق ذى الاعمدة الرخامية القائم فوق طرفي باب السعادة . اما حرس مخان القصر وموظفو المطابخ والدوائر فانهم يوقفون ثلاث فرق تقف تحت الرواق الجانبي ذى الاعمدة البيضاء . ويقف امام العرش مشيرا البلاط الجاوش باشي والقبو جلر كخيه سى يحمل كل منهما كما يحمل المبرعلم وستة من اقدم رؤساء الحجاب عصا المشيرة محلاة بهفانح الذهب . ويقف في انتظار السلطان كل من الصدر الاعظم مع اعضاء مجلس الشورى في غرفة الديوان الجديدة والمفتي مع هيئة العلماء في غرفة الديوان القديمة . وبعد ان يتم كل شيء يقبل السلطان متكئا على ^{كنفي} رئيس الخصال السود والبيض يتبعه كل موظفي دائرته الذين يقفون وراء العرش . وحينما يجلس السلطان يتقدم نقب الاشراف اول الجميع فيقدم له الطاعة فيرفع يديه الى السماء ويطلب من الله ان يحفظ السلطان الجديد ويديم سعادة حكمه (٢) وفي ^{نصف} الوقت يتقدم مشيرا البلاط تاركين مركبهما لاثنيين من رؤساء الحجاب نحو مكان الصدر كما يتقدم اثنان من قواد الحجاب نحو مكان العلماء . ويعرف قدومهم بصوت عصيهم الفضية الموزون التي يضررون بها الارض فيكون ذلك اشارة لاصحاء الديوان ولرجال الشرع ليتشرفوا بين يدي السلطان . فتخرج الهيئتان كل على حدة يتبع كل منهما الموظفين الذين جاؤا لخبارهم . وعلى الصدر الاعظم ان يصل امام العرش في الوقت الذي ينتهي فيه نقب الاشراف دعاءه وبعد ان يقدم خضوعه وطاعته يتقدم المفتي ويدعو كما دعا نقب الاشراف . ثم ياتي امير البحر ومن بعده قاضيا العسكر . فيقفون كلهم عن يمين العرش . وهذا اذ يتقدم رجال الدين وهم الوحيدون الذين يتلو الصدر الاعظم اسماءهم على السلطان . ثم يتقدم وزراء الدولة ورؤساء الدوائر ورؤساء الحجاب

(١) هذا العرش المصنوع من الذهب الثقيل يزن ثمانية الاف مثقال كان قد صنع في القاهرة وقدمه

ابراهيم باشا حاكم مصر للسلطان مراد الثالث سنة ١٥٨٥ .

(٢) كان معلم السلطان فيما مضى اول من يقدم الطاعة للسلطان . ثم ياتي بعده امراء من التتر يقيمون في

الاستانة كرهينة من قبل خانات القرم فيقدمون ^{في} اشياء كل منهم على اثنين من رؤساء الحجاب ويقبلون طرفكم توب السلطان

رؤساء وقواد فرسان السباه والسلحدار (١) ، وانا الانكشارية من اركان حربه واخيرا رؤساء بقية فرق الجيش . اما رئيس التشريفات فيتقدم اخر الجميع ويعلن بركوعه نهاية الحفلة . وعلى هذا الموضع ان يسهر بدقة على توازن الحفلات المتبعة . ان تقصيرا بهذا الصدد كاد يؤدى بحياة عاكف باي الذي كان يقوم باعباء هذه الوظيفة زمن السلطان محمود الاول . ففي حفلة تقديم الطلعة في عهد الاضوى سنة ١٧٤٣ تقدم خطأ رؤساء وقواد فرقة الجبه جبهة قبل قواد الانكشارية لتقبيل ثوب السلطان . وخوفا من غضب الانكشارية وقبل ان يقوموا باي تظاهر امر السلطان محمود حالا بعد انتهاء الحفلة بقطع راس رئيس التشريفات امام مدخل السراي لكي تسير جياد قواد الجيش فوق حنته عند خروجهم . وكاد الامر يتم لولا تدخل الصدر الاعظم الذي خفف من غضب السلطان ومن غيظ الانكشارية ، حتى انه دفعهم لطلب العفو عن محمد باي الذي ابدل عنه حكم الاعدام بالنفي المؤبد الى جزيرة تينيدوس .

ان طريقة تقديم الطاعة للسلطان تختلف حسب رتبة ومركز رجال الدولة . فالصدر الاعظم ينحني مرتين ويقبل قدمي السلطان الذي يبدي اشارة بيده كانه يمنعه من ذلك .

اما نقيب الاشراف والمفتي فانهما يقبلان ثوبه من ناحية الصدر فيضع السلطان يديه على اكفهما مع اخاء راسه قليلا بدلا من معانفتهما . ان تمييز من السلاطين من يفعل اكثر من ذلك فيلمسون بشفاهم عمامة رئيس الشرع . ولا ينحني امير البحر والباشوات من ذوي الاطواغ الثلاثة سوى مرة واحدة ويقبلون طرف ثوب السلطان . ويفعل العلماء ^{منهم} الشيء ولكن بدون ان ينحنوا الا انهم عندما يقترحون يرفع كل منهم يده اليمنى الى صدره . اما الباقون اي رؤساء الجيش والوزراء والقواد فينحنون ويقبلون طرف كم السلطان الذي يقدمه لهم رئيس الخييان البيض الواقف عن شمال العرش . وشهض السلطان قليلا لنقيب الاشراف وللصدر الاعظم والمفتي وللباشوات والعلماء الذين هم من الرتب الثلاثة الاولى .

وينحني عند مجي السلطان ووقت ذهابه جميع الحاضرين امام العرش عد العلماء وترفع في الفضا اصوات الحجاب هاتفة بجهاته (٢) وعندما يتراءى للسلطان المجلس يحني الحضر بوضع يده على صدره وباحنا

(١) في هذه المناسبة فقط وفي العيدين يتقدمون على اغا الانكشارية بسبب اقدمية فرقتهما .

(٢) وتتلو الدوجي حاش هذا الدعاء بصوت مرتفع " اللهم احفظ ايام مولانا السلطان " فيعيد كل الحجاب

رأسه قليلا . ويتكى . حتى باب السعادة على رئيس الخصيان البيض وعلى الصدر الاعظم الذي يقبل مرة اخرى قديمي السلطان ويقف بعد ان يرجع اربع خطوات الى الوراء ليقدّم مع كل المجلس ^{بأمره} اخر ناحية للسلطان وذلك بالانحناء له .

وهذا الاحتفال ينم عليه الدين نفسه تحت اسم البيعة . وعندما تقبل السلطان عثمان مؤسس الدولة العثمانية في مثل هذه المناسبة طاعه كبار رجال دولته الذين كانوا واضعين احدى ركبهم على الارض قدم لكل منهم انا من اللبن . الا ان خلفاء عثمان وهم اسباط امبراطورية واسعة تخلوا عن هذه العادة القديمة التي كانت لقبائل الترك والترك الرحل .

ويتمح حفلة المبايعه هذه وفي اليوم نفسه جنازة خلفه وذلك طبقا للشرع الذي يامر بسرعة دفن الميت ^{هكذا} فان مختلف شخصيات الدولة لا يتركون السرور وذلك كي يقدموا اخر احتراماتهم نحو السلطان الراحل . وزالت عادة الحزن على الفقيد التي كانت تدوم في القصر فيما مضى مدة ثلاثة ايام . وكان يرتدى رجال القصر ملابس قاتمة اللون او سوداء ويضعون على طرف العمامة الايمن لها قلعية سوداء . وهذه العملية وهي على كل حال غير متبعة لدى الشعوب الاسلامية ثلاث بعد نكبة السلطان عثمان الثاني وزالت رسميا بعد نكبة السلطان ابراهيم الاول .

وينقل الخصيان السود يتقدمهم رؤسائهم جثة السلطان المتوفي حتى الباب المعروف بباب " حرم قبوسي " حيث يحطه الحرس الى خيمة نصبت تحت الرواق المجاور . ويتقدم الى هذا المكان ثلاثة من كبار قواد الانكشارية وهم : ^{الأم} والسيما ^{الأم} باشي والقول كاخية كي يفحصوا الجثة ويتأكدوا خلوها من الحياة (٩٠) وهي عادة عمل بها بعد الانتهاء على حياة السلطان ابراهيم الاول . ثم يتقدم ورائهم الصدر الاعظم والفتي على راس اعضاء الديوان . ويسجل اماما القصر الميت بالصابون وبسعيانه بالعنبر والعطور . ثم يوضع امام باب السعادة حيث يصلى عليه برئاسة الفتى ويحضر السلطان الصلاة حيث يكون امام باب عرفة العرش .

وبعد اتمام هذه الواجبات الدينية يحمل النعش الموضون عليه عمامة محلاة بريشة سوداء .

معا دعاء . وهم يتلون هذا الدعاء نفسه كل مرة يركب ^{في} السلطان جواده او عندما ينزل عنه . وهذه العادة كانت موجودة في بلاط قبايلة الروم وتسمى عندهم Polikhronissim

ومغطى بالماء مصنوع في مكة كبت عليه آيات قرآنية . ولكي يقدم الصدر الاعظم والمفتي وكبار
والموظفين اخر احتراماتهم للسلطان الراحل يسبرون جانب النعش حيث يضع كل منهم يده
عليه حتى يصلوا الى باب القصر الثاني حيث يركبون جيادهم . وكان السلطان الجديد فيما مضى
يفعل مثلهم نحو الفقيد .

وبدا رؤساء الخيوان السود لا يخرج اى شخص من حاشية السلطان في المآتم الذى يكون
فيه رؤساء الحجاب وكبار الموظفين المدنيين والعسكريين والعلماء وامير البحر ووزراء وانشاء سر
الدولة يتقدمون الصدر الاعظم والمفتي ثم ياتي بعددما رئيس الخيوان السود على راس مؤنثي
السرارى وشيوخ جميع المساجد الهميونية وهم يسبحون باصوات حزينة . ويحيط بالنعش كما يحشى
وراءه جميع افراد رجال الحرس السلطاني الذين يتناوبون في حمله بايديهم وهي مدودة الى
الاعلى ويحشى امام النعش اليازجي افندى (هو كاتب فرقة الانكسارية) مع الشيخ المشرف على
المسجد الذى عين ان تدفن فيه حثة السلطان وهما يحملان مبخرة من الذهب تفوح منها رائحة
خشب الغنبر . وفي مدة ذلك ينشر محاسب الخيوان السود نقودا فضية على الناس .

وحين وصولهم الى الجامع يترجل الموظفون المرافقون للجنائز ويقفون صفين ليجيوا وتضيق
الصدرا الاعظم والمفتي اللذين يترجلان عن حواديهما امام باب الجامع ومن ثم يرجعان
ماشيين حتى النعش يرافقهما امير البحر ورؤساء الخيوان السود .

ويسبق عملية الدفن صلاة قصيرة يتلوها المفتي ونقيب الاشراف كما يتلوان دعاة التلقين .
وعند انتهاء المآتم (١) يدخل الصدر الاعظم قصره ليأخذ حافلة تنصيب موظفي الدولة الذين
يشبثهم في مراكزهم وذلك بان يخلع عليهم الخلع السنية ولا يقبل في المجلس غير كبار الشخصيات امثال
المفتي وامير البحر وقاضي العسكر وقاضي الاستانة ونقيب الاشراف . ويوضع امام قاضي القضاة فروة
من حطد السمر مغطاة بالحرير وتقدم لرحاله مع جواد محمى . ويعطى لاميير البحر وقت ذهابه فروة
مثلا كما يعطى للقضاة الاربعة تبعاً لمراتبهم . وبعد ذهابهم يدخل الصدر الاعظم الديوان ~~بمعية~~
يرافقه موظفو دائرته . ويحيط هناك على سدة عالية فيقدم له الوزراء والقواد وغيرهم من الموظفين
بثيابهم الرسمية احتراماتهم كل بدوره حسب لائحة تكون اذ ذاك مع رئيس التشريعات .
وهذا ما يسمى بحفلة التنصيب العامة (عموم خلعت) .

(١) في مآتم مراد الرابع سنة ١٦٤٠ كان ~~يخلع~~ امام التابوت جناد ثلاثة ~~يكرهها~~ السلطان المتوفي في
غزواته الى بلاد المعجم . وقد وضع ~~عكس~~ اتجاهها كما كانوا يفعلون في حجاز ~~طوان~~ القوس اتباع ازردشت

وفي صباح اليوم التالي يتقبل السلطان الجديد تقدم من الصدر الاعظم مؤلفة من خمسين طبعا عليها صحاف من البلور الصيني ملوثة داكنة ومن رجايات من الكريستال فيها ورود . وفي منتصف النهار يقدم السلطان للصدر الاعظم اول رسالة من يده وتسمى "خطي شريف" ويجتمع كل اعضاء المجلس الاعلى عدا العلماء في مجلس الصدر الاعظم ليكونوا حاضرين عند استلام هذه الرسالة . ولما يصل حامل الرسالة يدخله رئيس التشریفات فيدخل رافعا يده فوق راسه وبها الرسالة السلطانية ضمن شديلا حريري شفاف مختوم . عندها يقف كل من بالمجلس ويتقدم الصدر الاعظم حتى منتصف القاعة يتناول الرسالة ويقرأها ويضعها على حينه ثم يفضها ويعطيها للرئيس القدي الذي يقرأها بصوت عال . وفيها تثير الصدر الاعظم في منصبه مع ذكر صلاحياته وطلب القيام بواجباته بمهارة واخلاص وتتضمن عطف السلطان الدائم عليه . ويخلع الصدر الاعظم فروة من حلد السور على رسول السلطان الذي يقبل ثوبه وينتقل الى غرفة ثانية . عندئذ يخرج كل الحف ويرعدان يقدموا تهاديهم للصدر الاعظم . الذي يقدم بعد برعة وحيزة جوابه لرسول السلطان ويكون فحواه كما هي العادة في ذلك اظهار القدرة والخلام والدعاء بطول بقاء السلطان . ويتناول رسول الس السراى قبل ذهابه ثوبا (قطانا) ثيبا مع اربع او خمس مئة ذهب (دقة) .

ان اول عمل يلتفت اليه السلطان الجديد هو امر وضع شعاره الذي يحوى ايضا اسم ابيه . فقرأ مثلا في شعار السلطان الحاكم الان : " السلطان سليم خان ابن السلطان مصطفى خان المنصورين على الدوام " فيصنع الصدر الاعظم اشكالا مختلفة ويرسلها للسلطان لينتقي منها ما اعجبه . وكل الاعمال او الرسائل الصادرة عن العرش تختم بالطرء او الطعراء . وهي ترى ايضا مرسومة بالحبر على اختلاف الوانها والبا بقاء الذهب داخل الابنية العامة وعلى المراكب الحربية وعلى بيوت موظفي الدولة كما هو الحال في اوربا فندما يعرضون صورة الملاء او صورة اسلحته .

وتطبع هذه الطعراء على النقود وعلى اربعة خواتم يحتفظ السلطان بواحد منها وتكون مربعة الشكل . ويعطى الخواتم الثلاثة الباقية وهي دائرية الشكل للصدر الاعظم ولقهرمادة الحريم و"للخامراضة بانسى" وهو خصي ابيض اللون كان فيما مضى اول موظف لغرفة السلطان .

ويحرى بابية تسليم الخاتم الامبراطورى للصدر الاعظم في اليوم التالي من تاييده في مركبه اى بعد ان يتسلم " الخطي شريف " فيذهب الى السراى يرافقه المفتي ووزراء وانشاء سر الدولة فيدخل هو والمفتي غرفة العرش حيث يتسلم من يد السلطان الخاتم الامبراطورى فيقبله باحترام راجيا لمولاه

على ٨٣٣ والمفتي على ٢٥٠/مروسيهم كل حسب رتبته .

ويتقلد السلطان السيف الامبراطوري في اليوم الخامس من تسلمه الملك وهو احتفال يسمى "تقليد السيف" . واول من فعل ذلك السلطان محمد الثاني بعد الاكتشاف المعتقد انه خارق للعادة لقبر ابي ايوب المعتبر انه ^{مسيحي} كبير . وقد قلده بذلك ^{محمدي} خلفائه واصبحت عادة يحتفل بها بابية .

ومنذ مطلع الفجر تجتمع كل عيالات الدولة في ساعة القصر الاولى لتؤلف موكب السلطان . ويبدأ موظفو الدولة الصير امام الصدر الاعظم والمفتي ثم تأتي وراء هذين الاخيرين حاشية السلطان التي يتقدمها اثنا عشر وثلاثون من الحياض غير متطبة عليها البرادع الجميلة وعلى اثني عشر منها التروس المحلاة بالذهب والحدادة الكريمة . ان جمال هذه الحيور وجمال ثياب الموظفين الثمينة وعلى الاخر ثياب رئيس الحجاب واداقة زى رجال الحرس وبهاء اجهزة كل المطايا التي يركبها كبار رجال الدولة ان هذه كلها تؤلف منظرا خلابا يتفق والفكرة التي لدى الناس عن اذبة الشرقية . وبرز في هذا الموكب موظفان يحمل كل منهما بيده عمامة للسلطان مزينة باوسمة ثمينة يعيل بها كل منها بتتابع نحو الجمهور الذي يرد على هذه التحية باحترام عظيم . وهناك خادم ثالث يحمل مقعدا مزركشا ومحملى بصنائع الفضة يطأ السلطان بقدميه لما يستطي صهوة جواده وعندما يترحل عنه . وخادم رابع يحمل ابريقا معلقا في ظرف عصا وهو محلى بالحواعر وفيه ماء لاستعمال السلطان .

يسير هذا الموكب بصمت مهيب بين صفين عظيمين من جنود الانكشارية . والتهاتف للسلطان ^{او يتوجه من غلطة لجهة ليز الله السلطان} غير مسموح . انما يسمع احيانا صوت النداء "الله الله" . ولا يحق للسلطان غير الجنود الذين يؤلفون الصفين فيضع يده اليمنى على صدره ويميل قليلا برأسه او الاخرى بيمينه الى اليمين والى اليسار . ان سلام الانكشارية يسترعي الانتباه فانهم يميلون راسهم على اكتافهم كأنهم يعرضونها لسيف السلطان (١) وينشر وكيل مال السلطان ووكيل رئيس الخيما السود نقودا فضية على الناس (٢) .

(١) ان كلمة سلام له التي يسمى بها موكب السلطان مشتقة من هذا السلام

(٢) وكان كثير من السلاطين وعلى الاخر سليمان الاول يسرون اندراغم على الناس في مناسبات شبيهة بهذه عندما يذهبون الى الحرب او ~~يخرجون~~ يعمرون بمدينة ما .

ولما بع السلطان امام ثكنات الانكسارية القديمة يقف برهة ليتناول كأس الشراب الذي يقدمه الرئيس الثاني (اوضه باشي) للفرقة الواحدة والستين للسلحدار اعا الذي بدوره يقدمه للسلطان فيشرب منه . وعندما يرجع السلحدار اعا الكأس يضع فيه قبضتين او ثلاثة من النقود الذهبية . ثم يقدم قائد من الانكسارية اقل رتبة من الاول كأسا من الشراب لرئيس الخييان السود . وبعد برهة يذبح الاوضه باشي ثلاث خراف وهو يدعو بان يحفظ الله السلطان .

ولما يصل السلطان امام المسجد الذي بناه محمد الثاني يترحل من حواده ويزور ضريح هذا الاخير ويقدم بكل ورع احتراماته لذكره فاتح القسطنطينية وباني عظمة احتفال هذا اليوم . ويتألف قرب مسجد ايوب حاحز من رجال حاشيته يترجلون يحيطوا السلطان الذي يجتاز صحن المسجد مستندا على الصدر الاعظم واغا الانكسارية . ويكون قد تقدمه منير البلاط وشيخ مسجد ايوب يحمل كل منهما مبخرة من الذهب تصعد منها رائحة عود اللند . ويدخل الجميع المسجد حيث يتقدم المفتي ونقيب الاشراف بعد الصلاة ويقلدان الملاك السيف السلطاني بحضور الصدر الاعظم ورئيس الانكسارية والسلحدار اعا . وفي ^{القال} نقيب المفتي يذبح خمسون رأسا من الخرفان تحت حيطان المسجد الخارجية وفي اليوم التاسع من جلوس السلطان على العرش ياتي رسول من السراى وهو " الركاب دار اعا " يحمل للصدر الاعظم رسالة ثانية من السلطان بنفسه بمعنى الاولى مع فروة من جلد السمور وخنجر ومدة مرصعين بالحجارة الكريمة . فيتقدم الرسول ويلبسه الفروة ويضع في وسطه الخنجر وللمدية امام هتاف جماعة من الجواك " فيقف الصدر الاعظم ويقض الرسالة السلطانية فيقبلها ويضعها على جبينه ثم يقرومها الرئيس اقندى ويأمره الصدر الاعظم بالحواب عليها . في هذه المدة ينح لكل واحد من العشرين شخصا الذين يرافقون الرسول خلعة وخمس مئة غرش . ثم يرجع الرئيس اقندى حاملا الجواب داخل منديل حريري فيتناوله الصدر الاعظم ويقف ويختتم بالخاتم السلطاني الذي يحمله ويقدم الرسالة لرسول السلطان مع الف ذعب (توم دوقه) . ويقدم له ايضا جواهدا مجهزة بافخر عدة يمتطيها وهو راجع الى السراى .

ومن العادة ايضا ان يذهب السلطان في الاسابيع الاولى من حكمه ليتناول العدا عند الصدر الاعظم . ولا تسمح الاصول ان يتقبل السلطان ايا كان على ياندة طعامه وهو عند وزيره ان يتناول الطعام وحده ويخدمه بعض رجاله حتى ان الصدر الاعظم نفسه لا يكون معه ولا يقابله الا برهة

وحيزة قبل وبعد الطعام . ان ينسحب ويظل مدة هذه الزيارة في غرفة احد وزراء الدولة الذين يشتغلون بالباب العالي . وهذه الزيارة تكلفه مئة الف عرش تقريبا كهدايا يقدمها للسلطان ولرجال حاشيته .

هذه هي اهم الاحتفالات التي تحصل في عيد جلوس السلطان العثماني على العرش . ولا يظهر السلطان بابهة فخرة الا في الاعياد الدينية كميدى الفطر والاضحى وعيد المولد النبوى ، وسنذكر بايجاز ما يجرى من الطقوس في مثل هذه الاعياد . في منتصف ليل اليوم الذى يسبق عيد الفطر يرتدى السلطان الثياب والزينة السلطانية بعد ان يصلي طويلا في مسجد السراى ثم يخرج ليتقبل مباركة اهم موظفي حاشيته . ثم ينتقل الى غرفة العرش . وقبل بزوغ الشمس بساعتين تجتمع كل هيئات الدولة في ساحات القصر حيث يتخذ كل منها المكان المخصص لها . وعند الصباح يصلون جميعا صلاة الفجر برئاسة امام جامع اياصوفيا . وبعد ما يحلّس الصدر الاعظم في غرفة الديوان حيث يتقبل معايدة وتهانى كل الهيئات عدا هيئة العلماء ، ثم يذهب مختلف الموظفين الملكيين والعسكريين ويحفظون حسب الترتيب المعين من قبل في ساحة القصر الثانية ويقدمون تهنيتهم وطلعتهم للسلطان الذى يكون جالسا على عرشه امام باب السعادة او كما يحصل يوم عيد الجلوس بخلاف ملكككو واحد وهو ان الاحتفال بهذا العيد يجرى على انغام الموسيقى العسكرية . وهذا ما يسمى بالمعايدة او التهانى بالعيد .

ثم ينزل السلطان عن عرشه ليدخل بابهة فخمة الى احد الجوامع السلطانية وهو ينتخب عادة مسجد السلطان احمد لاسماعاحة الميدان التي بقره فكر لتسع جياذ موكه العديدة . ثم يجرى كل شي كما جرى وقت حفلة تقليد السفى للسلطان انما عنا لايحضر اى شخص من هيئة العلماء . وبعد سبعين يوما من هذا العيد يجرى الاحتفال بعيد الاضحى ^{نفسه} بالطقوس ^{نفسه} وبعد ان يرجع السلطان من المسجد يقوم بالعمل الدينى المفروض على كل مسلم في مثل هذا اليوم وذلك ان السلطان بعد ان يحلّس في خيمة نصبت له يتقدم الخصيان البيض يجرون عشرين خراف مزينة رؤوسها بخرقة برنس محلى بالحدادة الكريمة وبينما يقبل السلطان لاولى الضحية يقدم الخوخدان لافا للسلطان صبقا من الفضة عليه اربعة سواطير ملفوفة فاوضها بالحريز . فيذبح السلطان بيده اثنين من الخراف او ثلاثة . فيسلخ الاول ويؤخذ منه كليته فتشوى ويالكها السلطان وهو يتلو الادعية . اما بقية

الخراف مع عشرين غيرها فتذبح في اليومين التاليين من قبل رجال احد حاشية السلطان وباسم السلطان لتكون له بركة هذا العمل الديني . ^{والمسح لاي كان من مولغي حاشية السلطان القيام} ^{وتنوع لحم الفطاح كغيره لتفوز} باى تسمية داخل السراى .

ويكون الاحتفال بعيد المولد النبوى اقل ابهة ^{لوكى} موكب السلطان لطيف نصيب لاسجد يؤلف الا من رجال حاشيته اما كبار مولغى البلاط فيذهبون متفرقين . وفي ايام الجمعة يذهب السلطان الى احد حوامع العاصمة ليؤدي فريضة صلاة الجمعة . وكان يرافقه فيما مضى كبار شخصيات الدولة كما هي الحال في عدى الفطر والاضحى . وقد اعطت هذه العادة بعد حكم السلطان ابراهيم الاول . ولا يتالف موكبه الا من رجال حاشيته . ويصطف حنود الانكسارية على جانبي الطرق التي سيمر بها السلطان . ويومئذ يوجه الى الجامع يستقبله رئيس الانكسارية وشرح الحامع ويديهما مبخرتان من الذعبتفوح منهما رائحة عود الورد . ثم يتقدم اغا الانكسارية من السلطان ويخلعه نعليه امام مدخل الحامع وينحذه السلطان في اول مرة يقوم بهذا العمل ختحرار مصدا بالوحارة الكريمة ، فيطلع السلطان الى المرتبة المعدة له متكئا على اغا الانكسارية والسلحدار اغا . ويضع شيخ الحامع قرب المرتبة اثني عشر طبقا عليها الورود والفواكه يرسلها السلطان لنساءه وللسلطانات . ومن الاحاد ان يوجه السلطان حينئذ بعض العبارات لاغا الانكسارية . ولما يخرج السلطان من المسجد يتقدم هذا الاخير ويلبسه نعليه ويسير امام حواده بجانب شرح الحامع وكل منهما يحمل مبخرة الى ان يوهما بالوقوف . ويقبل اغا الانكسارية ثوب رئيس الخصيان السود لما يمر بقربه متبعا السلطان . ثم يذهب الى الصدر الاعظم ويقدم له احترامه واذا اراد ان يستقظ بشقة الوزير فيبه عليه ان يطلعه على ما قاله له السلطان في الجامع ويوجد ايضا احتفالان دينيان يحتفل بهما سنويا داخل السراى الاول بمناسبة ارسال المسكر السلطان المال لملك والمدينة والثاني بباركة المياه وذلك بوضع احد اطراف بردة النبي فيها . ولا يظهر السلطان امام جميع رجال بلاطه وامام رجال الدولة الا في ايام الاحتفال بهذه الاعياد وكان فيما مضى يحضر مجلس الوزراء ويتكلم معهم ويقبلهم على مائدته ايضا في بعض المناسبات . الا انه منذ زمن سليم الثاني وهو اول سلطان عثمانى تنزوى داخل قصره فان جميع السلاطين عاشوا في عزلة هادئة لا يمكن الاتصال بهم زيادة في العظمة . وهذه العزلة ادت لزيادة نفوذ الصدر الاعظم الذي اصبح هو بطبيعة الحال كان يفتتح

يتمتع بسلطة واسعة الموطنة الوحيد الذي يمكنه مقابلة السلطان .

ومع هذا فان الصدر الاعظم نفسه لا يمكنه المشور بين يدي السلطان ان اراد ان يقدم له احتراماته او ان يلحظه بامور الدولة الا باذن رسمي منه . وقبوله له يسمى "ركاب" وهي تسمية تذكرنا بالزمن الذي كان فيه السلاطين يصنعون قسما من حياتهم على صهوات الجياد . وهذه العبارة "الركاب السلطاني" تقابل عبارة "اعتاب العرش" حيث لا يستعمل الوزراء غيرها في معاملاتهم واليهود والنداس في ^{عراشهم} ~~عراشهم~~ لدى مخاطبتهم السلطان . ويقبل الصدر الاعظم للمشور في "ركاب" السلطان اي في حضرته في بعض الايام مثل اول راس السنة ويومي عيدي القصر والاضحى وعند ذهاب السلطان الى مقره الصيفي وعند رجوعه الى السراي الخ . . . وهذا ما يسمى "بالركاب العادي" اي الذهاب المقابلات العادية ، ومع ذلك فان الصدر الاعظم لا يقابله الا بالمر سلطاني حيث يرافقه المفتي الذي يأخذه الى دائرته ويتقدمهما الوزراء وموظفو الباب العالي ثم يذهبان الى السراي ويترجلان عن حواديهما امام ساحة القصر الثانية التي يحتازانها ماشيين . ويتقدمهما امام باب السعادة رئيس الخصيان السود وحامل السيف اللذان يتبعهما رؤساء القسم الداخلي وكبار الخصيان . فيدخلان غرفة المجلس متكئين على اثنتين من هولاة الرجال . فيحنني الصدر الاعظم ثلاث مرات امام السلطان ويركع ليقبل قدميه الا ان السلطان يمنعه بوضع ثوبه عليهما . وعندما يقترب المفتي منه ليقبل ثوبه ناحية الصدر يناوله السلطان راحة يده وهذا التمييز مخصص لرئيس الشرع فقط . ثم باشارة منه يتقدم نائباه ويجلسان على سجادتين صغيرتين . واذالم يحر بحث في اعمال الدولة فالجلسة لاتدوم سوى بضع دقائق . وينح السلطان للمفتي لقب خوجة او "ملا" وللصدر الاعظم لقب "لالا" او باشا او لقب اب اذا كان الوزير متقدما في السن .

وان كان هناك اعمال هامة تدفع السلطان لمباحثة وزيره فانه يدعو لجلسة استثنائية تتم بحضور بالطقوس التي اوردناها . وبما ان مثل هذه الدعوة تحلب انتباه الجمهور وتترك الافكار مرتبكة فالسلطان يفضل دعوة وزيره خفية . ومهما كانت الثقة التي يتمتع بها الصدر الاعظم كبيرة فهو لا يذهب لحضور مثل هذه الجلسة بدون ان يخامره القلق لان الوزراء مثله يدعون الى السراي ايضا ليتسلموا خبر تفهمهم او ليعدموا .

وفي ايام انعقاد الديوان فقط يتقبل السلطان في حضرته اربعة من رجال الدولة عدا الصدر

الاعظم وهم : امير البحر ، وقاضيا العسكر واعا الانكسارية . ولا يقابل رئيس بيت المال الا في الايام التي تصرف فيها الرواتب للعسكر او ثلاث مرات في السنة و عدا هؤلاء لا يمكن لأي موظف بمكة . يصل الى السلطان .

اما تقارير الدوائر فكلها ترسل للصدر الاعظم الذي وحده يطلع السلطان على مجرى الحوادث بمذكرات تسمى حسب نوعها تقارير او تلخيصات . فالاولى تبحث في الاعمال الجارية اذ يعرض فيها الوزير الامور ويبين رايه فيها ويطلب الاوامر النهائية من السلطان . فاذا عرض هذا الامر على بساط البحث في المجلس فانه يطلع السلطان على النتيجة . اما التلخيصات فانها تبحث في امور قد سويت قبلا بواسطة الشرع او القوانين او العادة . لما يتطلب في تحقيقها موافقة السلطان عليها ولا يكون في هذه التلخيصات غالبا سوى مجرد الرأي .

ويطلق اسم تلخيص ايضا على رسائل التهاني او التعازي التي يقدمها الصدر الاعظم للسلطان في بعض المناسبات التي تقضي بداعادات البلاط . ويكون اشداؤها فخماً جداً مليئاً بالاستعارات والامثال والاقوال والحكم . وتبدأ الرسالة بهذه النعوت : للسلطان العظيم الحلال والكبير الرحمة الرقيب الكبير القوى سيد نعمتي وولي امري وسيدى . وفي نحر الرسالة ينعت الصدر الاعظم السلطان بنظر الله في ارضه وخليفة النبي وسيد العالم الخ . . . وان كان هناك حادث سعيد فانه ينسبه للمحظ لحسن طالع السلطان ، وان كانت شكاوى من مصيبة ما فانه يعزوها لاحكام القدر وينظر اليها كعذاب من السماء استحقته الامة بخطاياها وكانذار لها لتنهض من سباتها الاثم ولتدفع بحمية اكبر لتحقيق التعاليم الاسلامية .

ويشار ايضا بكلمة تلخيص التقارير التي يبعثها المفتي ووزراء المالية للصدر الاعظم عن الاعمال الجارية . وتكون تقارير المفتي داخرا اكياس من الحرير الاخضر وهي وحدها التي يحق للصدر الاعظم الاطلاع عليها ^{السلطان} وتكون مرفوقة بتقاريره ^{التي} ~~مرفوقة~~ موضوعة في اكياس من الحرير الابيض ويصدر السلطان اوامره طبق بيان الصدر الاعظم وذلك برسالات خاصة تسمى " خط شريف " ويطلق عند الاسم على كل رسالات السلطان . وكما ذكرنا بانه لا يضع توقيعهم قط عليها اذ يقوم خاتمه واول حرف من اسمه مقام توقيعهم . فالبرامات والاوامر تختلف عن بقية رسائل السلطان بان يكتب السلطان يده في اعلاها ، *Mudjibindje am el Olouma*

أي فليعمل كما هو مأمور. أما إذا كانت الرسالة أمر تعين فإنه يكتب عوضاً عن كلمة *amir* كلمة "توجه".

ويمكن الاعتقاد بأن القدرة في تقديم العرائض للسلطان كما يظهر للجمهور هي عملية سهلة يتمكن بها الناس من تقديم شكواهم للسلطان ضد الصدر الأعظم ^{سلطان} وموظفي الدولة. ولكن عدا أنه لا يحق لأي شخص تقديم مثل هذه العرائض فلها فإذا ولا بد قدمها أصحابها تؤخذ شكلاً فقط. ويرسلها السلطان عادة للصدر الأعظم مع الأمر بفحصها وإجراء العدل. وأنه من السهل على أصحاب الشكاوى ضد الصدر الأعظم أو ضد مروضيه أن يعرفوا مقدماً عاقبة علمهم. وكان المتظلمون فيما مضى يحطون بيد عرضتهم وباليد الثانية حصيد ينبعث منه الدخان، فوق رؤوسهم ليشتدوا بأنهم ضحية الجور. إلا أن الحكومة تحتاط الآن في أن لا يقع نظر السلطان على مثل هذا المنظر.

وسنحاول الآن القاء نظرة على حياة السلطان الخاصة وقد عرفناه وهو داخل حرمه ولكه/ له يترك مكان لذاته هذا الذي يدخل مكاناً لا يقترب منه إلا عدد ضئيل من موظفيه. وهو جناح مؤلف من عدة غرف تتصل بالحرم من ناحية وبمكان "الخامر ماينجي اوضه" من ناحية ثانية. والذين يقومون على خدمة هذا المكان المسمى "مايين" هم (رؤساء الخصيان السود ورئيس الخصيان البيض ورئيس البكم وأتباعهم شخصاً من موظفي الدائرة الأولى. وبعض الموظفين من الدوائر الثلاث الأخرى. وهم نسبة لاسم هذا المكان "مايين" فأنهم يدعون "ماينجي". أما بقية موظفي داخل القصر فأنهم لا يخدمون في هذا المكان الأقي أيام الاحتفالات.

عندئذ "فالسحدار لما" هو الذي يقدم القهوة للسلطان. والجو خدار اغا يقدم له الشراب في أنية من العيني يحملها على راحة يده مغطاة بقطعة من الحرير موزر كمة بالذهب (١) وفي كل مرة يطلب السلطان فيها الشرب يهرع الخدم المصفون في آخر الغرفة والواضعين أيديهم على وسطهم كلهم دفعة واحدة وبسرعة ليحضروا له الوعاء من الغرفة المجاورة ثم يرجعون إلى مراكزهم. وعندما ~~يصل~~ ينتهي السلطان من الشرب ينحنون ويدهم العيني على الأرض. وهو يتناول طعام الغداء في الساعة الحادية عشرة. فيوضع أمامه على طرف الأريكة مقعد صغير

(١) كما مضى في تلك العاد التي كان يقيمها السلطان لعظماء رجال دولته الذين كانوا إذا ما يقبلون في حضرته على مائدة طعامه كل واحد وزراء الدولة هو الذي يقدم دائماً هذا الوعاء للسلطان.

مع على بالخمّل المصنوع بالذهب يوضع عليه طبق من الفضة أو الفضة المذهبة . ~~هذا~~ وهي مائدة السلطان ويضع عليها " الحوخدار اعاء " الالوان الواحد بعد الآخر في صحون من الصيني . ومن النادر استعمال الاواني الذهبية والفضية لانها منقوعة شرعا (١) . ويقوم السلحدار اعاء بقطع وتحزء . وتبيل الطعام للسلطان فتكون احدر ركه على الارض وكم ثوبه اليمين مرفوعا فوق ساعده . بينما يكون " الركاب دارلعا " واقفا قرب الاريكة يروح بمروحة من الريش ليدفع الذباب . ويتتابع بسرعة على المائدة خمسون او ستون صفا وذلك خلال ثلاثة ارباع الساعة ويكون اخر صحن او لون من الازرق بعد ذلك يقدم له شراب حلوي يسمى " خضاب " معمول من عصير مختلف الفواكه . وتعزف الموسيقى عظمه وقت الطعام .

وكثيرا ما يصرف السلطان يومه في احد الاكشاك التي ~~تسمى~~ ^{ترسم} جئات السراي او التي تقوم على ضفاف البوسفور وبحر مرمرة وعددها كلها ثمانون تقريبا . واحتفظت حفلات السرور هذه باسمها القديم " بينيش " ومعناها " الركوب بالتم من ان السلطان يرتاد هذه الامكة غالبا عن طريق البحر .

عندها يرى الناظر مجموعة مؤلفة من عشرين قارباً مختلفة الحجم ولطيفة الشكل تساب على سطح المياه مدفوعة بحركة الجذافين الموزونة . ويسبق الموكب احد رجال الحرس ليعبد الناس ويكون ورائه قارب ثانٍ بسبعة ازواج من المحاذيف فيه "الدولبند اغا" يحمل بيده عمة سلطانية يعيل بها يمينا ويسارا كما يفعل على اليابسة لما يسير الموكب السلطاني . ثم يأتي الملاحدار الثاني ومشير البلاط كل منهما في قارب يسبقان اليختين السلطانيتين (صندل) كل منهما بثلاثة عشر زوج محذاف . تكون مقدمة اليخت الاول منحنية وتكون مقدمة الثاني على شكل منقار السنونو . في حال سراء السلطان القصر يركب الاول تحت مظلة قرمزية اللون محلاة باهداب ذهبية تعلوها كرات من الفضة الذهبية .

ويكون امامه الثلاثة الاولون من موظفي الدائرة يقبض البستنجي باشي على الدفة ويحتل رئيسا " الحوخدار " وسط البيخت ويكون الخاصكي لفا في المقدمة . ويكون في البيخت الثاني امام الاسراء وكبير من الموظفين ^{يقوم} يحيط واحد منهم في المقدمة يحمل ابرقا من الماء معلقا

(١) لما اراد بايزيد الثاني جلب اواني الطعام لطبخه امر قبل ان يستعطفها ان يطعم بها عدد كبير من الفقراء في ساحة القصر .

بطرف مصام . ويركب السلطان هذا اليخت في رحوه من النزهة . ثم يأتي قارب باثني عشر زوج
مخداف يقل رئيس الخصيان السود والخزندار لغا . اما بقية القوارب فتكون من ذوات السبعة الجاذين
الزرد ~~بعضهم~~ . ويحذف ~~من الكل~~ جماعة من البستجه عدا الستة الاخيرة التي يحذف فيها
انصار من المحكومين باسغال اللومان . ويكون منظرهم ضائقاً تماماً وفخامة الموكب .
فيذهب السلطان منذ الساعة العاشرة صباحاً الى القنطرة الذي اختاره لتضية يومه فيه حيث
يظل فيه حتى عياب الشمس . وتجرى في اثناء ذلك مناظر والاعاب مختلفة لتسلية . فيتقابل احيانا
الشبان من خدمه وغلماؤه في معركة بين بعضهم حاملاً كلاً منهم بيده سوطاً من الجلد ينتهي
بكرة من الصوف " توماك " وحيانا اخرى يمتطون حياذاً سريعة نشيطة فينقسمون الى فرقتين ويكون
على بعضهم مترامين برماح خشبية " الحريد " (١) ويقوم عدد من المصارعين " بهلوان " وهم عراة
حتى وسطهم وحسبهم مدحون بالزيت بحركات فيها قوة ومهارة . وبعد هذه التمارين تحرى سباقات
في الركض ^{الفروسية} والمخاض ^{الفروسية} والقفز العالي ثم يقوم مهرجون بوالحيون شبان برقعات شهوانية . وتعد
هذه الحفلات السارة منذ عهد السلطان احمد الثالث كل اثنين وخميس من ايام فصل الربيع .
وتقام حفلات مثل هذه في عيدي الفطر والاصحى وهي مناسبة الجلسة الفخمة التي يقامها
السلطان لامير البحر عند ذهابه مع الاسطول الى الجزر . وعند عودته منها . وتقام هذه الحفلة
في " يلي ككك " وهي دار واقعة قرب اول السراي . فياتي القبودان باثنا في قاربه المخصص
للحفلات فيستقبله مشيراً الككك البلاط والبستجي باثني على الرصيف ويقودانه الى دار رئيس
الخصيان السود حيث يحده عنده الصدر الاعظم والمفتي . وبعد ان يلبس كل من هؤلاء الثلاثة
حبة من حلد السمور يدخلون الى الككك الذي يكون فيه السلطان فيكون جالسا على عرشه محاطا
برجال اشهر الخصيان السود وبموظفي الدائرة الاولى . اما بقية رجال البلاط وقسم من عسكريها

(١) فالمتمرنون منهم على رمي الحريد وعددهم مئتان تقريباً يسمون " حندي " وهم يوالفون فرقتين
ال ^{Banwadji} وال ^{Pakhamadji} يسيطر عليهما حاملاً شديداً . ولدى الصدر الاعظم ثمانين جندياً
ولكل حاكم ولاية ايضاً عدد منهم . ورمي الحريد احب رياضة لدى الشبان . حتى ان كبار الشخصيات
ايضاً تتدلى باظهار مهارتها في هذه الاعاب التي تكون خطرة في غالب الاوقات . فان الصدر
الاعظم عزت محمد باثنا الذي سار سنة ١٧٩٩ لنجدة مصر لما داعمتها الجيوش الفرنسية كان
فاقداً احدى عينيه بضرية رمح .

حاشيته فانهم يصطفون على طول الحائط عن يمين وشمال دار النزعة . ثم يقف الى مسافة قريبة نائبو امير البحر الثلاثة وهم : " القبود اما والبدرنا والريالا " كما يقف ايضا قواد سفن الاسطول . وكل واحد من هؤلاء بعد ان يضع عليه رئيس التشرىفات " قفطانا " اى خلعة) يتقدم بين اثنين من رجال السراى الى نقطة معينة قرب عمادة الرخام فيقف هناك ثم ينحني امام السلطان منسحب . ويكون الصدر الاعظم واقفا امام العرش بين المفتي والقبودان بالثما فيتلو على السلطان اسماء القواد عندما يمشون بين يديه . وتطلق سفن الاسطول المزينة بالاعلام مدافعها تحية للسلطان .

وكثيرا ما يقوم السلطان متخفيا بنزهات في المدينة على صهوة حواده يرافقه بعض الخدم ويكونون متكرمين ايضا . فيسير اثنان امامه واثنان من على جانبي حواده ويسير الباقي وراءه على مسافة قصيرة . وفي هذه التحولات التي يكون احيانا المقصد منها تفشيش الشرطة والتحقق من عدم الغش في الكيل والاوزان عند البائعين ومعرفة اسعار المأكولات واخذ المعلومات مباشرة عن كل شيء قد يحدث في ان يامر السلطان بتوقيفات واحكام بالموت تنفذ لوقتها . اذ يتبع احد الجلادين دائما السلطان عن بعد . حتى انه في المرات الاولى التي يقوم بها سلطان جديد يمثل هذه التحولات لا يتاخر في اعطاء اوامره بقطع بعض الرؤوس ويكون ذلك غالبا عقابا لمخالفت بسيطة لكي يشتهر عنه انه قاس فيرعب جانبهم . لهذا فان وجود السلطان حتى ولو كان من ارق السلاطين جانبيا يلقي الرعب في قلوب الناس الذين يهادفهم في طريقه . ويقوم السلطان بواسطة هذه التحولات المتخفية بزيارات للسلطات المتزوجات وللصدر الاعظم وللمفتي وللقبودان باشا وللبعض العظماء الذين يعطف عليهم . ويتناول الطعام عندهم منفردا ~~عنده~~ ويقوم على خدمته ابناء واقرباء من يكون عنده لانه كما ذكرنا لا يقبل على مائدته الا السلطانات .

ترتفع مدخولات السلطان المعينه والغير المعينه الى عشرة او اثني عشر مليون قرش . وهي تأتي (١) من املاكه التي قسم منها يديره هو والقسم الاخر موزع اما سنويا او دائما (٢٠) من واردات البساتين والحدائق السلطانية الموزعة تحت اشراف البستجي باشي بمبلغ ستة الف غوش تقريبا (٣) من احوال انابات والاخراج المقسمة الى سبع وعشرين اقليما يشرف عليها رئيس الحجاب وهي تدر سنويا خمسين الف غوش (٤٠) من الضريبة على سواك الخيل وهي تحت ادارة رئيس الحجاب وقد يرتفع واردها الى (٢٩٠٠٠٠٠) غوش (٥) من مبلغ (٣٠٠٠٠٠٠) غوش تؤخذ من خراج

مصر .

وتألف واردات السلطان الغير المعينة اى البراقية :

(١) من واردات صك النقود . (٢) من واردات بيع المناصب العالية (٣) من الهدايا التي على كبار الدولة تقديمها للسلطان في اوقات كثيرة من السنة (٤) من حصته من واردات المناجم وغنائم الحرب والاشياء الملقطة او التي شرع عليها . (٥) من الديار التي يدفعها الموظفون الذين يكونون مهنيين بالموت او النفي فيفدون انفسهم بدفع قسم من اموالهم . (٦) من استغناء الاموال وهي تعيب كل من هو في خدمة الدولة .

كانت الدولة في زمن اول سلاطين آل عثمان لاتضبط سوى اموال ومشروعات من قام على الدولة وهذا موافق للقانون . الا ان هذه العملية كانت تتسع وتتداول مخالقات كل موظفي الدولة الذين توفوا وهم في الخدمة . وقد ايدحت عام ١٧٢٩ بفتوى اصدرها المفتي بدحت عبد الله ان ~~السلطان~~ اراد ان يحصل اعمال السلطان احمد الثالث الجائرة قانونية . وكان هذا السلطان بخيلا وزاد في بخله نصب بيت المال على اثر نكبات الدهر عليه . وقد استند المفتي في فتواه على المبدأ المعروف بهذا ~~منه~~ جميع المسلمين وهو ان كل موظف في الدولة هو عبد للسلطان ويجب ان يجمل مع العبد ارق الذي يكون شخصه وما دخره من الاموال لمولاه .

وهو بالنتيجة يعتبر السلطان الوريث الشرعي والعام لكل انسان يموت وهو في خدمة الدولة ولا يستثنى هذا القانون غير العلماء اى رجال الدين وخود الانكشارية . حتى الامراء اى الاشراف

الذين ينتسبون لآل البيت لا يستثنون منه . وعلى هذا فيعد موت احد موظفي الدولة توضع الاختام على بيته باسم من الدفتردار . ثم يعلم الصدر الاعظم السلطان الذي لا يتاخر عن اخذ حقوقه الا اذا نظربعض الاعتبار طيلة مدة الموظف في خدمة الدولة واذا كان سلوكه لا يبار عليه . عدا هذا الحال وهي لاتحصل كثيرا يجب على العائلة لكي تحصل على بعض ارشها ان تكون لها حماية قوية . فتوضع قائمة باسماء كل مخالقات المتوفي التي تباع بالمزاد العلني في غرفة بيت المال في السراي . ويفقد دائنوه حقهم منه ~~المنزوي~~ ويعد اضعف كم

من حق السلطان . او اذا توصلوا الى اخذ بعض ما يطلبونه بحق وهذا لا يكون الا بعد ~~الحكم~~ استعطافات وترحيات فان ما يضحوه لا يخذونه كحق لهم ولما كمرحة من السلطان عليهم . اما في الولايات فان الحكام هم الذين يقومون بضبط الاموال التي يخلقها موظفو الدولة

ان يحكم الحاكم الدنيا ^{نفسه} عندما يموت او يغضب عليه فان خلفه هو المسؤول عن تقديم امواله للدولة .
فيضع القاضي الاختام على متروكاته ثم يحضر مفتشون بسرعة من العاصمة لاستلام ممتلكاته
فيبيعونها بالمزاد العلني ويضعون الاموال في ضايق مال السلطان .
ومنذ عهد السلطان محمود الاول ذهبت الدولة حتى الى الاستيلاء على قسم من متروكات الاعالي
سواء اكلوا مسلمين ام ذميين من الذين يتكون ثروة تفرض انما اعظم بكثير مما تدل عليها حالتهم
فالسلطان اذا بيأسر سلطته الامانة بصورة خاصة على ارواح و اموال موظفي الدولة
وذلك بقتضى صفته الحاكم الاعلى يحق له انزال العقوبات او انه يحاكم بنفسه عمال دولته .
اما فيما عدا ذلك فان الشرع يحجب من ارادته كما تحد منها العادات وتعبات الامة . لان الشرع
الذي لا يمكن ان يحرق ~~بغير~~ ^{تفكير} ~~بغير~~ نعم القوانين العامة للادارة الحكومية . ولكن الشرع يترك
وهناك ~~لحكمة~~ ^{لحكمة} السلطان امر تعديل هذه القوانين نوعا ما وحسب المناسبات وهو يقتضى عنه
الخاصية بسن القوانين والادلة . اما المسائل التي لم يرد ذكرها في القوانين والادلة فانه
يقرر بشأنهما حسب العادة او العرف (ارادة السلطان الاختيارية) .
وبما ان السلطان يعتبر خليفة الخلفاء فانه يجمع الى سلطته السياسية السلطة الدينية .
لهذا فله وكيلان الصدر الاعظم والفتي .

الباب الثاني

الصدر الاعظم ودائره

يبعث هذا الباب : (١) عن الصدر الاعظم (٢) عن وزراء الدولة (٣) عن ابناء سر الدولة (٤) عن بقية موظفي هذه الدائرة (٥) عن حاشية الصدر الاعظم .

الفصل الاول

الصدر الاعظم

ان معنى كلمة وزير في اللغة العربية هو معاون او مساعد واول من اوجد هذا اللقب هو عبدالله السفاح مؤسس الدولة العباسية وقد منحه لوزيره الاول ابوسلمة الحلال عام ٧٥٠ م . وكان وزراء اول سلطنتين عثمانيتين يدعون فقط وكلا . وقد اعطى مراد الاول سنة ١٣٧٠ لقب وزير للخندري قره خليل الذي منح ولده علي باشا وخليفته من بعده لقب الوزير الاعظم سنة ١٣٨٦ ثم توصل ابن علي باشا وحفيده الواحد منهما بعدا الاخر الى اشغال منصب هذا المركز . اي ان سلالة الخندري احتلت منصب الوزارة مدة قرن من الزمن تقريبا . وبعد وفاة اخرهم خليل باشا عام ١٤٥٢ رأى السلطان محمد الثاني سوء عاقبة تمركز السلطة كلها بيد وزير واحد فامركا بازالة هذا المنصب العالي . ولكنه لم يتركه شائرا سوى ثمانية اشهر ولم يبقه السلطان سليم الاول الذي كان على رأى سلفه بدون وزير سوى تسعة اشهر . وفي زمن السلطان سليمان ظل (فرناك ابراهيم ثاني هذا المنصب مدة ثلاثة عشر عاما . وبعده ظل رستم صدر السلطان سليمان خمسة عشر عاما في الوزارة وفي اواخر حكم هذا السلطان ترسع على دست الوزارة " الطويل محمد " وبقي في مركزه طيلة حكم السلطان سليم الثاني وتوفي وهو صدر اعظم في زمن السلطان مراد الثالث . وتوصل " الكهرلي " الاب والابن الى هذا المنصب وحكما الدولة مدة عشرين عاما قسم منها في ايام قصور محمد الرابع المضطربة . ومنذ ذاك الوقت لم يبق الصدر العظام في مراكزهم اكثر من سنتين او ثلاثة . وكان عددهم منذ سنة ١٣٧٠ حتى ١٧٨٩ اى سنة طوس السلطان سليم الثالث على العرش مئة وثمان وسبعين وزيرا .

وكان هذا المنصب الرفيع فيما مضى لا يمنح الا لاشهرافضاء الديوان . ويكون عادة وزير القبة * الثاني هو الذي يخلف الصدر الاعظم . الا انه منذ انحلال " وزراء القبة " الذي حصل في عهد احمد الثالث اخذ السلطان يعين في هذا المركز اما حاكم احد الولايات او أحد كبار الموظفين الموحدين في الاستانة مثل امير البحر ورئيس بيت المال والمخينة ^{بها} ولما الانتكارية والسلاحدار لما ومن النادر ان يقع الاختيار على شخص اقل مرتبة من هؤلاء . واذا ^{الاولاد} حصل ذلك فانه يمنح لقب باشا قبل ان يستلم الخاتم السلطاني . والعقرون من السلطان هم الذين يوجهون مسألة اختياره وذلك ~~لانه~~ لانزوائه في قصره فانه لا يعرف عن اشهر رجال دولته مقدرة سوى اسمهم . ولهذا فالدسائس والصدف والاهواء تغضب على عنان امور الدولة . واذا تم امر هذا التعيين فان المكاتب الجديدة التي تحاك وسياسة السراى المريبة لاتسمح لمن يحتل مثل هذا المنصب الرفيع ان يظل طويلا في مركزه . فانه يرجع ويصبح في العدم منذ الوقت الذي ياتي فيه احد موظفي السراى ويطلب منه الخاتم السلطاني . واذا لم يحكم عليه بالموت فانه ينفي من البلاد . وتضبط في قلب الاسر الاحيان امواله ويعد نفسه سعيذا اذا عين حاكما لاحدى الولايات .

وكان ^{بعض} بعض الخاتم السلطاني ^{بعض} بعضا للصدر الاعظم الجديد وهو في قصره من قبل احد موظفي السراى ولئن منذ زمن احمد الاول فانه يتناوله كما قد ذكرنا من يد السلطان ويعددها يرجع من القصر حتى مدخل السراى تحرسه فرقة من رجال الحرر . وعندما يكون الديوان منعقدا فان معظم موظفي البلاط يصطفون لاستقباله . ويأتي لزيارته لما وقواد الانتكارية كل اربعة ايام ياتون كل يوم جمعة بعد الصلاة . وفي هذا اليوم ايضا ^{بعض} بعض يمثل ^{بعض} بعضه امير البحر ورئيسا فرقة السلاحدار . ورئيس الحجاب " قوبوچلر مخينة " وهو يعقد مطما عاما مرة في كل شهر ويقصر حفته في عيد الفطر والاضحى وقبلهما بيوم رجال الدولة المدنيين والعسكريون لتقديم تهانئهم له . وعلى كبار رجال الدولة عد المفتي ان يقبلوا نوبه والطائف ~~لانه~~ لايسمح بذلك بل يقدم لهم يده .

ويكون قاربه باني عشر زوج مخلف ويكون في موخرته مظلة من جوخ اخضر (١) - وينفرد

(١) ولا امير البحر ولاغا الانتكارية وثلاثة من موظفي السراى ايضا قوارب باني عشر زوج مخلف اما بدون مظلة . اما قوارب المفتي ووزراء الدولة وسفراء الحكومات الاجنبية فتكون بسبعة ازواج وخمسة للقاضي عسكر ولقاضي الاستانة . واربعة لباني موظفي الدولة اما قوارب الاعالي فتكون باثنين او ثلاثة وتكون مظلة بدها ان لسوداواتهم اللون .

وحده بعزبة وهي ان يكون له ثمان من حرس الشرف "سطار" واثناعشر حواذا تقاد باليد (١) وتتألف موسيقاه العسكرية من عدد من الزامير والنقارات والدقوف والصناجات ويضاف اليها في وقت الحرب طبل كبير (٢) .

وعندما يظهر امام الجمهور يحويه حجاب يدعاه يقولونه بصوت عال . فيرفع رئيسهم الدوحي حاشي " صوته قائلا : " عليكم السلام ورحمة الله " فيجيب الجواش كلهم معاً " فلتوا تيك السعفة وليماضدان الله ، وليحفظ العلي الاعلى عمر سلطاننا وعمر الصدر الاعظم مولانا ، وليهوشوا طويلا سعداء " .

وعندما يذهب ليتسلم رئاسة الجيش يضعه السلطان فروة من جلد السمور لها طوق عريض ومشابك من الذهب مع سيف وخنجر وقوس وكمان وسامين والكل مرصع بالحجارة الكريمة . فيخرج من العاصمة راكباً احدى حياض السلطان تخفق امامه الراية النبوية ويصل عدد جياده حشاش التي تساق باليد^{هناك} الى ثمانية عشر . ويظل بقره عطلة مدة الحرب ستة عشر من رجال حرس السلطان . ان كل الموظفين عدالفتي يتسلمون من الصدر الاعظم امر تصيبهم في مراكزهم . فيمنح لهم محضرتهم وبحسب مراتبهم قفطانا او فروة من جلد السمور . فالصدر الاعظم والفتي هما الوحيدان اللذان يعينهما السلطان ويعتبران كأنهما معيان مدى الحياة .

ويقوم الصدر الاعظم غالباً بتفتيشات داخل البلدة يتبعه رجال من حاشيته وذلك كي يفقد حالة الامن وعلى الاخضر لكي يتأكد من سعر المواد الغذائية وهي اوزان الباشمين . وكان يرافقه فيما مضى اغا الانكماريه وقاضي الاستانة . اما الان فهو يخرج في غالب الاحيان متخفياً في ايام الاثنين والخميس في عطفه ديوان الباب العالي . كما انه يذهب ايضا اثناء هذه العطلة لمقابلة المفتي ليتباحث معه في اهم الامور وهذا الاعتماد في الاعمال تقضي به السياسة الرشيدة . ويقوم أمير البحرايض وروؤساء فرق المشاة الثلاث الاولى بدوريات تفتيشية كل ضمن دائرته ويكون ذلك غالباً في الليل .

وعندما يرفع السلطان الى منصب الصدارة احد الباشوات من حكام الولايات فانه يعين موقتا حتى مجيئه للعاصمة احد الموظفين ممن يحمل رتبة باشا من ذات الاطواغ الثلاثة لم يقوم باعمال الصدر الاعظم ويعطى لقب قائم مقام . وهذا المنصب كما هو ظاهر قصير الامد وقليل الاعية . كما ان الامر يكون عكس ذلك في زمن الحرب عندما يقود الصدر الاعظم الجيش . فيصبح القائم مقام

(١) ويكره الباشوات الاطواغ الفتنة مع جياد . مستجيبا لباشوات القرغيزية ونوطة نجبة الباشوات واقنيه فقط لوزراء الدولة وروؤساء الجيوش التي انضمت اليه .
(٢) الباشوات ايضا حسب درجاتهم تسعة او ستة او ثمانية من الموسيقى

اذن انه وهو يمثل الصدر الاعظم لدى السلطان ذو شخصيه عداله في الدولة . وتخلق المنافسة ^{حيث} فسطح بين هذين الوزيرين وتقربا دائما نزاعا شديدا .

وغل الصدر اعظم يسكن مدة عويلة في بيوتهم الخاصة الا انهم منذ سنة ١٦٥٤ اخذوا يقيمون في قصر واسع لا يبعد كثيرا عن السراي ويسمى " باب الباشا " باشا قبوسي " ومنه استقت كلمة " الباب العثماني " او الباب العالي " .

وعندما يقال الصدر الاعظم من منصبه يذهب احد موظفي السراي متخفيا ويكون عادة " القبو جلوك خده سي " الى الباب العالي ومعه امر خطي من السلطان . فيقدمه للصدر الاعظم الذي يقبل باحترام " الخطي شريف " ويرد له توا الخاتم السلطاني ثم يقوم عن اريكته ويخرج من القصر بدون ان يسمح له حتى رؤية عائلته ويذهب تحت امرة رسول السلطان الى المكان الذي نفي اليه . اذ انه لا يحق للصدر الاعظم المعزول الاقامة في الاستانة . اما اذا جاء الامر بتوقيفه فان البستنجي باشي هو الذي يوقفه .

وسوف نعرض نظام هذه الوزارة العظيمة التي تقسم الى ثلاث دوائر يكون على راسها :
الكخيمه او الكخده بان والرئيس اقدي والجاش باشي .

الفصل الثاني

وزراء الدولة

- (١) - الكخية بان (١) . هو نائب الصدر الاعظم يقوم بصورة خاصة باعمال الشؤون الداخلية والعسكرية بحمل رتبة باشا من ذات الثلاثة اللواغ .
- (٢) الرئيس اقدي (٢) . هو ^{نفسه} وزير الشؤون الخارجية وامين سر الدولة والمستشار او المهردار (اي حامل خاتم السلطان) . وامين سر للدولة فانه يدون التلخيصات

(١) كخية محرفة عن الكلمة الفارسية كخدا ومعناها عامل او وكيل .
(٢) لقبه الاصلي هو رئيس الكتاب

التقارير التي يرسلها الصدر الاعظم للسلطان . وكستشار او مهردار فهو رئيس الدائرة المسماة
بالديوان السلطاني " ديوان هميون قلعي " .

ان هذه المستشارية منقسمة الى ثلاثة مكاتب وهي مكتب البليكيك (البليكيك املاك معين
ريعيها لقواد الانكشارية الكهري السن وتكون لهم بمناسبة معاش تقاعدي) مكتب التحويل ومكتب
"الرووس" .

فالمكتب الاول هو مستودع اوراق القوانين المدنية والعسكرية والمعاهدات المعقودة مع
الحكومات الاخضية . ومنه تصدر كل المراسيم والقرارات غير التي تتعلق بدائرة المالية . ويحرر في
المكتب الثاني براءات حكام الولايات وتقارير جملته الملا او قضاة مدن الدرجة الاولى وتقارير (ضبط
فرماني) من يقتنون الاقطاعات العسكرية . اما المكتب الثالث فانه يرسل تقارير رؤوسا وكتاب
كل الدوائر ورؤوسا القبوحي باشي واساتذة المدارس الحكومية ورجال الدين والمشرفين على الاوقاف
الدينية كما يفعل ايضا في اجازات الرواتب على الخزينة وعلى الممتلكات الدينية . ويعمل في هذه
الدوائر مئة وخمسون كاتباً تقريبا يقسمون الى ثلاث درجات : الكتاب *Schahmush* والكتاب *Scharhilius*
ويتناولون كراتب لهم اقطاعات عسكرية (الذعامة والتمار) . ويعطى لاصحاب الدرجتين الاولى
والثانية لقب *Shahmush* او اصحاب الرواتب . ولا يحق لهم ان يتبعوا الجيش الا اذا كان بقودها
السلطان او الصدر الاعظم . ولكل مكتب رئيس يدعى *Kumshah* ففي المكتب الاول ثلاثة كتاب رئيسيين
يدعى الاول القانونجي وعليه ان يستخلص من كتاب القوانين العامة اوقانون نامه الحكم الموافق
لمسألة ما وان ينسخه بحانب السؤال الذي وجهه له الرئيس افندي عن هذا الموضوع . والثاني
هو *Shahmush* يقوم بكتابة التقارير عن الاعمال المتعلقة بدائره . اما الثالث فهو المميز فخص
ويصحح الاوراق التي دونها الكتاب .

ويجب ان يكون على نسخة كل امر اوقانون توقيع الصدر الاعظم الذي يخطبهده عليها
الكلمة العربية "صح" وتكتب الاوامر دائما باحرف كبيرة وعلى قرطاس كبير معقول طبعت عليه صور
ورود بالذهب والفضة وتكون اكثر الاسطر مكتوبة بماء الذهب . ويضع الكاتب اسمه على ظهر النسخة
التي يرسلها والتي يوقع عليها كل من المميز ونائب المستشار والرئيس افندي . فاذا كانت مرسلة
الى احدى الولايات فان " النهمنجي " يوشح اعلاها بالطغراء السلطانية ويسمى الامر اذا كان
فرمان . اما الاوامر التي تصدر للموظفين الموحدين في العاصمة فانها تسمى " بيورلدو " ولا يكون

عليها سوى توقيع الصدر الاعظم . وهذه الكلمة " بيوردو " تركية الاصل اما كلمة فرمان فهي فارسية ويراد بكتيبتها الامر . اما الاعلانات الرسمية فيعلن عنها بواسطة العناوين .

ويتخذ السلطان في اوراق الاوامر السلطانية القابا فخمة . مثل فاتح العالم ومكافح الدنيا وبطل عصره وخليفة الله وملك المسلمين والسلطان العام انوى ~~ملك~~ ملوك الارض والمتسلط على بلاد فارس والصين وتركستان وطبرستان وایران وطوران . فهو بربهان الخواصين وملك القياصرة وسلطان البرين وخابان البحرين . ملك الشرق والغرب وسلطان الاقاليم السبعة سيد العالم ومفرق العروش والتهجان وملك اكبر ملوك الارض والمقتني لخاتم سليمان العظيم . فهو اسكندر العصر والملك العظيم الذي يكون داروس كحاحب له وهو العادل والمحاط بالعز والحلال وخادم الحرمين الشريفين مكة والمدينة والقاضي على الكثرة والمطهدين امام المسلمين الاكبر وظل الله على ارضه الخ . . . الا انه لم يحصل قط مصحوة لهذه النعوت . وفي كل مرة يراد تدوينها ترسل لموظفي المستشارية الذين يعتنون بترتيب الالفاظ والمقاطع والقافية لتكون منسجمة وذات وقع وقع حسن .

ويلقب السلطان وزيره الصدر الاعظم بمنظم الدولة وحاكم السلطنة العام . والوزير الكامل بهاء الامة وضرم ساحات الوعي الذي لا يقهر . وسيف النصر القاطع وعساف (١) عصره وشبيهه باسمهم وزراء المشرق .

اما الفتى فيدعوه بعلامة العلماء بين اهل السنة وفتح كوز الحقائق الدينية ومشعل اعمده الاسرار والفسر الحكم للقوانين الدينية والضياع الزاخر لكل الفضائل . الذي علمه كالبهر والذي ببصيرته وحذقته يحل اكبر السائل المعوية .

اما امير البحر فانه ينعى بهذه الاوصاف : " السباح الماهر بين الجزر والصخور وبطل البحار من الافق الى الافق الخ . . .

ولكل موظف لقب يوافق رتبته . واقل الالقاب هو : الماهر جدا بين اقاربه .

وعلى كل فمن المعتاد في كل الاحيان التي يدعى فيها شخص الى مكان رسمي ما ان يقن اسمه ~~ب~~ بدعاء يوافق مركزه وحالته . مثلا : اساميل باشا ، زاد الله تعالى في عظمته . على احدى زاد الله في معرفته على الدوام . عمر اغا قوى الله مقدرته . وعندما ياتي ذكر احد السفراء

أو أحد الملوك المسيحيين بقرن اسمه بهذا التضيي ، " اسعد الله آخرته " أي ليسعده الله بفتح عينيه لانوار القرآن . وتستعمل عند ذكر أحد الملوك الخاضعين للسلطان هذه الجملة " ادام الله في خضوعه وطاعته " ويزاد عليها غالبا هذا الدعاء : " انا الله بصيرته بمعرفة احسن الاديان " ويقال عندما يأتي ذكر السلطان : " ادام الله تعالى عزه وعظمته " . اما اسم الدولة فهو قرون دائما بهذه الكلمات : " ادام الله وجودها " .

ولا يمنح السلطان القاب شرف ولكه في بعض الاحيان يعطي لاحد الموظفين لقب الوظيفة التي هي اعلى من التي هو فيها . وهكذا فان " البكرلي " وهم باشاوات من ذوي الطغين يحصلون على رتبة وزير أي باشا من ذوي الاطواغ الثلاثة . الا ان الشخص يخسر لقبه عندما يقال من وظيفته . وليس هناك لقب يمكن وراثته غير لقب بك الذي يخسر ابنا الباشاوات بتأويثونه ابناؤهم وسلالتهم من بعدهم .

ولدائرة الرئيس اقل من ثلاثة رؤساء مساعدين وهم : ترجمان الباب العالي والامدحي والبلقجي .

ترجمان الباب العالي او ترجمان الديوان يترجم الاوراق التي يرسلها سفراء الدول الاجنبية للدولة . وهو يحضر مجالس هؤلاء مع الرئيس اقل من . وترجم اقولهم في الجلسات التي يعقدونها لهم السلطان والصدر الاعظم وهو يلعب دورا كبيرا في ادارة شؤون السياسة الخارجية فيهدى بآرائه الرئيس اقل من الذي لا تكون عنده غالبا غير معلومات مبهمة عن كل ما يتعلق بالحكومات الاوروبية وعن مراكزها الجغرافية ان الذين يشغلون وظيفة ترجمان كانوا عادة فيما مضى من المرتدين . ولكن منذ قرن ونصف أصبحت منحصرة باليونانيين المتحدرين من شهر عائليون الاستانة والذين يرتفعون من هذا المركز الى منصب هسبودار (حاكم) ولاية الافلاق والبغداد . اما عمل الامدحي فيكون بصورة خاصة بتبليغ تقارير ومذكرات الصدر الاعظم المرسلة

للسلطان والتي تكون دائما مسطرة لدى الرئيس اقل من . ويحضر مقابلات رئيسه مع سفراء الدول الاجنبية ويقوم باجراء التراسيم المعتادة في مثل هذه المناسبة . ولكنه مسؤولا عن جباية الضرائب التي يجب ان يدفعها للرئيس اقل من اصحاب الاقطاعات العسكرية (الدعامة والتمار) فانه يوقع على اوراق الجباية بوضعه الكلمة الفارسية *Amédji* معناها : استلم ، دفع وهذا جاء اسم

منصبه : *Amédji*

اما البيلقجي فانه يدير اعمال مكاتب الاستشارة الثلاثة .

وللرئيس احدى نوع من التصرف او الاشراف على كل الكتاب او رجال القلم . وقد كان فيما

مضى الوكيل الاول لخدمات القرم .

(٢) الجاوش باشي : وهو يقوم بعدة مناصب مختلفة . فهو نائب الرئيس في مجلس عدل

الصدر الاعظم . ووزير الامن العام وهو الذي يدخل سفراء الدول الاجنبية الى السراي وهو منير

البلاط ورئيس فرقة من الجنود الاقطاعيين .

وكاتب رئيس فانه يتقبل الشكايات المتعلقة بالمسائل المدنية والجنائية . وانه قبل اجتماع

مجلس الباب العالي يعقد مجلسا عاما . وهو يحل عن شمال الصدر الاعظم وبذلك فانه يتمكن

من اخذ معلومات اولية عن كل الدعاوى التي ستعرض في ذلك اليوم للصدر الاعظم ويدونها باختصار

لكي لا يطول الشرح وقت عرضها للصدر الاعظم وهو يفعل ذلك سواء انداعا الوزير او ارسلت

الى المحاكم الخاصة بها . وله تحت امرته فرقة مؤلفة من ست مئة وثلاثين حاجبا يخدمون في

المحاكم .

وكوزير للامن العام فانه ينفذ احكام القضاة واوامر الصدر الاعظم . يساعده في دائرته

هذه ثلاثة موظفين يقومون باعمال الحكام وهم : المحصرعا والعماس باشي والصنوياشي .

وكمدخل للسفراء فانه يذهب لاستقبالهم من المكان الذي ينزلون فيه من قواربهم ويرافقهم

ماشيا عن بعضهم حتى السراي او قصر الصدر الاعظم (١) .

وهو يقوم ايضا باعمال مشير للبلاط في السراي في ايام انعقاد الديوان والاحتفالات الكبرى

معاً مع " القبوجلر كخييه سي " اي رئيس حجاب القصر . وكلاهما يرتدي ملابس الحجاب ويقبض

بيده على عصا المشيرة . وهما يستقبلان الصدر الاعظم عند باب السراي الثاني ويتبعانه حتى

قاعة الديوان ويضريان الارض الواحد تلو الاخر بعضهما لهما المكموتين بصفائح الفضة . ويقومان بفتح

بعض الاستقبال التشرفي لسفراء الدول الاجنبية عندما يكون غداً اجتماع في السراي .

واخيرا فانه قائد فرقة مؤلفة من مشي : *Guediklis Zaime*

يقومون بايصال الاوامر الى الولايات . وهو الناظر على الضرائب الاميرية الموجهة اجارا

دائما . فاذا اراد احدهم اخلاء التزامه الذي هو مستاجره للشخص اخر فانه على الجاوش باشي

(١) في زمن الامبراطورية البيزنطية كان مدخل السفراء يحمل ايضا لقب *Grand-Chiaours*

ان يرسل الطلب على عريضة المستأجر الاول نفسه لتعرض على موافقة الصدر الاعظم .
هذه هي اهم اعمال وزراء الدولة الثلاث الذين يشتغلون تحت اشراف الصدر الاعظم
التابع لهم بصورة اكثر اواقل مباشرة امضاء سرالدولة الستة ~~التي يتبعهم~~ ايضا سائر موظفي ~~الحكومة~~
الدائرة نفسها .

الفصل الثالث

امضاء سر الدولة

- (١) البيوك تذكرجي * الرئيس الاول النائبي العرائض المقدمة للدولة .
- (٢) * الكوجوك تذكرجي * = الثاني = = =
يقومان ايام انعقاد الديوان بجانب الصدر الاعظم فيقران الواحد تلو الآخر العرائض
المقدمة للوزير ويدونان اوامره عليها .
ويقومان بنفس العمل عند " الجاوش باشي " حيث يظان اكثر ساعات النهار . ويحرمان
الاورامر المسلة من الصدر الاعظم الى مختلف الدوائر التي في العاصمة .
- (٣) * المكتوبجي * اي امين سر الصدر الاعظم الاول وهو المشرف على رسائله العامة تحت
رئاسة الكخيمه باشي . ويتالف مكتبه من ثلاثين كاتباً تقريباً . ومراكز هؤلاء مرغوب فيها بسبب الترقى
الذى يلاقونه .
- (٤) * التشرىفتي * اعرجي اي الرئيس الاول للحفلات . يحتفظ بسجل حفلات البلاط وبالاتها
وبالامتيازات التي تتمتع بها مختلف هيئات موظفي الدولة ؛ وله كثير من الساعدين .
- (٥) * البكلقجي * اي نائب مستشار البلاط وهو على راس المكاتب الثلاثة التي تولف المستشارية
السلطانية .
- (٦) * الكخيمه كاتبجي * اي امين سر الكخيمه الاول وهو المشرف على رسائله وعليه تحصيل
الفرائض العائدة لهذا الوزير وللصدر الاعظم . وعوياً مر على عشرين او خمس وعشرين كاتباً .

ان اماء سر الدولة هولاء (١) مع وزراء الدولة الثلاث هم موظفو هذه الدائرة الوحيدة الذين تكون مناصبهم سنوية . ويعينون من قبل السلطان بعد ان يكون قد اخذ رأى وزيره الصدر الاعظم . ويعرفون بلقب " قبورحالي " اى اسوار الباب العالي . وكانوا فيما مضى اماء سر الصدر الاعظم الخصوصيين اى انهم متساوون مع اولئك الذين لا يزالون الى يومنا هذا يلتحقون بخدمة حكام الولايات ويحملون ~~هذا~~ اللقب ^{منه} . الا انهم بعد زوال وزراء القبة اصبحوا يعتبرون نهائيا من عداد موظفي الدولة . وبالرغم من هذا الانقلاب الذى هو في مصلحتهم ومن اهمية المناصب التي يحتلونها فانهم لا يتمتعون بكل الميزات التي للمناصب ذات النظام القديم ، اى ليس ~~واحد~~ منهم هو عضوا في الديوان .

يشح الكيخية بك والهاوش لقب اعا وهو مخصم لرؤساء الجيش . وذلك لانهما نائبا الصدر الاعظم في دائرتي الامن العام والحربية ، ويعتبر الرئيس افندى وامنا سر الدولة الستة من هيئة " الخوجوات " ويلبسون مثلهم العمامة الخرسانية . ولكن لا يحق لاحد من اماء السر هولاء عدا رئيس التشريفات لبس الزى المسمى ب : *Lat - Kurki* لانه لا يمكنهم مثل بقية " الخوجوات " تقبيل ثوب السلطان في احتفالات عيدي الفطر والاضحى

الفصل الرابع

بقية موظفي هذه الدائرة

للصدر الاعظم مساعدون يُنتقى كل واحد منهم من احدى فرق الجيش ويكونون الممثلين لقوادهم لدى الباب العالي . فمثل الانتشارية هو " المحظرفالمهي " ملازم الاورطة الثامنة والعشرين وهي فرقة تقوم دائما بحراسة قصر الصدر الاعظم وبعضى اتالي دائما من هولاء ^{نفسه} ~~المساعدين~~ هما : " التفنكجي باشي " و " المظرفه جي باشي " بجانب حواد الصدر الاعظم . اما مثل البستنجيه وهو الاوض باشي فانه يقبض على دفة القارب . ويتخذ مثلا رئيسي فرقة

(١) ان الثلاثة الاولين مع امين سر الكيخية بك يقومون ~~بالوقت~~ ^{نفسه} بوظيفة رؤساء فلم دائرة المالية التي تدر عليهم مالا كثيرا .

الفرسان (السباى والسلحدار) لقب كخده برى . اما لقب مثلي فوككيك فرق المشاة الثلاثة (الحبه حية والطوبحية والطوب عرجية) فهو " قبوشاوشى " وهناك عدا هولاء العسكريين مثل لاير الامراء يحمل لقب " قبوشاوشى " ايضا وعلى جميع هولاء المساعدين ان يحضروا مجلس الصدر الاعظم اما لياخذواوامره المتعلقة بروؤسائهم . او لسماع الاحكام الصادرة على المتهمين المتهمين لفرقهم وحيث لايمكن تنفيذ الاحكام عليهم الا باذن من روؤسائهم .

عدا هولاء ينتسب ايضا لدائرة الصدر الاعظم :

- (١) " المتفرقة باشى " رئيس فرقة مؤلفة من مثلي جندى من ذوى الاقطاعات .
- (٢) " التلخيصجى " ليس له من عمل سوى اعطاء التلخيصات المرسلة من الصدر الاعظم للسلطان لرئيس الخصيان السود .
- (٣) " الوزير قوله غي " هو مساعد للتلخيصجى .
- (٤) " التتر اغا " رئيس مائتي تترى هم سعاة بريد الحكومة .
- (٥) " الحوفولولو اغا " رئيس خمسين عسكرى (حولو) لا يخدمون الا في ايام الاحتفالات .
- (٦) " الدليلر اغا " رئيس خمسين " دليا " .
- (٧) " القفطانجى باشى " يقوم بتقديم الفراء والقداغين التي ينحها الصدر الاعظم لكل من يعين في منصب جديد .

(٨) رجال " الباء باشى " وهم قواد خمس عشرة فرقة من الشاوشيه او الحجاب مؤلفة من ست مئة وثلاثين رجلا قسم منهم يحرس قصر الصدر الاعظم والقسم الاخر يحرس السراى . وهم تحت امرة قائدين : الاول " الشاوشلر ايني " يرسل الشاوش باشى بواسطته كل اوامره . والثاني هو " الشاوشلر كاتيبى " يحمل لائحة باسماء الدعاوى المردودة الى المحاكم من الصدر الاعظم مع لائحة باسماء الحجاب الذين يلاحظونها . ويسجن هذان الموظفان عندهما المدينون من لهم مكانة وخصوصا العلماء منهم .

ان مكتب اوسكن هولاء الموظفين يكون في قصر الصدر الاعظم حيث يحتلون الطابق السفلى والطابق الاول منه . اما الطابق الثاني فمخصص للصدر الاعظم ولنسائه ولحاشيته . فيسكن هذا القصر اذا عدد كبير من الاشخاص وبما ان مركز الحكومة فيه فان جمهورا كبيرا من الموظفين من

جميع الدرجات بأنه لقضاء الاعمال او لتقديم الواجبات للوزراء . ومن عداد هؤلاء الموظفين وكلائهم
بجدة الدوائر وكلاء كبار موظفي السراى وحكام الولايات وتراحمه البعثات الاجنبية .

مهما كان نوع القضية يجب ان تمر على احد وزراء الدولة الثلاثة وهم الموظفون الوحيدون
الذين يشتغلون مع الصدر الاعظم . فانهم يقابلونه صباح كل يوم لتقديم تقاريرهم ولاخذ الاوامر
منه . ولا يقابلونه بقية النهار الا اذا جد امر هام . ولكن لكل واحد منهم سكرتير يرسله لعضد الى
الصدر الاعظم ليطلعهم على محرى الامور ولاخذ اوامره في الاعمال الاقل اهمية (١) .
وعلى كل المشتغلين في الباب العالي ان يكونوا فيه كل يوم من بزوغ الشمس الى قبيل
غايها بساعة ولا يمكنهم مغادرة اعمالهم قبل الاستئذان من الصدر الاعظم فيتقدم احد موظفيه
امام مكتب كل واحد من وزراء الدولة ويقول بصوت عار وموحي خفي احتراماً "اذن " اى فرصة .
عندها يطلبون خيولهم للانصراف . وليس هناك تعطيل سوى في ايام عيدى الفطر والاضحى
وعلى الوزراء وانشاء السراى يقيموا ايضا في مكاتبهم صباح ايام العيد هذه . ولا يمكن للكخيمه بك
ترك قصر الوزارة اذ ^{في وقت تغيب} يطلنى الصدر الاعظم ~~حبيب~~ عليه ان يبقى ليقوم مقامه عند الحاجة وليسهر
على الامن في العاصمة .

ويتناول " الرئيس افندى " والشاوش باشي " ورئيسا الاستدعاءات " طعام الغذاء على
مائدة الصدر الاعظم ولكن في ايام الاربعاء اى ايام لعقاد الديوان يتناول الطعام مكانهم
قضاة العاصمة الاربعة وفي ايام الجمعة ياخذ القاضيا عسكر مكاني "رئيسي الاستدعاءات" على مائدة
الصدر الاعظم لانهما يحضران الديوان في ذلك اليوم . ويقدم دائما للكخيمه بك وهو في دائرته
الطعام من مطبخ الصدر الاعظم وقبل على مائدته امين سره " المكوبجي " ورئيس التشرفات
وهو يدعو ذوي المكانة من الموظفين الذين يوجدون عنده وقت الغذاء . اما بقية موظفي الدائرة
فيجلب لهم طعامهم من بيوتهم .

انه من السهل دائما مقابلة الوزراء وانشاء سر الدولة وبقية الموظفين الذين يستقبلون
كل الناس بدون تمييز . ويمكن لاي شخص من عامة الناس مقابلةهم بكل حرية والتكلم معهم عن
اعماله . وتكون احيانا قاعة احد الوزراء عاصة بكبار الشخصيات عندها يكون الوزير مشغولا

(١) يسمى مساعد " الكخيمه بك " قره قولا " وحمل الاثنان الاخران لقب *Kincedon* وترتب عليهما
تحصيل الضرائب العائدة للرئيس افندى وللشاوش باشي .

غالبا في قضاء الشؤون التي تكون على غاية الاهمية . فينتظر الناس اغتنام الفرصة للاقترب منه والتكلم معه . ويظل الاشخاص الذين هم من مقام بسيط واقفين . وانه غير مفروض على اي كان الانتظار في غرفة ثانية الا اذا كان عند الوزير مقابلة سرية .

اما الوصول الى الصدر الاعظم فليس سهلا بهذا المقدار اذ لا يراه الناس الا في مجلسه ولا يمكن لكبار الدولة مقابلته الا في الايام المخصصة لزياراتهم الا اذا طلبوا منه مقابلة خاصة . غير انه يعقد في كل شهر مجلسا عاما يمكن ان يحضره ار شخص ^{سما} ~~موسى~~ ^{موسى} كان موظفا في خدمة الدولة .

الفصل الخامس

حاشية الصدر الاعظم

ان حاشية الصدر الاعظم منظمة حسب حاشية السلطان ويتخذ اكثر موظفيه ~~من~~ القاب التي خدم السلطان . وهم ايضا مثلهم ينقسمون الى قسمين : قسم للداخل وقسم للخارج .
فرجال الفرع الثاني يطلقون لحامهم اما رجال الفرع الاول فلا يتركون سوى شواربهم .
ربما يدفعنا الفضول لمعرفة اعمال هؤلاء الموظفين . فاشهر موظفي القسم الاول هم :
(١) وكيل الخزينة او الوكيل العام . (٢) رئيس الحجاب يقوم بوظيفة ادخال الذين يريدون مقابلة الوزير . (٣) رئيس السلحدارية . (٤) رئيس اربعين من السلحدارية الفرسان .
(٥) امام القصر . (٦) ثلاثة من الموفدين يعلنون اوقات العلوات الخمس في ثلاثة محلات مختلفة من القصر (١) (٢) (٣) وكيل الحرم . (٨) رئيس الطباخين وبقية الدائمين على تهيئة طعام الصدر الاعظم الخ ويلحق بهذا القسم الاول اربعون موظفا تقريبا يدعون "لعوات" الوزير يقومون بايصال رسائله واوامره الى الولايات . ويقوم اثنا عشر "الاي شاون" بتنظيم السير لم يخرج الصدر الاعظم وهم يلبسون ثيابا من القطيفة الحمراء ويحملون بايديهم عصيا محلات بعضائح الفضة .

(١) ان الاذان خارج الجوامع لا يكون الا في السراى وفي قصر الصدر الاعظم وفي قصور الباشوات من ذوى الثلاثة ^{الاعوان} . ويحتمل الصدر الاعظم ان كان متدينا او حاول ان يظهر نفسه كذلك ان يحل امام مرتين او ثلاثة في اليوم .

ثمان من حراس الشرف " الشطار " يمشون قرب حواد الوزير . ومثا خادم من الشاة " جوخدار " يضعون في وسطهم سياطا محلاة بسلاسل من الفضة ، يقوم اقدمهم في الخدمة بوظيفة جواسيس يقدمون تقاريرهم للكخبة باء . واخيرا اربعون بوابا .

اما اشهر موظفي القسم الثاني وعددهم اربع وعشرون هم : (١) السلحدار اغا . (٢) الجوخدار اغا او المشرف على ملابس الصدر الاعظم - (٣) المهردار اغا يختم رسائل الوزير الخاصة - (٤) امين السر او الدودار اغا يقوم بتمهين كل لوازم الكتابة (٥) الجوخدار لاهل الثاني وهو " الققطان اغا " (٦) " الفتاح اغا " او الناظر على اناك القصر . (٧) الناظر على اجهزة خيل الوزير " الرختوان اغا " (٨) وكيل غرفة الاسلحة " الجبخنجي باشي " (٩) الناظر الثاني على اناك القصر . (١٠) رئيس ثمانين علاما تقريبا " حندي " موزون على رمي الحديد . (١١) رئيس الخدم الفلماني " باشا شاور " (١٢) " البشكر اغا " او رئيس خدم مائدة طعام الوزير . (١٣) " التوتنجي باشي " (١٤) " القهوة جي باشي " (١٥) " القلرجي باشي " (١٦) رئيس الشراب (١٧) رئيس خزانة الثياب (١٨) " السفرجي باشي " او المشرف على اواني الطعام والشراب (١٩) المشرف على مناشف وغزو الوزير " محرمجي باشي " (٢٠) المشرف على البخور وما الورق " بخوردنجي باشي " (٢١) الحلواني او ضاح الطوز " معجونجي باشي " (٢٢) الموظف الذي يقوم بلف وترتيب عائم الوزير (٢٣) الحلاق (٢٤) حامل الابريق " ابرقدار اغا " .

ويرأس هؤلاء الموظفين على ثلاث مئة خادم (يدها وارقداش) ويقوم على خدمة الحرم ثلاثة او اربعة من الخصيان وهناك عدد مماثل من الخرسان في حاشية الصدر الاعظم يقفون على باب غرفته عندما يكون في جلسة سرية ليظلوا قريبين منه لاخذ اوامره .

في كل مرة يخرج الصدر الاعظم من قصره يصطف خدمه على جانبي صريقه . وعندما يزور الفتى يذهب رجال هذا الاخير لاستقباله حتى الباب الخارجي ويتقدمه اثنان منهم يحملان مبخرتين تصعد منهما رائحة البخور . ثم يخرج الفتى ويلقيه من اسفل الدرج ويجري مثل هذا التعظيم عندما يستقبل الصدر الاعظم الفتى بدوره . وهناك اصول موضوعة في كيفية معاملة الموظفين بعضهم بعضا . فاذا زار موظف كبير موظفا اخر كان رتبة منه يذهب

هذا الأخير لاستقباله فيقبل ثوبه ويضي امامه ليدخله الى بيته .

في اول ايام الدولة كان راتب الصدر الاعظم لا يتعدى العشرة الاف عرش . وقد رفعه السلطان سليمان الاول الى خمس وخمسين الفا لوزيره الفزك ابراهيم باشا على اثر انتصارات هذا الأخير في بلاد المجر . ولكن الصدر الاعظم يستفيد كثيرا في تعيين الموظفين . وله ايضا حكم ولاية يديرها باسمه ويكمل من قبله يدعي " مُسَلِّمٌ " . وبعد فتح جزيرة قبرص في زمن السلطان سليم الثاني خصصت موارد هذه الجزيرة للصندوق العظام الذين ~~يؤكفونهم~~ يؤجرونها لنائب عنهم بمبلغ سنوي قدره (٢٢٥٠٠٠) عرش يدفعون للدولة من اصلها (١٧٠٠٠٠) عرش . وكلما كثرت تغييرات الموظفين كلما زادت خافض الصدر الاعظم . فان المبلغ " جايزه " الذي يدفع ثما لكل وظيفة ، عدا وظائف وزراء الباب العالي وانشاء سر الدولة الستة وآخر الثلاثة عشر الخوجه من موظفي الدفتردارية ، يتراوح بين الفين وثمانية الاف عرش بحسب اهمية المنصب . ف رئيس الخزينة واغا الانكشارية يدفعان عشرين الفا ويدفع رئيس الجوارح ثلاثين الفا . واكبر مبلغ يطلب من حاكم ولاية وقت تعيينه هو عشرة الاف عرش . وهناك ضريبة على رتبة الباشاوية تسمى ضريبة الطوغ وهي عشرون الفا للباشاوات من ذوي الثلاثة لاطواغ وخمسة الاف لذوى الطوغين . وكل هذه المبالغ التي تدفع للصدر الاعظم تؤمن له موردا سنويا يزيد عن اربع مئة الف عرش . وله علاوة على ذلك ضريبة قدرها عشرون بالمئة على الاموال التي يدفعها الذين يلتزمون من الدولة التزاما دائما حق حياة الضرائب . ويصل مورد هذه الضريبة الى المليون ياخذ ثلثيه الصدر الاعظم وياخذ رئيس الخزينة الثلث الاخر (.

كان يقبض الصدر الاعظم فيما مضى (٢٢٥٠٠٠) عرش من الذين يلتزمون قبض اموال الجزية . فياخذ لنفسه الثلث ويخطي الباقي للوزراء وانشاء سر الدولة ولرؤسا كتاب دائرته ولقدما الموظفين الفقراء . ولكن مصطفى الثالث ضم هذا المبلغ لخزينته عام ١٧٢١ عندما اعوزه المال . انما بعد بضعة اشهر على اثر ضجة قام بها من كان يشتفع بهذه الاموال قرر السلطان اعطائهم من اصل المبلغ (٢٢٠٠٠٠) عرش فرقها هو بنفسه عليهم تحت اسم "منحة سلطانية" . عين منها سنويا للصدر الاعظم (٤٥٠٠٠) عرش و(٣٠٠٠٠) للكنية بك (٢٠٠٠٠) للرئيس اوقدى و(١٥٠٠٠) للشاوش باشي و(٥٥٠٠٠) لانشاء سر الدولة الستة . و(٣٥٠٠٠) لكبار كتاب المستشارية و(١٢٠٠٠٠) للشيخ

للمستخدمين من الموظفين العسنيين .

ان موارد الصدر الاعظم اذا اخفنا على رواتبه كل الهدايا التي تاتي من كبار موظفي الدولة
ولا سيما من حكام الولايات تصل الى اربعة او خمسة ملايين قرش .

انما يجب الاعتراف بان حاشيته تكلفه مبالغ عظيمة وان عليه تبعا للعادات الشرقية ان
يقدم في بعض المناسبات هدايا ثمينة للسلطان وللموظفي بلا طه ولكبار موظفي الدولة . وكان على
الصدر الاعظم زمن حكم اول السلاطين ان لا يقدم هدايا للسلطان الا في ايام عدى الفطر
والاضحى ثم فيما بعد صار عليه ان يجدد تقدماته في عيدي ابتداء الربيع والخريف واوقات انقلاب
الشمس (ميلاد الاكظم) . ولخيرا في عيد المولد النبوي . على بصورة ان عدد هداياه
يصل الى سبع مرات في السنة . وكانت هدايا الصدر الاعظم كوبريلي زاده مصطفى ثمينة لدرجة انها
دفعت السلطان سليمان الثاني عام ١٦٩٠ الى الغناء هذه العادة الباهظة التكاليف . الا ان
خليفته السلطان احمد رجع وعمل بها . الا ان السلطانين محمد الاول ومصطفى الثالث قد اعدد
الهدايا . فعلا فانه كان على الصدر الاعظم منذ حكم السلطان الثاني (عنه) الا يقدم هداياه لملكه
سوى اربع مرات في السنة وذلك في عدى الفطر والاضحى وفي عيد الربيع (النيروز) وفي عيد المولد
النبوي . الا ان تقدماته هذه لا تقتصر فقط على السلطان اذ عليه ان يقدم ايضا الهدايا لكل الامراء
ابناء السلطان وللسلطانة الوالدة ولنساء السلطان وكبار موظفي السراي وتكون موهبة على الاكثر من
حواهر وصناديق وسلطات وشال واقشة عديدة وما الورود وخشب الكيك والند والبخر الخ
وتكون في بعض الاحيان من اكابر الحرير ملتبسة بالقطع الذهبية .

وعلى كل حال يجب على الصدر الاعظم ان يغتنم كل الفرص المناسبة للتحبيب من السلطان
بتقديم هدية ما له . فتارة يقدم له جوادا مجهزا باثمن عدة وتارة اخرى ساعة مرصعة بالماص
او حارية شابة مزينة بافخر الثياب والحلى . وقد قضت العادة طيلة قرن ونصف اى منذ حكم
السلطان مراد الثالث حتى حكم السلطان احمد الثالث بان يقدم الصدر الاعظم هدية للسلطان في
كل مرة يقابله فيها . فيقدم له عادة حويرة ثمينة واحيانا يضع على اعتاب العرش كسا يحوى الوفا
كبيرة من الذهب . وفي هذه المناسبة كان يقدم ايضا الهدايا لكبار موظفي القصر ويامر بتفريق خمسة
او ستة الاف ذهب على بقية الموظفين . وقد ارجع السلطان احمد الثالث هذه العادة بطلب من العبد
الاعظم الداماد علي باشا . وقد ذاك الحين اخذ الصدر الاعظم لا يفرق على رجال السراي في

مناسبة مقابلته للسلطان سوى الفين أو ثلاثة آلاف ذهب .

عدا هذا فإذا أجمع السلطان عليه نعمة أو هدية فإنها تكلف دائما مبلغا جسيما ^{بقدره} يكافأ للموظفين الذين قدموا له . أن خلعة السلطان أو منحته لوزيره تقبل بفتنه الاحترام فإذا كانت جوادا مجهزا بأمن عدة فإن وزراء الدولة الثلاثة يستقبلونه من على باب القصر ، بعدها يأتي الصدر الأعظم فيقبل غذائه ويضعه على جبينه ثم يركبه ويدور به عدة مرات ساحة القصر وعندما ينزل عن صهوة يقبل باحترام العنان مرة ثانية قبل أن يعطيه لسائمه . ويتكافى الصدر الأعظم الموظف رسول السلطان الذي قدم له الهدية بغفوة وحوادث ثلاثين كيسا من المال . فيرجع إلى السراي بتقديمه خدمه حاملين على أكتافهم هذه الأكياس .

ومن المعتاد أن يقدم الوزير في عدى الفطر والاضحى الهدايا لكبار الموظفين . فيناول كل واحد منهم رزمة فيها فراء واقشة ومسوحات حريرية وغيرها ويحصل كل رجال الدولة الذين يدعوهم إلى تناول طعام الافطار عنده في أيام شهر رمضان على هدية منه أيضا . وبعد وفاة الصدر الأعظم تضبط أمواله وتضبط عادة أيضا بعد عزله وهكذا فإن الأموال التي يجمعها مدة وزارته لا تنتقل لعائلته ويمكننا أخذ فكرة عن الثروات التي يمكن للصدر جمعها إذا عرفنا تلك التي تركها رستم باشا صدر السلطان سليمان الأول عندما توفي عام ١٥٦١ بعد أن ظل على رأس إدارة الدولة مدة خمس عشرة سنة . يقول المؤرخ حسن بك زادة عنه أنه كان يملك في مختلف الولايات (٨١٥) مزرعة فيها (٤٧٦) طاحونا و (٢٩٠٠) حصان و (١١٦٠) جملا و ١٧٥٠٠ عبدا وجارية . وقد وجد في خزينته (٧٨٠٠٠٠) ذهب وكثير من سبائك الذهب والفضة و (٣٢) جوهرة ثمينة . وفي خزائن نيابة (٤٨٨٠) كساء ناعما وفي قلعه سلاحه (٢٠٠٠) درع تقريبا و (١١٥٠) خنوة من الفضة و (١٠٦٠) من الفضة المذهبة أو من الذهب الخالص و (٧٦٥) سيفا محلاة بالحجارة الكريمة و (١٠١٥) مرصعة بالذهب والفضة . وكان عنده (١١٣٠) سرجا و جللا مزركشة بالفضة والذهب والحواجر . وكانت مكتبته مؤلفة من (٥٠٠٠) مخطوطة في التاريخ وند والفلسفة والاخلاق ومن (٦٥٠٠) نسخة من القرآن محلى جلد (١٣٠) منها بالذهب والجواهر . ويقول المؤرخ حسن بك زادة أن هذه الموجودات التي ادعشت الناس في كل أنحاء الدولة دلت على الاختلاسات الدائلة التي قام بها هذا الوزير مستفيدا من الثقة التامة التي أولاها إياها ^{من} السلطان .

ان واردات وزراء الدولة العادية و " البرانية " هي شبيهة بواردات الصدر الاعظم . فالكيفية بان يتناول من كل الموظفين الحدود عند تعيينهم مبلغا يتراوح بين ربع وثلاث اضعاف ما كانوا قد دفعوه للصدر الاعظم . فباشاوات الطوعيين يقدمون له ٢٥٠٠ غرش ١ ويدفع له باشاوات الثلاثة اطواغ ٢٥٠٠ غرش . وياخذ من الصدر الاعظم عشرة بالمئة من وارد حزيمة قبرص الصافي . ولا يتناول الرئيس افندي مالا الا من حكام الولايات الجدد فيدفع له الباشاوات ثلاثة الاف غرش والميرميرانيين خمس مئة . الا ان حقوق المستشارية وغيرها تجلب له منافع كثيرة . ان واردات الشاوش باشي ليست اقل من واردات زميله . ياتي قسم من هذه الواردات من الضرائب النسبية التي له على الاموال التي تفرضها المحاكم على اصحاب الدعاوى مع العلم بان امر تحصيلها راجع لدائرته . وعو يتناول الف غرش من الباشاوات المحدثين ومثنيين وخصيين من " الميرميرانيين " . ان هذه الرسوم المفروضة على الوظائف حاكمة ايضا لدر رؤساء الدوائر الذين يتناولونها من اصحاب الوظائف المتعلقين بدوائرعهم . من كل هذا يمكننا تصور هذه الرشوة التي تسيطر على كل دوائر الحكومة .

الباب الثالث

الوظائف السنوية

هناك ثلاثة اقسام من الموظفين : رجال الشرع والعلماء واهل السيف واهل القلم .
القسم الاول منوط امره بالمقتي والقسمان الاخران رئيسهما الصدر الاعظم ومولفان من خمسة
وثمانين موظفا ينقسمون الى ثلاثة فروع .

الفرع الاول : مؤلف من ثلاثة وزراء وستة اضاء سريدعون (قبورجالي) اى كبار موظفي

الباب العالي وقد تكلفنا عنهم في الباب السابق .

اما الفرع الثاني فانه مؤلف من اثنين وخمسين موظفا يشار اليهم باسم (خوجوات) (١)

وينقسمون الى اربع طبقات :

الطبقة الاولى و هي مؤلفة من خمسة من كبار الموظفين :

(١) - الدفتردار الاول وهو وزير المالية وسنعرض لعمال وظيفته في الفصل الذي

يبحث عن دائرة المالية .

(٢) - الدفتردار الثاني ليس له من عمل سوى الاشراف على ادارة جباية الرسوم الجديدة

التي وضعها السلطان سليم الثالث والمسماة " النظام الجديد " .

(٣) - الدفتردار الثالث مناظر شوون لغاشة العاصمة ولهذا فانه يسمى " حوبة ناغرى " .

(٤) - " النيشنجي " وهو مخصص لوضع شارة السلطان على الرسائل واوراق الاعمال والوامر

الصادرة عن العرش . وهذه الشارة تسمى نيشان او توقيع او طغرة ومنها يشتق اسمه ويلقب

بالاسماء الثلاثة . كان يحق له فيما مضى فحرم ومراقبة كل الاوراق التي تمر عليه ليضع عليها رمز

السلطان . وهذا العمل يعطيه نوعا ما حقاً في تفتيش ~~على~~ الدوائر التي تصدر عنها هذه الرسائل

والاوراق . الا انه فقد هذا الامتياز في زمن اسدخان احمد الثالث . ورتبته متساوية ورتبة

الدفتردار الاول بالرغم من ان هذا الاخير كان فيما مضى ارفع شأنا منه وقد حصل هذا التعادل

في زمن السلطان سليمان الاول بمناسبة الحادثة التالية (وهي انه كان يخدم عند النيشنجي

مصطفى اقدي رجل يدعى نوبهارزاده بك بوظيفة امين سر او مساعد ثم بواسطته تعين هذا

الاخير في دائرة المالية وترقى من درجة الى اعلى حتى وصل الى رتبة دفتر دار اول . الا انه رفض ان يتخلى والاصول المرعية في ان يتقدم على الترشح وقال له بانه يفضل ترك منصبه من ان يفعل ذلك نحو محسنه وسيداه القديم . فطرب السلطان سليمان لهذه البادرة وامر ان الاقدم من هذين الوزيرين خدمة يتقدم على زميله .

(هـ) - الدفتر اميني رئيس الدائرة المسماة بالدفتر خانة وهو مستودع عام للسجلات القديمة ولقائعات اسما املان الدولة . وينقسم الى ثلاثة مكاتب تسمى اجمال وفصل وروزنامجي ففي الاول سجل الولاية وتقسيماتها وحدودها مع سجل الاراضي المستطكة امامتك سلطاني او تطك اقطاعي من قبل الباشوات او تطك اقطاع عسكري . وفي الثاني السجلات المتعلقة باراضي الاهالي وتنقسم الى قسمين الاولى تدفع العشر والثانية تدفع الضريبة . وتحفظ في الثالث سجل التعميرات التي تحصل بين ملاكي الاقطاعات العسكرية . ويشتغل في هذه المكاتب مئة كاتب تقريبا . ان رؤساء هذه الدوائر الخمس هم مستشارو الدولة ويرتدون في الايام الرسمية كما يرتدي الرئيس اقدى (الذي لا يتقدم عليه سوى الدفتر دار الاول) ثيابا حمراء من الحرير الاعلى . اما بقية موظفي هذه الدائرة فتكون ثيابهم بنفسجية اللون . ويتمتع هؤلاء الرؤساء بائتيار تقديم احتراماتهم للسلطان في اول يوم لانعقاد الديوان بعد تعيينهم . يكون ذلك بالانحناء امام باب قاعة العرش .

اما موظفو الطبقة الثانية فعددهم ثلاثة وهم :

- (١) البيوان روزنامجي * رئيس مكتب الدفتر دارية الاول .
 - (٢) البليس محاسبجي رئيس مكتب الدفتر دارية الثاني . وهي الرتبة التي يعطيها السلطان عادة لوزرائه المفوضين في بلاطات الحكومات الاجنبية .
 - (٣) الاناضولي محاسبجي * رئيس المكتب الثالث .
- اهؤلاء الموظفين الثلاثة هم ايضا مستشارو الدولة ويسمح للاول منهم بتقديم احتراماته للسلطان بعد انعقاد الديوان الاول مرة والذي يحل جري فيه امر تعيينه .
- اما الطبقة الثالثة فمؤلفة من ستة موظفين : الاول هو " الترسانة اميني " وكيل اماره البحر يقوم بموظيفة وزير للبحرية . اما الخمسة الآخرون فهم موظفي السراي وهم " الحمر اميني " .

" والزلازل خله اميني " والمطبخ اميني " والعربة اميني " والمصرف شهرى .

واخيرا فالطبقة الرابعة مؤلفة من ثمانية وثلاثين مؤلفا . منهم اثنان وعشرون رئيس مكتب
في دائرة المالية . وثمانية رؤساء مكاتب الذين يقومون على مراقبة فرق المشاة الاربع ومكاتب

الخيالة الاربع المضمومة الى السباعية والاسلحة اربعة . واربعه موظفين في اماره البحر وهم :

" قليون لركاتي " وخبير لراميني " وخبير لراغلى " وترسانة رئيسي " . واربعه وكلاء وهم :

" الطوبخانه ناغلى " المفتش على المركز الرئيسي لصب المدافع . والى السرجي ناغلى .

مراقب ما يدفع وما يقبض من الاموال في الخزينة . " والكياغيد اندرون اميني " يقوم بتامين

كل ما يلزم من اوراق واقلام وغيرها لمكاتب الموظفين . " والكياغيد بيرون اميني " حابي الخيرات

الفرائد التي يجب ان يدفعها الملاكون الجدد للاقطاعات العسكرية .

اما الفرع الثالث فانه مؤلف من عشرة عسكريين واربعه عشر موظفا مدنيا يدعون الاعايات

من القسم الاول الرؤساء الاربعه لجيش المشاة ورئيسا الفرسان وقواد الاربع فرق المضمومة

الى السباعية والاسلحة اربعة . ثم باقى بعد هؤلاء لغايات البلاط الخمسة الاولين ثم المير علم

اى رئيس الحجاب والبستنجي باشي وهو باقى واحد موظف عسكرى ومدني . ثم مشير البلاط

واقنان من حاملي السلاح ويعدون اثنان من الموظفين يجمعون اموال واردات الدولة ثم

وكيل الخزينة العام والرؤساء الثلاثة لمعامل المبارود في الاستانة وسالونيك وعلبيولي .

ولقبهم " بارودخانه اميني " واخيرا يدخل في هذه الطبقة معهم ايضا وكيل التعميرات

العام " معماراغا " ووكيل جمرك الاستانة . " حمراء اميني " ووكيل المصانع " قصاب باشي " .

وهو يقوم بتامين اللحم لمطابخ القصر ومطابخ الانتداب الخ

ان هذه المناصب الخمسة والثمانين هي الوحيدة في العاصمة التي تقلد بفرمان سلطاني

وهي تُغير كل سنة وبإرادة الصدر الاعظم الذين يثبت الموظفين او يرفعهم او يهزلهم . فتوضع

لائحة " توجيدات دفتري " باسماء كل الوظائف مع اسماء الذين ثبتوا في مراكزهم او الذين

عينوا من جديد . وعندما يريد الصدر الاعظم خلع احد كبار الموظفين يضع لائحة فيها

ثلاثة اسماء يدل الاخير منهم ^{علي} اسم الشخص الذي يفضل . ويوافق السلطان عادة على هذا

الاتقاء بان يشطب على الاسمين الاولين ويخط في اعلى الورقة ما يلي : " مجهنجي توجيه

اولونا " اى فليولى اذا .

ان وضع هذه اللائحة يسبب دائما مشاورات شديدة في الدس والكيد والطمع وعندما يخط السلطان كلمته عليها يعين يوم التخصيب ويكون عادة اليوم الثالث او الرابع من عيد الفطر . وبما انه على كل شخص يعين في منصب ما ان يتبلغ التعيين من الصدر الاعظم ذلك بان يدخل عليه هذا الاخير خلعة سنية فان الكيخية بك يدعو الاشخاص الذين وقع الاختيار عليهم للذهاب الى قاعة الصدر الاعظم الذي يكون حالما في ركن الاريكة محاطا باضاء سر المستشارية وبكبار موظفي حاشيته وعن يمينه الرئيس افندى ورئيس اشريفات ويكون الكل وقفا . وتوضع على يساره على الاريكة رزمة الفرمانات ثم على بعد قريب منها الخلع متراسة يقف قريبا منها " القفطانجى بائى " فيدخل الموظفون الجدد كل بدوره حسبما هو مرتب على اللائحة فيعلن الرئيس افندى لكل واحد منهم المنصب الذى راق للسلطان تعيينه فيه . فيقبل التعيين من الخلعة ثم يذهب ليقبل ثوب الصدر الاعظم الذى يناوله امر التعيين وبعد هذا ينسحب من المكان . ان اول شخص يتقدم هو الكيخية بك وهو الوحيد الذى تنفع له فروة من جلد السمور اما البقية ومن بينهم الرئيس افندى فلا يضحون غير الخلعة اى " القفطان " . ويكون موظفو السراى موحدين ايضا ليتبدلوا تثيتهم عدا البستنجى بائى الذى بسبب طبيعة اعماله كما اننا ذكرنا لا يظهر امام الناس . الا ان " القفطان " الذى ينفع له يعطى لوكيله . وهناك ثلاثة عشر موظفا رواتبهم ضئيلة لذلك فانه يحق لهم اذا ارادوا عدم الحضور لاخت الخلعة هذه ان يعفيهم من دفع المال لروثائهم بسبب تعيينهم . وبما انه على كل موظف ان يضع عندما يتبلغ امر تعيينه العمامة الخاصة بمنصبه فانه يوجد في قصر الصدر الاعظم اناس مميون خصيصا لتقديم مثل هذه العمام .

ان ثياب الشرف هذه المسماة باللغة العربية خلعة كانت مستعملة لدى الخلفاء سابقا وفي بلاطات البنزطين حيث كان هذا الاسم يلفظ *kalma* ومن هذه الكلمة مشتقة بدون شك كلمة *malu* الى احتفال او عهد . وعند العشاشيين اربعة انواع من الخلع وهي : " خاىر الخاىر " و " قوجكلاى " و " والاعلى " والسادة " اما الفراء التى استعملت منذ حكم السلطان محمد الثانى فلا تضع لغير كبار الموظفين . وتكون من جلد السمور او من جلد الثعلب الا يهوى او جلد الفهد او

او السحاب الخ . . . تبعا لرتبة الذين تمنح لهم . وتخصص الفراء من حلد السور لكبار الموظفين امثال الصدر الاعظم والمفتي والباشاوات والعلماء من الرتب الثلاث الاولى . ان قميص فراء الصدر الاعظم والباشاوات وكلهم تكون من الحرير الابيض . ومن القماش الازرق للمفتي ومن الاخضر للعلماء . وهناك نوع من الفراء من درجة ممتازة لا يضحها السلطان الا لثلاثة اشخاص : للصدر الاعظم وللقاتم مقام ولاعا الانكشارية الذين يرتدونها في مناسبات خاصة . وتسمى *Capaniya* وتختلف عن بقية الفراء بان يكون لها صوق عريض من الفرو يتدلى على الظهر ومحلة بشايات من الذهب . فالتى للصدر الاعظم تكون من الجوخ الاحمر والتي لنائبه من الجوخ الاخضر اما فروة لعا الانكشارية فتكون من الجوخ القرمزي وعليها جلد فهد وتعطى الفراء والخلع ايضا لمن يمتاز بتفوق . وتشبهها بالخلفاء العرب منح كثير من سلاطين آل عثمان الموظفين الذين يريدون مكافاتهم بيدها خمس او ست خلع الواحدة فوق الاخرى . وكان من عادة السلطان عثمان الاول منح عمامة او ثوب ما كان قد لبسها هو كاشارة لعطفه . وبعد حفلة التعيين او التنصيب يمنح الصدر الاعظم وبحضوره وحسب لائحة اخرى اكياسا تحوى خمس مئة او الفا او الفى ذهب على الاكثر لقدماء الموظفين الفقراء من الذين ايسر شمرهم وهم في الخدمة . ويرتفع مجموع هذه المنح كما لاحظنا سابقا الى مئة وعشرين الف غوش .

ان حكام الولايات لا يعينون ايضا الالدة سنة ويجرى تعيينهم ^{تفريط} ~~بغير~~ بالواسم ولكن بعد عيد الاضحى ويقوم وكلاؤهم بتقبلهم لدى الباب العالي . واذا كان احد هؤلاء الوكلا يمثل بغير ^{منه} بالوقت عددا من الباشاوات فانه ياخذ خلعة لكل واحد يشله . ولا يفقد الموظفون عادة مراكزهم اى ان يعزلوا في الوقت المخصص لتعيين الموظفين الحداد ان الذين يتناولون من الموظفين مالا وقت تعيينهم يحاولون ان يثبتوا القدام في مراكزهم وقت التعيين فياخذوا منهم المترتب عليهم دفعه . وقد يهدف ويعزل هذا الموظف القديم في خلال السنة ويعين اخريد لا منه ~~الضرر~~ وعليه ان يدفع كما ذكرنا مالا لروؤسائه . ^{كلهم} ~~يتمكنون~~ ^{من} هؤلاء يتمكنون من اخذ خريبة المال مرتين بدلا من مرة واحدة . ان معظم الموظفين الذين يدفعون ثمن تعيينهم لا يتناولون راتبا محددنا عند تعيينهم

او اذا ثبتوا في مراكزهم . بينما ان امهر البحر وروثاء الجيوش وروثاء الدوائر وحكام الولايات
يوكدون بطلب مال التعيين من رؤوسهم . ان هذه الطريقة في بيع المناصب ادخلها على
الدولة الصدر الاعظم الحندري زادة علي باشا من حكم السلطان بايزيد الاول واثبتها رسميا
رستم باشا وزير السلطان سليمان الاول . وعلاوة على هذا الدخل الذي يآخذه الرؤساء وقت ~~تكميل~~
تعيين الموظفين فانهم يتناولون ايضا مالا اضافيا اذا ارادوا منح المناصب الكبيرة للرجح .
واذا صدف وُخلع الرؤساء من مناصبهم فانه على الموظفين ايضا ارضاء الرؤساء الجدد بدفع مبلغ
من المال . ان الرشوة في سبيل المناصب وعدم ثبات من يكون فيها تسبب دائما كثيرا من
الدسائس والمؤامرات التي تخلق دوما السراى والباب العالي . وبما ان الاستحقاق الشخصي ليس
له اعتبار واعية امام الطامعين من الرؤساء فان المناصب المهمة تفض لا لشخاص غير اهمل لها .
وتستقر بهم ~~الموظفين الرسميين~~ الاستفادة مدة توليهم فيحسبون المال بسرعة مفتنمين كل الفرص والمناسبات
التي تهى لهم من جراء الظلم والقوضى .

ان تواريخ الدولة تشير الى حصول ارتقاء كبير يستحق الذكر زمن مراد الثالث ^{يقال}
كان والاحد سلطانا عظيما وفاسقا . وذلك ان الدولة ارادت عام ١٥٩٢ عزل ^كعربلس الشاب بسبب
اختلاسائه فاخذت جموع المتقدمين لهذا المركز تسعى للحصول عليه وتدفع الاموال الطائلة .
فوجد واحد منهم ويسمى حسن باشا الوسيلة الناجعة بان وضع في قاعة الديوان عشرة الاف
فندقلي (سيكان) كعائنة اولى يقدمها لمساعدة الدولة . فامر مراد الثالث بدون تردد اعطاء هذه
النقود لموظفي مائتته من اصل المبلغ الذي لهم عنده وان يذهب حسن باشا لاستلام مهام
وظيفته في طرابلس .

ان الموظفين المدنيين والعسكريين يعتبرون معا حسب العادات الشرقية عبدا للسلطان
ويلقبون بهذا الاسم "قول" اي عبد في جميع اوراق الدولة . واذا اراد الصدر الاعظم في تقاريره
للسلطان التكلم عن شخص ما فانه لا يستعمل ابدا غير هذه الكلمات (فلان عبدكم) والسلطان
نفسه عندما يتكلم عن كبار موظفيه يدعوهم عبيده . وكان سفراء ملوك اوربا يُنعتون بهذا الاسم ايضا
ولم يبطل استعمال نحوهم الا زمن السلطان محمد الرابع . وقبل هذا الزمن كان وزراء الباب
العالي يكتبون في تقاريرهم للسلطان : " سفير الدولة الغلاية عبدكم " وهذا الاصطلاح مستعمل
بصورة عامة بين العثمانيين . ان ليس من قولهم الادب عندما يتكلم احد الناس شخصا ارفع منه

مقاماً ان بخاغبه بهيئة المفرد انما يقول : "عبدكم وخادمكم" .

عدا هذا فان كل رعايا السلطان متساوون عنده . وكلهم مقبول لتسلم ضايب الدولة . وقد حصل في اعيان كثيرة ان يترقى احد الاشخاص بمدة قصيرة الى ارفع المراكز ويكون من اصل وضيع . كما يحصل ايضا ان يتاخر كبار الكوالموظفين الى مراكز وضيعة ويجدون انفسهم محبوسين على تقبيل شوب من كانوا في اليوم السابق من عداد مرويسهم . وان امير بحر معزول لا يتردد يقول احدي السفن كما يذهب اما الانكسارية المعضوب عليه الى قيادة حامية احدي مراكز الحدود . ويعتبر الصدر الاعظم العقال من منصبه نفسه سعيدا اذا حصل على حكم احدي الولايات . ان عدم استقرار الموظفين في مناصبهم يقتل مواهبهم فتراهم ينقلون من مراكز الى اخرى كانه بقدرهم العمل في كل المناصب . الا ان العلماء وخدامهم يشذون عن ذلك ولا تتبدل مناصبهم .

ان المعاملات الشائنة التي يعامل بها الموظفون حتى الذين هم من اعلى المراتب منهم عندما يغضب عليهم السلطان اوروساؤهم تدل على خشونة عادات اهل البلاد . فكثير من السلاطين وبصفة خاصة محمد الثاني وسليم الاول تعودوا اذا كانوا في حرب وغضبوا على الصدر الاعظم ان يهدموا على حين عرة خريسته وهو موجود فيها . واذا غضبوا على احد الباشاوات او احد القواد فانهم يامرون بقطع اثار حوله . وقد حدث في احدي غزوات محمد الثاني على بلاد قروانيا ان اظهر جنود الانكسارية حركة يريدون بها طلب مكافاة على اعدائهم فامر رئيس الانكسارية بوضع كل قائد "اورطة" في الفلقة وجلده على رحليه . وفي عام ١٦٢٣ امر الصدر الاعظم حسين باشا بطرد احد ليل الامراء (بيكلريك) على رحليه وقضى هذا نجبه وهو يجلد . وامر بعد بضعة ايام بجلد احد كبار القضاة

وكان من الاشرف من سلالة النبي . وفي سنة ١٦٤٨ زمن السلطان ابراهيم الاول امر الصدر الاعظم احمد باشا بجلد احد اخوته وكان كخريسته مئتي جلدة وامام كل رجال حاشيته . وفي سنة ١٦٤٨ اساء كثير من قواد السفن التصرف امام اسطول البندقية فغضب امير البحر ونزل في حجرة "شيو" وجمع كل قواد اسطوله وعجم عليهم ويده عصا وارهقهم ضربا . ثم امر بوضع كثير منهم في الفلقة وجلدهم مئة وخمسين جلدة . وكان من عادة الصدر الاعظم محمد باشا انزال مثل هذه العقوبة في قاعة ديوانه على جميع الموظفين بدون استثناء . وتذكر التواريخ ان ~~احد~~ واحد وكلاء الخزينة البحرية مات سنة ١٧٠١ وهو يعاقب بهذه الطريقة وان احد مفتشي الانكسارية غل مريضاً

بعد عدة اشهر .

واذا اراد احد السلاطين ارشاد عماله للقيام بوظائفهم خير قيام يكون ذلك بتهديدهم
 شر تهديد . وان رسائل النصيح التي يبعثها السلطان لكبار موظفي الدولة تنتهي عادة بمثل هذه
 الكلمات : " سيعاقب كل منكم بشدة حسب مركزه وحسب حالته اقسم على ذلك بروح اجدادى " .
 وعندما رفع السلطان محمد الثالث سنة ١٥٩٨ جراح محمد باشا الى رتبة الصدارة نصحه برسالته ان
 يخدم مصالح الدين والدولة خير خدمة ثم قال : " اعلم بانني لقد اقسمت بارواح اجدادى بان لا اغفو
 عنه عن صدر اعظم بل اعاقبه شر عقاب لاى مخالفة يرتكبها وسوف يعدم ويقطع جسده ويلعن اسمه " .
 وكتب السلطان احمد الاول سنة ١٦٠٣ للقائم مقام الذى عين مكان الصدر الاعظم وكان اتيا من مصر
 ما يلي : " اعلم يا قاسم باشا بان والدى السلطان قضى نحبه بمشيئته تعالى وقد اقامت مكانه على
 العرش السلطاني . احتهد بان تكون العاصمة هادئة ولا تهمل شيئا بهذا الخصوص . واذا حصل اى
 خلل لا يكون الموت عقابك " . وعندما كان محمد الرابع قاصرا وآلت اليه السلطنة وعمره سبع سنوات
 كان يقول في كل مناسبة لوزرائه وكبار موظفيه بانه سوف يقطع رؤوسهم ويصحب انذاره هذا
 بحركة من يده تشير الى ذلك .

ان حياة ومال الموظفين هما تحت رحمة السلطان . فان اموالهم باستثناء العلماء تستحق
 عند موتهم ان لم تستصف وهم احياء . لذلك فهم يستعملون جميع الطرق لانقاذ بعضها . فينتحلون
 على انفسهم الديون لكيما يقسموا عند الحاجة بانهم مدينون . ويطعمون حواجرهم والذهب الذى عندهم
 ويحافظون دائما بحمل بعض الاشياء الثمينة وذلك خوفا من ان ينفخوا على حين غرة . وهم يوقفون الاموال
 على الجوامع ليؤمنوا دخلا للاستخدام الذين يريدونهم ويعينونهم بنصر الوقت وكلا على هذه الاموال
 الموقوفة . وهم يوقفون عقاراتهم على هذه الاماكن الدينية لكي يؤمنوا ايرادها لاولادهم وهذه العملية
 تنتهي بتحويل كل املاكهم الى وقف . وهم يضعون الاموال او يكتبون العقارات باسماء اقرب
 اهلهم اليهم او باسم اصدقائهم الخلقين . وفي حال عدم وجود براهين قانونية تظل اموالهم
 هذه بعيدة عن اى ضبط او حجر . ولكن عندما يصدر الامر بضبط املاك موظف كبير توفي او غضب
 عليه فان الدولة تستعمل احيانا طرقا قاسية جدا وذلك ان رجاله مثل نائبه ووكيل ماله وامين
 خزينته يعذبون بشدة الا اذا اقروا بما يرفعون عن ثروة رئيسهم . وهكذا فان استصفاة الاموال

يمنع العائلات من ان تصبح قوية بفضل ثرواتها . وهذا العمل يدر المال على الخزينة ويساعد
في تطبيق سياسة حذرة تمنع في ان يحصل الافراد على مكائفة سامية . ولهذا السبب فان الله
الغلاطين لم يعطوا قط ارضا ما لشخص بصورة دائمة بل تكون ^{لوقت} مؤقتة معين . والقانون المدني
يرمي الى ^{نفسه} الغرض نفسه . انه لا يعترف بحقوق البكر من ادباءه ويامر بتقسيم الارث بين الورثة
من الجنسين .

وتبلغ كبار الموظفين اقلتهم من منصبهم بامر يوجهه لهم مساء الصدر الاعظم يطلب منهم
عدم الذهاب في اليوم التالي الى دوائرهم . والذين يعينون في احدى المناصب يتعلمون امر المثل
امام الباب العالي . وتكون رتبة الرسول الذي يحمل امر العزل والتعيين مناسبة دائما ورتبة الشخص
الذي يذهب لتبليغه . والرئيس افندي هو الذي يذهب ويبلغ احد العلماء خبر تعيينه مفتيا
ويبلغ المفتي المعزول خبر عزله بواسطة الشاوش باشي . ويوكل للباشي باشي كما لاحظنا سابقا
امرتوقيف الصدر الاعظم المعزول . ويذهب احد كبار موظفي السراي ليقدم لخلفه الخاتم المماثوني
وتمتاز كل طبقة من الموظفين عن غيرها بنوع خاص من اللباس يختلف عن غيره بالتفصيل
ونوع القمائم ولونه ونوع الفراء . فيلبس الموظف حسب مركزه اما القطيفة او الديباج او الجوخ او الوبر
واما فراء السمور او الثعلب الابيض او السنجاب او الفهد . وهناك اسماء خاصة لمختلف انواع الثياب
كما هناك اسماء خاصة ايضا لانواع العمائم .

الباب الرابع

الديوان

ان كلمة ديوان معناها باللغة العربية مجلس وجميعه ومجمع ونشان اصلها الخليفة معاوية على مجلس شورى دولته ^{نفسه} وكان ^{نفسه} بالوقت محكمة للعدل اصبحت تشير الى اجتماع الحكام الاداريين والقضاة للشورى . وقد انشا فلاح القسطنطينية ديوانين احدهما في السراى والاخر في قصر الصدر الاعظم . وكان الاول بنفس الوقت مجلس شورى الدولة ومحكمة عليا ومركز الادارة الحكومية حيث ترسل اليه اهم شئون الدولة . ولهذا السبب كان "الخوجوات الاوليين" اى رؤساء دوائر المستشارية والدفتردارية ودائرة المستندات القديمة كانوا يشتغلون في عرف محاورة لقاعة الديوان . وكان السلطان يجلس على مرتبة عالية ويرأس المجلس .

كانت قاعة الديوان ^{بمجلس} في بادىء الامر في باحة السراى الاولى . ثم شيد سليمان الاول في الباحة الثانية قاعة ذات قبة مزخرفة باثمن الزخارف جعلها مركزا للديوان . ووضعت المستندات القديمة في بنائين محاورين لايزالان حتى الان يخدمهما الصدر الاعظم بخاتمه . وقد خصص هذا السلطان للديوان امر النظر في كل الشؤون السياسية . وكان يحضر المجلس ويقعد وراء نافذة محجوبة كائنة فوق مقعد الصدر الاعظم فيكون بذلك مشاهدا غير منظور لاحكام ومناقشات اعضاء المجلس .

ظل الديوان مدة طويلة يتألف بصورة خاصة من وزراء يطلق عليهم لقب وزراء القبة نسبة الى شكل قاعة المجلس . ولم يكن هناك حتى زمن سليمان الاول سوى ثلاثة وزراء ثم زاد عددهم ووصل الى تسعة ومن ضمنهم الصدر الاعظم (١) . ويدعون الوزير الاول والثاني والثالث الخ . . . ويعملون في اوقات الحرب كمواد للجيش تحت امرة السلطان او الصدر الاعظم ويرأسون احيانا قيادة الجيش مباشرة اى لا يعملون تحت امرة السلطان او الصدر الاعظم فيعملون ان ذاك لقب "سرعسكر" . ان الاضرار التي نتجت عن تنافس هذا العدد الكبير من الوزراء ادى في بادىء الامر الى تقليل عددهم ثم بعد ذلك الى ازالتهم جميعا ^{وقد حصل ذلك زمن ايام} حكم السلطان احمد الثالث تحت

(١) وقد عين هذا السلطان وزيرا رابعاً عام ١٥٣٩ وخامساً عام ١٥٤٤ ثم حاد بعده السلطان سليم الثاني وعين وزيراً سادساً ثم سابعاً سنة ١٥٦٧ ثم عين مراراً الرابع الاثنى الاخيرين عام ١٦٢٦ و١٦٩١ و١٦٩٢ اما لباسهم فهو كلباس باشاوات الاطواغ الثلاثة اى كساء من الحرير الاخضر عليه فرا من حلد السور .

ضغط الصدر الاعظم " الشهيد علي باشا " . ومنذ ذلك الوقت أصبح لا يحضر الديوان سوى باشا واحد يحمل لقب وزير وهو امير البحر .

كان يجتمع الديوان حتى ذلك الوقت عدة مرات في الاسبوع الا ان السلطان احمد الثالث امر الا يجتمع الا كل يوم ثلاثا . ثم اخذ خلفاؤه من بعده يقللون من اوقات اجتماعه الى ان أصبح في وقتنا هذا لا يلتئم الا مرة واحدة كل ستة اسابيع . وبالرغم مما كان يصحب هذه الاجتماعات من الابهة والاحتفالات مع مراعاة شديدة للتقاليد المرموعة فانها ليست سوى صورة لاغير لتلاشي الاجتماعات القديمة .

وهناك نوعان من الدواوين . الديوان العادي وهو بمثابة محكمة للمعدل في ايامنا هذه . وعلى رؤساء الادارة ان يقدموا في عرفت متصلة بقاعة الديوان لكي يكونوا قريبين لاعطاء المعلومات ولتلقّي الاوامر اي كما كان ذلك يحصل سابقا . ويوجد في قاعة الديوان من جهاتها الثلاث اريكة مغطاة بالجوخ المذهب . يحتل الصدر الاعظم اوسطها ويجلس عن يمينه امير البحر وعن يساره القاضيا عسكر . اما النيشنجي فانه يجلس على الاريكة التي الى جهة اليمين . والتي الى جهة اليسار يجلس عليها الدفترداريون الثلاثة . ولا يتألف المجلس الا من هؤلاء الموظفين الثمانية الا اذا كان هناك في المدينة باشاوات من ذوي الاطوار الثلاثة اذ يمكنهم حضوره لانهم حسب رتبهم يعتبرون من اعضاءه مذ ولدوا . ويكون جلوسهم قرب امير البحر . ويكون الجميع بالملابس الرسمية ويجلسون على الطريقة الاوروبية . ويلبسون في ارحلهم الحزمات طبقا للمعادة العسكرية القديمة التي تقضي بلبسها عند المشول في حضرة السلطان . وعندما يحضر السلطان المجلس فانه يقف وراء نافذة مححوبة بشعيرة مذهب كائنة فوق مقعد الصدر الاعظم كبت فوقها باحرف كبيرة آيات قرآنية تنصح باتباع الفضائل التي تؤدي الى الحكم العادل . ويكب على جلبني النافذة شعار السلطان باحرف ذهبية .

ويقف رؤساء الجيش وانشاء قواد الانكسارية جهة اليمين تحت الروايات الداخلية التي تحيط بالباحة الثانية . ويكون على مسافة قصيرة منهم الف ومئتان من عساكر الانكسارية . ويقف الى جهة اليسار رؤساء وقواد فرق الخيالة كما يقف عدد من الـ *Ponks* والشوكر والقبوجية وحاملي السلاح . ويصطف المم باب السعادة ثلاثون من رؤساء الحجاب ويركب اثنا عشر من السلاحدارة الخيل المجهزة باثمن عدة ويصطفون على شكل دائرة . ويختم اثناء ذلك على القصر سكون عميق .

وهناك طقوس مخصوصة تتعلق في الاحوال المتعلقة باجتماع اعضاء المجلس الذين عليهم ان يحضروا بتتابع مبتدئين باقلهم رتبة . فاذا جاء احدهم متاخرا عليه ان يقف امام باب القصر الثاني الى ان يسمح له رئيس التشریفات بالدخول . ويقف مشيرا القصر امام باب القصر الثاني لاستقبال الدفتردار الاول والريبرافندي والقاضي عسكر وامير البحر . ثم يتقدمانهم وهما يضريان بعنقهما على الارض الواحد ^{بعده} الاخر . وعندهم وصولهم يقف كل منهم حسب رتبته على ابعاد مختلفة من باب الديوان الذي يتميز عن غيره بحدود ثلاثة عواميد صغيرة من الرخام . ويجب ان يقف الاعضاء امام السمود الثالث وان يلتفتوا نحو باب السعادة وينحنوا ويحيوا باحترام نرائد مكان سكن السلطان .

وعندما يحضر امير البحر يدع رسول بسرعة حاشا حواء نحو قصر الصدر الاعظم ليخبره بحضور جميع اعضاء الديوان . وعندما يصل يصبح عاليا " استعدادا " عندها يتحرك موكب الصدر الاعظم المؤلف تقريبا من جميع موظفيه . ويرافقه الكخبة بان حتى باب السراى الثاني ثم يرجع بسرعة الى الباب العالي ليقوم مقام رئيسه اثناء غيابه . فيجتاز الصدر الاعظم باحة القصر الثانية ماشيا لانه لا يسمح لاي كان عد السلطان من اجتيازها راكبا (١) . فيتقدمه مشيرا القصر ويحشي عو بخطى وثيدة يحرق القواد والحنود ثم ينحني بكل احلال نحو باب السعادة ويدخل قاعة الديوان فيستقبله الاعضاء ^{سواء} الموظفين وهم مصطفون على جانبي المدخل . تبدأ بعدها الجلسة ويكون واقفا في اخر القاعة اربعة من الموظفين وهم رئيس التشریفات ووكيل الخيم ونائبهما .

تبتدئ الجلسة عند بذوغ الشمس بفحار الاختام الموضوعة على المستودعين اللذين تحفظ فيهما المستندات القديمة ، فيفرض الشاوش باشي الاختام باعتنا ويقدمها للصدر الاعظم ليراهها . وفي اخر الجلسة يقدم له غذا خاتمه ليعيد الاختام . بعد ذلك يدخل اصحاب الشكاوى اللذين اخذوا الاذن من الشاوش باشي للمثول امام مجلس العدل هذا . فيقوم رئيسا الاستدعاءات ويقرآن بصورة متتابعة دعاويهم ويكبان اوامر الصدر الاعظم عليهما ثم يوقع عليها هذا الاخير بيده فالصائل المدنية يقضي بها القاضي عسكر ولكن شكلا فقط ان عليهما بعد انقضاء المجلس ان يفحصاها في دوائرهما الخاصة . ويكون عمل النيشنحي في وضع شعار السلطان على اوراق الاوامر الجديدة . ويحضر امير البحر والدفترداريون ^{والثلاثة كمتهمين} فقط الا اذا وجه لهم

(١) ولم يشذ عن هذه الاصول المرمية سوى الصدر الاعظم الحاج محمد باشا ^{الاول} لما كان راجعا سنة ١٢٢٩ من الحدود بعد صلح بلغراد اذ ناله السلطان محمود الاول كدليل على عطفه عليه بالتقدم راكبا حتى باب القصر

الصدر الاعظم بعد الاستئذان المتعلقة بدوائره . ولا تقوم هذه الجلسة عادة عير ساعة واحدة . اما اصحاب الشكايات الذين لم ينظر في امورهم فانهم يحولون الى ديوان الباب العالي .

ثم يجهز الطعام وتنصب ثلاث موائد صغيرة واحدة امام الصدر الاعظم الذي يكون معه النيشنجي والدفتدار الاول . والثانية امام امير البحر والدفتدار الثاني والثالث . والثالثة امام قاضي العسكر . اما الخوجوات فانهم يتناولون الطعام في غرفهم التي يشتغلون فيها . وياكل اعاوات الانكشارية والسباهية والسلاحدارية مع قوادهم تحت الرواق . ويقدم الطعام ايضا لجنود الانكشارية ولكن بصورة عربية اذ يضع خدام المطابخ في وسط الباحة ست مئة وعاء من النحاس مطوية بالشوربا وامام كل وعاء ثلاث قطع كبيرة من الخبز . وعندما تعطى لهم الاشارة يهجمون على الطعام فحطونه ويرحمون به الى مراكزهم لتناولهم ويكون ذلك بمعلق خشبية يضعونها داخل الابواب النحاسية الموحدة في قلائسهم المخصصة للحفلات وهم يرضون وعندما يكونون ستائين من السلطان تناول الطعام المقدم لهم . وهذه الاشارة السابقة للعصيان تنشر الذعر في القلوب .

وبعد ان ينتهي الصدر الاعظم من تناول الطعام يطلب خطيبا الاذن للثول بين يدي السلطان وهو يستعمل دائما من اجل ذلك هذه اسبارة : " على اعضاء الديوان ان يبتغوا سعادة وضع جباههم فوق حبار قدمي السلطان المعظم سيدهم ورئيسهم " ثم يتقدم بكل رصانة الرئيس افندي الذي خط هذه العبارة فيناولها للصدر الاعظم الذي يلقي نظرة عليها ويضعها داخل منديل حريري ثم يقف هو وعضاء المجلس ويتناول الخاتم الهمايوني من صدره فيقبله ويضعه على راسه ثم يختم الرسالة التي يحملها الرئيس افندي ويعطيها المشير السراي الذي يكون مع الشاوش باشي امام مدخل القاعة . فيذهبان معا ويقدمانها للسلاحدار اعلا ورئيس الخصيان السود وهما الوحيدان اللذان يمكنهما اعطاءها للسلطان الذي يكتب في اعلاها موافقته لطلب الصدر الاعظم . ثم يرجع الرسولان ويعلنان قدومهما بغيرهما الارض بعصيهما . فيخرج الصدر الاعظم لملاقاتهما حتى باب القاعة ويتناول الرسالة التي تسمى وقت ذاك " خطي شريف " بالاحترام المعهود .

فيخبر الصدر الاعظم اعلا الانكشارية بأنه مسموح له تقديم خضوعه للسلطان . فيدخل اول واحد الا انه لا يمكن عادة سوى برهة وجيزة . ثم يدخل بعده القاضيا عسكو ولا يمكن اكثر منه .

الا اذا اراد اعلام السلطان باسماء القضاة الذين عناهما في اخر اجتماع للديوان . في هذه

الحالة قرأ كل منهما لائحة بأسماء الذين عينوا في دائرته . وعندما يخرجوا فترك الصدر الاعظم قاعة الديوان ومعه امير البحر ويدخل على السلطان فيدعياه ثلاث مرات ثم يقتربان من العرش . ولا يتناول الحديث سوى اشياء غير مهمة بسبب وجود اربعة من موظفي السراي اذ تقضي الاصول المتبعة بذلك وهم : المهر علم ويقوم بوظيفة حاسب . وثلاثة من رؤساء الخصيان البيض (القبواغا والخزنك باشي والقلججي باشي) يقفون على يسار السلطان ووجوههم نحو الحائط .

ان الارض من باحة القصر حتى قاعة العرش هي على مستوى واحد ويحتاز الانسان قبل وصوله العرش بغرفة يقف فيها موظفو الدائرة الاولى . اما العرش فهو اريكة مغطاة بالدهليج يرتفع درجتين عن الارض تعلوه مظلة محمولة على اربعة عواميد معلق فيها قطع كبيرة من اللؤلؤ الصافي . ان قاعة العرش متوسطة الحجم يدخلها النور من نافذة واحدة . فيها مدفأة شرقية الشكل وكوتان يوضع فيهما عمادتان مزينتان بأوسمة براقية . وللقاعة اربعة مداخل واحد مخصص للسلطان والثاني هو المدخل العادي اما الثالث فلا يفتح الا لادخال الهدايا المقدمة من سفراء الدول الاجنبية من قبل حكوماتهم وتعرض امام هذا الباب عندما يمثلون بين يدي السلطان . ويبقى الباب الرابع مغلق وهو مقابل للثاني ويسمى باب القصاص وسبب ذلك انه قبض سابقا داخل السراي فجاء على احد الصدور والعظام وحكم عليه بالاعدام . فجيء به الى ما وراء هذا الباب حيث وجد بحرة ومكانا للصلاة ليتوضأ ويصلي اخر صلواته قبل ان يسلم لحلاديه .

ويجتمع الديوان عدا ذلك في حالتين استثنائيتين : اما لدفع مرتبات الجنود ^{فيكون} ~~الجنود~~ ^{الجنود} الثلاثة مرات في السنة واما لمقابلة احد سفراء الدول الاجنبية . ويطلق عليهما اسم " غلبة ديوان (١) " لانه يجتمع فيهما عدد كبير من الموظفين والجنود . فيسمح بالدخول لثلاث مئة انكشاري يقدم لهم ست مئة صحن من الرز وشلهها من " الزرده " وهي شوربة باردة مصنوعة من الرز والعسل والزعفران ثم يدخل الفرسان ولكن بدون جيادهم كما يدخل ايضا رجال فرق العشاء الثلاثة البجيه جيه والطوبجيه جيه والطوب عرجيه) الذين يصطفون في باحة القصر جهة اليسار مقابل الانكشارية .

وبعد ان ينتهي هؤلاء من تناول طعامهم تفرق المرتبات على الجنود . ويكون قد قدم رؤسائهم قبل بضعة ايام لوزير المالية قيمة المال اللازم ويكون ذلك حسب عدد الجنود . وبالرغم من ان الرؤساء يضاعفون عدد الجنود الذين هم في الخدمة فان الدولة تخفض النظر عن ذلك

(١) غلبة معناها في التركيبة جبهة من الناس .

وهذه الزيادة التي يأخذها القواد هي اهم ما يربحونه . ويقدم وزير المالية بدوره للصدر الاعظم لائحة قيمة المال اللازم فيرسلها هذا ليوافق عليها السلطان الذي يأمره بدفع المرتبات حسب انماسيم المتبعة . وقبل الابتداء بتوزيع المال يرسل الصدر الاعظم مذكرة ثانية للسلطان يطلب منه اوامره الاخيرة وعندما يصله " الخطي شريف " الحديد يأمر بصرف الرواتب .

فتوضع خارج قلعة العرش وامام الباب مقابل مقعد الصدر الاعظم اكياس من الحلد السخيتان الا حمري حوى كل منها خمس مئة قرش (هو مبلغ الكيس) . واول ما يفرق المال على فرق الانكسارية فتتناول كل فرقة " ما يخصها " ويدورعا مبتدئين بتداه التي يكون قوادعا اقدم من غيرهم . فياتي موظف وينادي اسما هولا فيتقدم الفائذ نحو باب الديوان قابضا بيده اليمنى طرف كم ثوبه الخارج . فيحي الصدر الاعظم لاسما الارض بيده ثم يرفعها الى فمه ثم الى راسه وبعد ما ينسحب وهو ينحني مرتين ووجهه ناحية الصدر الاعظم . عندما ياخذ العساكر الاكياس المخصصة لهم فياتي بعد الانكسارية السباهية ثم السلاحدارية ثم الحبيجه الخ وتتسحب كل فرقة لوحدها يحمل رطلها الاكياس على اكتافهم . ويذهب قواد الجيش بعد ذلك الى مراكزهم ويشرفون على توزيع المرتبات انفسهم وتدم اربعة او خمسة ايام . الا ان صرف راتب فرق الخيالة يحصل امام الصدر الاعظم وبحضور رؤساء الفرق . وبعد الانتهاء من ذلك يعلم الصدر الاعظم السلطان الذي يعرب له عن رضاه ^{نحوه} وينسحه بواسطة احد كبار موظفي البلاط فروة من جلد السمور وخنجرا مرصدا بالحجارة الكريمة . ويبلغ المال الذي يدفع لمرتبات اربعة اشهر عادة مليون ونصف المليون او مليونين قرش من ضمنها مرتبات موظفي السراي وحرس السلطان والعساكر البحرية والانكسارية وفرقة حرس ادرنه .

يجتمع المجلس بعد دفع مرتبات الجنود وينتهي بحفلة طعام . وبهذه المناسبة فان اعضاء الديوان الذين يقبلون لحضور مجلس السلطان يدخلون سجا معاً مع اعا الانكسارية والدفتردار الاول ليخبروه . بانتهاء امر الدفع الذي يشتهه وزير المالية بعقد يقرأه علو الحضور ثم يوقع عليه القاضي العسكري ويصدق اعا الانكسارية باسمه واسم جهة رؤساء الجيش . ويعرب السلطان رضاه نحو الدفتردار الاول بنفسه خلعة ثمينة .

ان هولا الموظفين هم الوحيدون الذين يقبلوه في مجلس السلطان الا انه يسمح لخمس عشرة شخصا يحتلون مناصب عاليه بتقديم احتراماتهم له يوم انعقاد المجلس لأول مرة وبعد ان يعينوا في مناصبهم . (١)

(١) وهم الرئيس افندي والخوجوات الستة الاولو وحاجا السلطان .
وقائدا فرق الخيالة " الجيجي باشي ووكيل اعا الانكسارية

فان الواحد منهم بعد ان يلبس الخلعة (القفطان) ويكون واقفا بين اثنين من رؤساء الحجاب يتقدم نحو مدخل قلعة العرش وينحني على عتبة الباب ثم ينسحب في الحال .

ان الديوان الذي يقع في السراي ~~للملوك~~ ^{للملوك} صورة باطلة لمحكمة عدل .

الا ان ذلك الذي يعقده الصدر الاعظم في قصره ~~على~~ ^{في} محافظا على وضعه . فهو محكمة عليا تتعقد خمس مرات في الاسبوع . ويكون الصدر الاعظم جالسا على معد مرتفع ثلاث درجات عن الارض ومكوب فوقه بلاء الذهب شعار السلطان مع هذه العبارة : " ان ساعة عدل لافضل من صلاة سبعين سنة . " كما يجب ايضا فوق باب القلعة الكبر التي تؤدي الى مكان الصدر الاعظم ما يلي : " ان الانسان الذي يحبه الله لا يجد عن العدل في ادارة الاعمال . " ويجب على باب مقابل للاول ويؤدي الى غرفة الرئيس افندي (" ان العز الذي يعطيه القلم للذين يستعملونه يدوم ابد الدهر . " حقا ان الله حلف بالقلم " ويتخذ قاضي عسكر الروملي مكانه عن يمين الصدر الاعظم وقاضي عسكر الانفول عن يساره ويقف قربه " رئيسا الاستدعاءات " كما يقف امامه الشاوش باشي واشهر رجاله الذين يوافقون صفين مائتين يعتدان من مقعد الصدر الاعظم حتى اخر القاعة حيث يقف صف من الانكشارية وامامهم رؤوساؤهم . اما وكلاء بقية فرق الجيش فيقومون قرب الباب وراء الحرس . ويصطف عن يسار الصدر الاعظم رجال حاشيته . ويؤلف اصحاب الدعاوى عدة حملات ، يقف الرجال بعبيدين عن النساء واهل الذمة وراء المسلمين .

وعندما ينظر بامر قضية ما يقرأ رئيسا الاستدعاءات عرائض المشتكين الذين يعرضون بعد ذلك بانفسهم قضاياهم وذلك لانه ليس هناك محامون . وتأخذهم غالبا رهبة مجلس العدل هذا واحكامه الحازمة . فكل من ~~يخطئ~~ ^{الاضلعة} يسمع الانسان اصواتهم ~~التي~~ ^{التي} لا يجرأون على رفعها . واذا حصلت احيانا بعض التشمكات استياء من حكم ظهرانه غير عادل فان ذلك لا يكون قط الا من النساء

السلطات اللاتي يظهن في كل مناسبة جرأة تستحق اعجاب اذا اعتبرنا حالة الاستعباد التي تحولن اليها . ان احكام الصدر الاعظم تكتب في الحال على العرائض ذاتها من قبل رئيسي الاستدعاء ويوقع عليها الوزير . وهو يرسل الى الدوائر والحاكم الخاصة القضايا العادية وتلك التي تتطلب فحفا دقيقا . ويحضر هذا الديوان في ايام الجمعة القاضي عسكر وفي ايام الاربعاء قاضي الاستئناف مع قضاة غلطة وايوب واسكدار . فيجزم كل منهم بالقضايا المتعلقة به ثم يتابع بحثه فيها في محكمته . فاذا كان الحكم على المحم ضرب الفلقة فان العقاب ينزل حالا عليه في ساحة القصر . واحيانا في قاعة

الديوان نفسها . ان رجال الحرس هم الذين يعلنون في كل مرة انعقاد او انقضاء الديوان الذي يدوم ساعتين او ثلاثة وذلك بان يرفعوا اصواتهم دليلاً بان يديم الله عز السلطان وعز نائبه الصدر الاعظم .

منذ ان اصبح الديوان الذي ينعقد في السراي صورة بسيطة لذلك الذي كان ينعقد في الماضي فان شئون الدولة اصبح ينظر فيها في مجالس شوري ينعقد فيها الصدر الاعظم عندما يريد . وهو يدعو اليها عادة الوزراء ورؤساء الادارة واهيانا المفتي . ويرسل الصدر الاعظم مذكرة للسلطان يذكر فيها انتيحة الشورى ليعطي حكماً فيها . هذه هي المجالس العادية . وهناك مجالس فوق العادة يعين دستور الدولة لعضائها . وهم رؤساء هيئات الدولة الثلاث اي القضائية والمدنية والمسكرية يضم اليهم الصدر الاعظم الوزراء السابقين والخووات المشهورين باختياراتهم . ان مجالس الشورى هذه المؤلفة من اربعين شخصاً تقرباً تنعقد في قلعة جلسات الصدر الاعظم . ويسهر رئيس التشرفات في ان يحضر كل من الاعضاء على الاربعة التي تحيط بالقلعة حسب درجته . اما هو فانه ينسحب وقت ابتداء المحل تاركاً حراسة مدخل القاعة المحجوب بسائير من الجوخ لاجل الرجال الخرس . ان الكخية بك والرئيس اقدي ليسا من اعضاء هذا المجلس . ان بما انهما لم يكونا سابقاً من اعضاء نظراً لكونهما فقط ابناء سر الصدر الاعظم الحسنيين فانه روعي عدم الاخلاص بالمراسيم المنصوصة بالرغم من انهما اصبحا الان وزراء الدولة . ومع هذا فانهما يحضرا هذه الجلسات ولكن بحجاب او شراخ يحسبان على السجادة الا ان معلوماتهم عن اذكار الحاربة تجعلهما يوتران في مجرى الاحكام . ويقوم الرئيس اقدي بقراءة اوراق الدعاوى .

يعرض الصدر الاعظم القضية المطروحة على بساط البحث فياخذ بادي الامر راى شيخ الاسلام الا ان هذا يعبر عن افكاره عادة بصورة مبهمه لكي لا يضيق حرية الراء . اما اعضاء المجلس فانهم لا يبدون رايهم خوفاً من معاكسة اراء الصدر الاعظم الذي يطلب نصيحتهم ويستحسنهم على الكلام . ويستمد حجتهم لمنفعة الدين والدولة ولكن بدون فائدة ان يجيبونه بانه كله معارف وانه محتفظ بثقة وصلاحيات السلطان فعليه هو ان يتكلم ويامر وعليهم هم الطاعة . واذ الح عليهم يهزون مرة اخرى رؤوسهم ويرفعون ايديهم الى فمهم ثم الى راسهم . ويكون هذا الصمت اكثر عقاباً اذا كان البحث يتناول مسألة اعلان الحرب او السلم . الا ان النقطة التي تبدو اكثر اهمية من غيرها هي تلك التي تتعلق فيما اذا كان العمل او الشئ اللذان يبحثون فيهما صحيحين شرعاً . ان هذه النقطة وحدها

هي التي تخلق في بعض الاحيان أعضاء المجلس وتقسيمهم على بعضهم البعض . وكثيرا ما حارب العلماء بهذا الخصوص رأي الصدر الأعظم أو المفتي . الا ان ذلك لا ينتهي بدون قصاصم ان يرسلون في اليوم الثاني الى الخفي .

ان هذه المجالس التي لا تكون الاصوات فيها سوى استشارية يكون هدفها بصورة خاصة جعل المقررات شرعية امام عين الناس وذلك باذخار المفتي وكبار أعضاء الحكومة فيها . والغاية من ذلك هي جعل السلطان او بالاحرى نائبه الصدر الأعظم بعبدين عن كل ملالة في حال حصول عاقبة سيئة . وفي احبان كثيرة ايضا عندما تقضي الحاجة بوضع مراحط من عظمة الدولة او يصير بمصالحها فان الصدر الأعظم اذا كان حكيما يوجه امر التشاور بصورة يجعلها لا تتخذ نتيجة ايجابية . فيتراجع للسلطان نفسه امر البت في النقطة العويصة التي يمكن ان تعرض رؤوسا الديوان للخطر . في هذا الحال يظهر التعليل في تعابير تشيد بمعرفة السلطان وخصاله الخارقة . فيقال له بمانه رئيس المسلمين الاعلى فهو هدف التوفيق الرباني والالهامات السماوية هو الوحيد الذي يمكنه التعمق في القضايا والحكم على المناسبات فيجمع كل هذه ويستخلص منها الرأي السديد الذي يكون موافقا اكثر من غيره لمصالح الدين والدولة . عندئذ تحصل مشادة بين السلطان والصدر الأعظم في الطريقة التي يجب العمل فيها واخيرا ينتهي الصدر الأعظم باخذ الامر اللازم ويعلنه كانه حكم صادر فقط عن الارادة السلطانية . فلا من كل ذلك فان عمله لا يقيم ضجة الشعب ضده او سخط السلطان عليه اذا جاءت النتيجة سيئة .

ان مجالس الشورى هذه كانت تتعقد سابقا في السراي يرأسها السلطان ويجلس حوله أعضاء الديوان على طنافس صغيرة ويشكلون نصف دائرة . الا انها منذ حكم السلطان احمد الثالث لم تتعقد في السراي الا نادرا . وفي الحالات الشديدة الخطر تتعقد مجالس فوق العادة تسمى " مجالس واقفة " لان جميع اهل المجلس يظلون واقفين .

الباب الخامس

مالية الدولة

سوف نعرض في بادئ الامر نظام المالية ثم بعد ذلك نتكلم عن ترتيب هذه الدائرة .

الفصل الاول

نظام المالية

ان الرسوم المفروضة في الدولة العثمانية يقتضى الشرع والسماة لهذا السبب الرسوم الشرعية

هي :

(١) الضريبة المفروضة على اراضي الخراج اي تلك التي تركت وقت الفتح لاصحابها المسيحيين على ان يدفعوا الخراج . فمن هذه الاراضي ما يدفع ضريبة محددة ومنها ما يدفع بحسب المحصول السنوى . فالقسم الثاني يدفع على الاقل عشر المحصول ، وعلى الاكثر النصف . وهذا الاختلاف يكون بحسب خصب الارض وموقعها ونوع المحصول وتبعاً للاحوال الخاصة التي طرأت وقت استلام او فتح البلاد . والرسوم التي وضعها السلطان على الاراضي التي فتحها هو وضمها الى الدولة العلية يتعفى بموجبها ولا تتغير . ^{وتتغير هذه المبالغ بمرور الزمن} انما اذا اهلوا زرع اراضيهم ولم يدفعوا الغرائب مدة ثلاث سنوات فانهم يخسروا هذه الحقوق . ويمكنهم التصرف كما يشاؤون في اراضيهم لان خزينة الدولة لا تنسب شيئاً بهذا الخصوص . فمثلاً لو تحولت هذه الاراضي الى وقف فانها تظل خاضعة ^{نفساً} للغرائب اذا انحالتها تظل هي هي لا تتغير .

(٢) العشر المفروض على اراضي المسلمين ^{التي تسمى بالأراضي العشرية} . ان هذه الاراضي منحت للعثمانيين مكافأة لهم على اشراف فتح البلاد . ويمكن لغير المسلمين ان يملكوا هذه الاراضي ولكنها تتغير وتصبح ارض خراج . فاذا رجعت ثانياً الى ايدي المسلمين تعود وتصبح ارضاً عشرية .

(٣) الرسوم الجمركية وهي على المسلمين اربعة بالمئة من ثمن البضائع وخمسة بالمئة على اهل الذمة الا ان الاوروبيين لا يدفعون سوى ثلاثة بالمئة وذلك بموجب معاهدات عقدت مع دولهم .

١٤) الخراج والجزية ، المفروضة على الرعايا الغير المسلمين الذين ينقسمون الى ثلاث طبقات حسب حالتهم المادية . فالاولى تدفع احد عشر قرشا والثانية خمسة ونصف والثالثة ثلاثة وثلاثة ارباع ويجب ان تدفع هذه الضريبة في اول السنة . ويكتب على الوصل الذي يلاخذه الشخص بعد ان يدفع ما عليه ، " جزية الكفار " ويكون على الوصل خمس اشارات تدل على الطبقة التي ينتمي اليها الشخص والسنة الهجرية واسم رئيس الخزينة واسم رئيس مكتب المالية الثامن حيث يخرج منه الوصل واسم الملتزم العام لقبض الجزية . ويكتب الحابي اسم ووصاف الشخص الذي دفع الجزية . ويطلع مكتب المالية الثامن في كل سنة مليوناً وست مئة الف واصل تجعل في مئة ومائتين اصابة يتساوى توزيعها بين الحياة ولا يمكن فتحها الا امام القضاة في اول السنة الهجرية في شهر محرم . وقد جرى هذا التدبير لضع قبض الجزية قبل المدة الممنوعة لها كما كان يحصل في الولايات . والطريقة التي تجبى بها هذه الضريبة تظهر بوضوح واحكام غيرها الحالة الدائمة التي هم عليها اهل الذمة .

اذ يوقف الجباة في الاشهر الاولى للسنة المسيحية واليهودية في كل الاماكن التي يحل عليهم فيها ويسألونهم اذا كانوا قد دفعوا الجزية او لقبضها منهم اذا لم يفعلوا ذلك . ^{غالبا} ~~والا~~ لا يحترمون القانون الذي يسلم القصر والطاعنين في السن ورجال الدين . فيستعملون كل الوسائل لجمع قيمة الوصولات التي معهم والتي تختلف فيمتد حسب المناطق بدون اي مراعاة وذلك اذا حصل نقص بين السكان ويذهبون حتى الى منع المستحقين من ترك مساكنهم قبل خمسة اوسنة اسابيع قبل وقت الدفع اى قبل ابتداء السنة . ويصابقون حتى رؤساء رجال الدين من اهل الذمة لتأمين قيمة الوصولات الباقية ولكن الرؤساء لا يدفعون شيئا لما يدفع عنهم اهل ملتهم . ويخصر للعاصمة مئة وستون الف واصل ان مورد الجزية الان هو اثنا عشر مليون قرش وقد كان حوالي السبعة عشر مليوناً زمن السلطان سليمان الاول .

ان الجزية الخاصة المفروضة على الجماعات المتنقلة من يوهمين ومصريين (النور والاقباط) التي تتقل بصورة خاصة في بلاد الشام والعراق واسيا الصغرى هي موزعة بمبلغ ٢٦٠٠٠٠ / عرث يتصرف الملتزم بالتصرف المولى على هذه الشعوب التي تعد تقريبا خمسا واربعين الف مكلف . ويدفع المسلمون منهم الجزية ايضا ~~لا~~ ^{لا} استثمارهم بالاحاد . وهم في الحقيقة يجهدون عن قوانين الشرع في عدة نقاط تتعلق بالحقوس الدينية وبالاعدادات . ولكن بحسب قانون عام ١٦٩٤ اصبح لا يدفع الفرد منهم سوى خمسة قروش بينما غيرهم يدفع ستة .

بما ان مورد هذه الضرائب الثلاث التي ينص عليها الشرع غير كافية لتأمين مصاريف الدولة فقد وضعت ضرائب غيرها في اوقات عديدة وهي :

(٥) رسوم مختلفة وضعت على اصناف تجارية عديدة تدفع عند دخولها البلاد وخروجها منها وتسمى " مسطرية " الميزان " وبدعة القهوة " وبدعة ارمبر " والنظام الجديد " وغيرها .

١ - " المسطرية " لاتجبي الا من الاستانة وهي نصف ضريبة الجمرات العادية وتفرض على كل البضائع التي تباع بالوزن . اما بقية الاصناف فيؤخذ عنها علاوة على ضريبة الجمرات ثلث هذه الضريبة .

(٢) " الميزان " وهي ضريبة قيمتها ست وثلاثون بارة على ستة الحبر واربعين على اقة صباغ دودة القرمز .

(٣) " بدعة القهوة " وهي ضريبة قيمتها خمس عشرة بارة على اقة قهوة " مخا " وتسعة على قهوة *fonant*

(٤) " بدعة ارمبر " وهي ضريبة على الشمع وعلى القطن الخام والمعزول ولا تجبي الا من هذه المدينة . فعلى اقة الشمع عشر بارات . وبارة واحدة على اقة القطن الخام وتسعون على قنطار الغزل .

(٥) *Améd* هي ضريبة على البضائع التي من صنع البلاد تدفع وقت وصولها الى المرفأ الذي ستصدر منه . وتكون قيمتها نصف الضريبة الحمركية التي فرضت عليها وقت خروجها من البلاد .

(٦) " البج " وهي ضريبة المرور ترانزيت تجبي عن كل البضائع التي تنقل من محل الى اخر . وقيمتها تختلف بحسب الولايات . فتكون اواحدة او اثنين او ثمانية بارة على الحمل بكف النظر عن جنس وقيمة البضاعة .

(٧) النظام الجديد " اي الضرائب التي وضعت زمن السلطان سليم الثالث على بضائع مختلفة مثلا على المنب والخمور والسوائل والصفوف والقطن الخ . . . ومن هذه الضرائب العبر المباشرة لايحفي العثمانيون الا من ضريبة العنب . كما عفي منها كثير من الشعوب الاوروبية .

فالفرنسيون اعنوا منها منذ معاهدة بلمراد والروس والنمساويون منذ سنة ١٧٧٦ . والارويون لا يدفعون في الحقيقة بقية الضرائب الا بتعرفة خاصة تضع هذه الاحايات اقل بكثير من قيمتها الحقيقية .

(٦) ضريبة الاعنام . يعفى منها العلماء والاشراف اذا كان عندهم اقل من مئة

وخصين راسا . ويسمى ملتزمو هذه الضريبة : *Iljelab . Késchan*

(٧) *Avaziz* وهي سريبة فوجتها اربعة عروش وخمس العرش تدفعها كل مدينة من مدن

الدولة .

(٨) بدل النزول " ضريبة فوجتها من ثلاث مئة الى ست مئة بارة تفرض على كل حي من احياء المدن . وكان يخص سابقا قسم من واردها لحكام الولايات والقسم الاخر لفشتي الدولة كمصروف سفر . ولكن المبلغ ضم الى خزانة الدولة في زمن السلطان احمد الثالث .

(٩) وراثة الاشخا من المسلمين واهل الذمة الذين ماتوا بدون ان يكون لهم وريث

شرعي . وعلى ملتزمي هذه الضريبة ان يتخلوا للدولة عن كل ارض يتعدى العشرة الاف قرش .

(١٠) الخراج المفروض على البلاد الاقطاعية مثل : الافلاق والبغدان وجمهورية رانغوزا .

كانت الافلاق والبغدان تدفعان في بادى الامر مبلغا زهيدا انما بعد ذلك اخذ يزداد فوصل خراج الاولى الى (٣١٠٠٠٠٠) عرش وخراج الثانية الى (١٧٠٠٠٠٠) في السنة عند الضريبة التي على الحبوب والطح والشمع والعسل والفاشية الخ وعدا السدايا الثمينة التي على امراء هاتين الولايتين تقديمها لكبار موظفي الدولة . ولكن تقررا خيرا عام ١٧٩١ بين الباب العالي وبين بلاط بطرسبرج بان تدفع الافلاق سنويا (٧٥٠٠٠٠٠) عرش والبغدان نصف عند المبلغ على ان تكونا معفيتين من دفع اي شيء اخر . اما رانغوزا فتدفع كل ثلاث سنوات (٢٨١٢٥) مع اربعة اصباغ من الفضة المذهبة .

(١١) خراج مختلف الولايات . كال وارد مصر (٧٤٤٠٠٠٠) عرش (١) يذهب منها (٢٠٠٠٠٠) الى خزانة السلطان الخاصة ووارد بغداد (٢٧٥٠٠٠٠ / عرش وحزيرة كادييا / ١٦٠٠٠٠٠ / والبوسنة ٥٢٥٠٠ / وديار بكر / ٤٦٥٠٠ / ومقاطعة بلعمراد / ٢٧٠٠٠ / الخ وتحمل هذه الولايات قسما كبيرا من نفقاتها المحلية . فعلى مصر ان تقدم الرز والقهوة لمدينتي مكة والمدينة . وان تقدم للسراى الرز وخمسة الاف اقة من السكر . وكبة من الشمع لامارة البحر في الاسكندرية الخ هذه هي موا رد الدولة العادية . وسوف نعرض الان الطريقة المتبعة في ادارة الشؤون

المالية .

(١٢) ما يعادل ١٢٠٠٠ كمن مصر . وحسب كبير من المؤرخين وصل مورد هذه الدولة زمن احمد بن طولون المتوفى ٨٨٤ الى اربعة ملايين ونصف فندقلي (سبكان)

في اول ايام الدولة كانت السلطة نفسها تقوم بجميع مواردها . الا انها استعملت عبر هذه الطريقة عندما رأت خيانة وسرقات الحباة . ففي زمن محمد الثاني اعلنت موارد الدولة لاشخاص يلتزمونها . الامر الذي امن سلامتها لما أصبح الناس بنفس الوقت معرضين لطمع الكثيرين من العمال الذين كانت حركاتهم في تعدياتهم اكثر من جرأة المتزيمين الذين كانوا من كبار رجال البلاط ووزراء الدولة وحكام الولايات . وكان هؤلاء الذين يشترون التزامات الدولة ببيعونها بدورهم ايضا فكانت بذلك تتحزأ وتتقل من شخص الى اخر وبما ان هذا التنقل في البيع يؤمن دائما ربحا جديدا للشخص الذي باعها فان اخر واحد يدفع ثمنها غالبا ولكي يربح بدوره ويعوض ما قد دفعه كان يذهب الناس بمسائل على غاية عظيمة من الصنع .

وظل هذا الحال حتى اول حكم مصطفى الثاني عندما رأت الدولة ، امام صخب الناس وحادات السلطة ، ضرورة ايجاد طريقة جديدة لجباية الضرائب فصدر مرسوم بتاريخ ثلاثين كانون الثاني سنة ١٦٩٥ ينص بحمل الالتزامات السنوية (المقطعة) التزامات دائمية (مالكة) . وهذا الاسلوب الجديد كان قد ارتأه وزير المالية خليل اقدى الذي اخذه عن الاسلوب المتبع في مصر زمن المماليك . وكان من المعتقد بان الاشخاص المتزيمين التزامات دائمية يكونون ارحم من غيرهم نحو السكان . وقد وجدت الدولة افضلية هذا الاسلوب اذ أصبح لها موارد عا . ^{ونفذ} وعنوة عن قيمة التأجير (مار ميرى) التي كانت محددة كان المتزيم يدفع عندما يكتب عقد التكفل مبلغا من المال (حلوان) تختلف كميته حسب قيمة المزاد . وعليه ان يدفع ايضا ضريبة تسمى " رسم القلم " وقيمتها عشر قيمة الالتزام ياخذ ثلثها الصدر الاعظم وياخذ الدفتردار الباقي .

وتعني الدولة بان يحتفظ المتزيمون بمراكزهم طيلة حياتهم بلزيادة اطمئنانهم فان السلطان يامر بصورة رسمية رؤساء هيئة العلماء الاربعة اى المفتي والقاضي عسكري ونقيب الاشراف بالسهر على حفظ حقوق المتزيمين القانونية وان يخبروه راسا فيما اذا حاولت الوزارة مخالفتهم . وقد اعطى السلطان وعده بانه بعد وفاة المتزيم يكون ابنه احرى من ار شخص ^{اخر} لمتابعة اعمال ابيه على شرط ان يكون غيب السعة وان يدفع المبلغ الذي يكون قد عرضه اخر المتزايدين . ونلاحظ من مقدمة المرسوم الذي اصدره السلطان احمد الثاني الدوافع التي ادت لتراجع الاسلوب القديم في جباية الضرائب . فهو يعرض ببطل ^{ناحية} كيف ان اكثر الولايات افقرت من السكان وتهدمت والسبب في ذلك جور اولئك الذين يلتزمون الضرائب لمدة سنة وبين المنفعة في جعل الالتزام

دائما "طريقة ناحية لازالة آلام الناس وحصر طمع العمال الزائد ولازدهار البلاد الاسلامية التي تستحق ان تتمتع تحت ظل العناية الالهية بكل منافع حكم عادل . واخيرا لتامين نفع الخزينة بالاموال التي على كل ملتزم حديد دفعها" . وقد اعلن بان هذا الاسلوب الجديد قد طبق بعد ان اجعت عليه اراء أعضاء مجلس الدولة بكونه نافعا ^{نفسه} بظهر الوقت للامة وللدولة وللعمال .

ان فحوى هذا المرسوم يكون كمقدمة للبرامج المعهدة للملتزم وذلك كي تبقى هذه التنظيمات الاولى محفوظة من قبل كل سلطان . الا انها نقضت زمن السلطان احمد الثالث عندما كانت الدولة في حروب غير موفقة مع النمسا وروسيا والعجم . فان هذا السلطان اكد على كل ملتزم دفع زيادة من المال قدرها عشر المال الذي قد دفعه . وظلت هذه الضريبة تحبى لحيلة مدة الحرب .

ولكي لا يكون هناك مجال للمحسوبية في اخذ هذه الالتزامات فانه تقرر منذ الاساس بان تباع بالمزاد العلني وان يتم البيع في كل ولاية من ولايات الدولة الا انه حصل تلاعب في تطبيق ذلك عندها تقرر اصلاحها زمن السلطان احمد الثالث اذ صدر امر بان لا يحصل البيع الا في العاصمة .

ويكون ذلك بان يعلن موظف من المالية بصوت عال في قصر الدفتردارية اسم ونوع الالتزام الشاعر كما يعلن قيمة الاচার ومبلغ المال الذي دفعه الملتزم السابق . ويقيد يوميا المبالغ المعطاة من قبل المتزايدين . وفي نهاية المدة يعطى الالتزام لآخر المتزايدين . فيوقع وزير المالية كلمة " تقرر ذلك " جانب قيمة الالتزام ثم يرسر للصدر الاعظم نتيجة الزيادة ثم هذا بدوره يقدم تقريره للسلطان ويعرفه بالامر . عندها يصدر السلطان "الخط الشريف" امرا باعطاء الصلاحيات اللازمة للملتزم . الا ان كل هذه الترتيبات لاتضع دائما حصول بعض الخيانات قمثلا اذا كان احد الدفتردارية على اتفاق مع الصدر الاعظم فانه يجد دائما الوسيلة ليتصرف كما يشاء بها . بالالتزامات الشاعرة . وخذ زمن ^{المثل} السلطان مصطفى الثالث لايتم بيع الالتزامات الا مرتين في السنة . التزامات الاملاك في شهر اذار والبقية في شهر محرم .

ولكيما تسهل السلطة بيع هذه الالتزامات فانها تقسمها الى اسهم تباع منفردة الا انها تحتم الا يكون غير مدير واحد لكل التزام . فيترتب على صاحبي الاسهم ان ذلك اما ادارة

الالتزام كل بدوره واما تعيين عامل يديرها باسمهم . ويمكن لصاحبي الاسهم التخلي عن اسمهم لغيرهم . لهذا فان الطاعنين في السن منهم يتركون اذا شاؤوا الحقوق التي يتمتعون بها لاولادهم او اهلهم واصدقائهم . ويحصل هذا التخلي بموجب حجة يوقع عليها القاضي العسكري مصحوبة بمذكرة من الشاوش باشي للصدر الاعظم . ويدفع المتخلي للدولة لقاء ذلك عشرة بالمئة من قيمة المال الذي دفعه اخر مشتر كما يدفع ايضا علاوة على ذلك اثنين بالمئة للشاوش باشي واثنين ونصف لقاضي عسكر الروملي وثلاثة ارباع لقاضي عسكر الاناضول . ولا يسمح لاي امرأة ان يكون لها اي شيء من هذه الاسهم عدا السلطات والنساء الصبيئات اللاتي تكون املاكهن ضمنه كافية عند الحاجة . ان لا تريد الدولة ان تتعرض وتكون على ملاحظتهن اذا لم يقمن بواجباتهن نحو الخزانة .

ان اكثر هذه الالتزامات لم تتعرض للقسمة ويمكن القول بان اهلها هي من حصة كبار الشخصيات الذين يشترونها ويهتمون بان تبقى في حوزتهم لكي لا يكون عدد منافسيهم كبيرا . وهم يضعون كل اموالهم في هذه للالتزامات حيث تكون اكثر سلامة واعظم ربحا مما لو وضعوها في غير ذلك . وبعد مضي ثلاث اوارح سنين يستردون اموالهم من ايراد التزاماتهم وبعد ما يتمتعون بقوة ايامهم بما قدره عليهم هذه الاموال الكثيرة . فجمعك سالونيك مثلا الذي يدرك كل سنة اكثر من (١٦٠٠٠٠٠) غرش لا يوجر الا (١٨٥٠٠) غرش وترتفع قيمة الاموال المعجلة احيانا الى (٣٠٠٠٠٠) غرش . الان المشتري يوجرعا بمئة واربعين الفا . وهكذا فانه بمدة اقل من ثلاث سنين ونصف يسترد ما قد دفعه ويحتفظ بمورد سنوي قدره (٩٢٥٠٠) غرش . ان التزام جمعك ^{نفسها} سالونيك يعد من ارفع الالتزامات الا ان هناك كمرا غيرعا مريحة على ^{نفسها} كسر النسبة . فان الضرائب والاملاك الدينية الموقوفة توجر كلها وتلزم . وبهذه الوسيلة يشغل الراساليون من جميع الطبقات اموالهم في بلاد لا تنكي الصناعة والتجارة فيها لاشغال الاموال . وهذه الوسيلة ليس فيها من خطر سوى التعرض لخسارة بعض المال اذا صدف ومات احد المطرزين في اول السنتين او الثلاث من تاريخ شرائه الالتزام . وليس من الممكن ان يفقدوا التزاماتهم مدة حياتهم الا اذا صدر امر سلطاني يقضي باستعفاء كل اموالهم . وعند حصول مثل هذه الحالة فان السلطان وحده يتصرف كما يشاء بالالتزام المحجوز . فيمكنه ان يوجره سنويا او ان يديره على حسابه الخاص او تحويله الى وقف . وبما ان اهل الذمة لا يمكنهم اخذ الالتزامات فانهم لا يدخلون في هذه الاعمال

الا كمستأجرين للأموال المطرقة ويربحون بسهولة فائدة شهيرة تبلى واحدا ونصفاً واحدا اثنين
بالسنة .

فإذا كانت اموال الدولة يفسى بها من جهة لارضاء كبار الاسياد الذين لايزالون ياخذون
الالتزامات الكبيرة بالشروط القديمة فان الدولة من جهة اخرى تحاول ان تعوض هذه الخسارة برفعها
قدر الامكان ~~بالحاق~~ الطريقة الالتزامات . الا ان هذه العملية تجبر المطرزين للدور وتخرب الولايات
لكي يستردوا الايجارات الباهظة التي دفعوها . فالالتزامات التي كانت لاتدر من احمد الثالث
سوى ثلاثين او خمس وثلاثين الف عرش توغر الان باكثر من مئة وخمسين الفا . فمثلا كان يدفع
حاكم غلطة سنويا وفي ذلك الوقت (٤٠٠٠٠) قرش كقيمة التزام غذا الحي من الاستانة اما الان
فالقيمة هي (٢٠٠٠٠٠) عرش . وبما ان هناك عددا كبيرا من المقاطعات لاتمكنها حالتها المالية
من تحمل عبء الضرائب المفروضة عليها فان الدولة لكي لاتخسر شيئا من مواردها العادية اخذت
منذ عدة اعوام تضم هذه الالتزامات الباهظة الى غيرها التي تكون مريحة وتوثرها من بعض .
ان هذه الطريقة في ايجار الالتزامات تتناول ولايات بكاملها . وفعدا يوحد اثنان وعشرون
لواء وسنحقا توغر مدى الحياة لحكام يوجرونها بدورهم او يوجد يدبرها باسهم موثفون
يتخذون لقب *Vogode* اي ناظر او محصل او اعا الخ يقومون بحماية ضرائب الدولة
والرائب الخاصة للحاكم . ويطلق على هذه السناجق الاثني والعشرين اسم " مالكنه ميرى "
كما ان ثلاث ايلات توغر ايضا لباشاوات يحكمونها ويتخذون اسم " ميرى منصبي " .
اما الايرادات البرانية ا و " الظهورات " فهي :

(١) " الاموال المعجلة " التي يدفعها الشترن الجدد للالتزامات الدائمة . وموردها
ثلاثة ملايين في السنة .

(٢) ضريبة عشر الاموال المعجلة التي يدفعها من يشتري احد اسهم الالتزامات والتي
تدفع في كل مرة ينتقل السهم فيها الى شخص اخر . ومورد هذه الضريبة مليون ونصف في
السنة .

(٣) المال الذي يدفعه كل باشا من باشاوات الاطواغ الثلاثة يوم اعطائه هذا اللقب
وتسمى ضريبة الطوغ وتصل ~~الى~~ قيمتها الى (٢٢٥٠٠) عرش .
زيادة على ذلك فان السلطان يهب في غالب الاحيان لخزينة الدولة ضرائبه الخاصة

التي يأخذها من ارباح بيت ضرب النقود ومن الاموال المحجزة ومن الجزاءات النقدية المفروضة على المحكومين لتخفيف عقابهم .

وبما ان حق ضرب النقود هو احد الحقوق السلطانية ^{التي} اللذين هما من صفات الملك عند المسلمين فان اورخان ابن ^{خليفة} بطلقة مؤسس السلطنة العثمانية / امر سنة ١٣٢٨ بضرب النقود الذعبية والفضية . اما قبل ذلك فان النقود كانت تتداول في الدولة كانت نقود سلاطين السلاجقة ونقود خانات تبريز المنحوليين . وكان على النقود الجديدة شعار السلطان اورخان مع آية من القرآن . وزاد عليها السلطان محمد الثاني بعد فتح القسطنطينية اللقبين العظيمين ؛ سلطان البرين و خاقان البحرين . اى الروم ابللي والانضول والبحر الابيض والاسود . وقد سار خلفاؤه من بعده على ضواله وتسموا بهما .

وكانت الدولة سابقا تضرب النقود في عدة مدن مثل ادرنه والقاهرة وازمير وارضروم وغيرها . وان وجود هذه الامكة لضرب النقود لتأمين الدراهم اللازمة للمداولة في انحاء البلاد تعفي الدولة من مصاريف نقليات السبائك وقطع النقود . حتى انه كان يسمح للقواد وروساء الجيوش وخصوصا في الحروب ضد بلاد العجم بضرب النقود في المدن التي يجعلونها مركز القيادة العامة وذلك لتأمين دفع رواتب الحند وتأمين مصاريف الحملة . الا ان هذا سبب عشا كبيرا اذ زيفت النقود في كل الجهات مما ادى الى حصول اضطرابات سيئه في اوقات كثيرة . ولهذا فانه منذ زمن السلطان محمود الاول لم يبق في كل الدولة سوى مركز واحد لضرب النقود كائن في السراي السلطانية . ويقوم المكلفون باستخراج المعادن بتقديم الذهب والفضة اللازمين لذلك ^{لهم} ان يقدموا للدولة كل المعادن الثمينة التي يستخرجونها مقابل اسعار اقل بكثير مما تسوى الامر الذي يؤمن للسلطان ربح اكثر من ثلاثين بالمئة . الا انهم يجدون الوسيلة لتعويض ما خسروه بسبب هذه الشروط المجحفة . وذلك بان يخفوا تقسما من المعادن الثمينة التي يستخرجونها ، ويعلم مراقبي المناجم الذين تعينهم الدولة لاستلام الذهب والفضة ان يخضن النظر لقاء اجر معلوم . ولغنى المناجم هي خاجم " ارغاني بيبان " في ولاية ديار بكر ومناجم " غوموش خاتة " قرب طربزون . ويؤلف المكان الذي يوجد فيه النجمان الاولان لواء خاصا يرأسه مدير المعادن " المعدن ايشي " الا ان الباب العالي وضعهما

حديثا تحت ادارة باشا سيولس . اما مناحم الفضة في " عوموثر خانة " ومناحم النحاس في Kure في ولاية طرizon فانهما تحت اشراف مدير خاص . ويشغل ملتزمو مناحم النحاس ضمن شروط افضل من غيرهم . اذ يمكنهم بعد تقديم النحاس اللازم للدولة (ويكون ذلك بسعر محدود وبقيمة ضئيلة جدا) بيع ما يزيد عندهم . ولذا فان مناحم النحاس تعدن اكثر من مناحم الذهب والفضة . وان هذه الطريقة في وضع الضرائب تعوق استخراج الثروات من بطن الارض وتجعل سكان الولايات التي توجد فيها هذه المعادن يحرمون عن استخراج شي منها بسبب الضرائب التي تفرض عليهم من جراء ذلك .

ويشرف على سحب النقود وكيل عام يسمى " ضرب خانة اميني " يشغل تحت امرته اثنا عشر رئيسا وخمسة عامل تقريبا . ويراقب هذه الاعمال كاتب من دائرة المالية الثانية " بلش محاسبة " يحفظ معه دفتر حسابات يقيدها ما سحب من النقود . ويرجع السلطان سنويا من دار ضرب النقود ما يقارب المليون يهد منه العشر للوكيل . الا ان النقود التي ضرت منذ حكم مصطفى الثالث هي ضئيلة القيمة . والكمية قليلة في الدولة بسبب المبالى العظيمة التي تصرف كل سنة على الحج وعلى البضائع الهندية وعلى تجارة القرا الروسية . ويدعي الاقتصاديون العثمانيون ان هذه المصاريف الثلاثة تسحب من البلاد سنويا عشرين مليون غرش تقريبا معظمها من العملة الذهبية . والفندقلي هو النوع الذي يفضل على غيره ويسمى " زرمحبوب " ين ٢ Hekle وكان يساوي في الاصل قرشين وثلاثة ارباع اما الان فيساوي خمسة قرشين .

ان واردات الدولة العادية والبرانية تصل سنويا الى خمس وثلاثين مليون قرش يذهب نصفها تقريبا الى الخزينة اما النصف الاخر المخصص لتغطية المصاريف المحلية والجارية فانه يذهب الى حوالات ويوضع على مختلف فروع الواردات . فوكيل السراي يتناول مبلغا محدودا قيمته (٥٠٠٠٠٠)

(٨٥٠٠٠٠) غرش في السنة لمصاريف قسم من حاشية السلطان . ومبلغا اخر قدره - (٩٠٠٠٠٠) غرش لتأمين مصاريف السراي القديمة ومبلغا ثالثا قدره (٢٥٠٠٠٠٠) غرش لمصاريف قصر الخدم والعلماء في علطة . ويعين لوكيل مطابخ السراي مبلغ (٩٠٠٠٠٠٠) غرش . ولوكيل الاسطبلات (٣٠٠٠٠٠٠) ومثلها لوكيل لحوم المسالخ . ويعين مثل هذا المبلغ لوكيل امانة البحر ويعين لمدير البريد الذي يسير على الجياد (٢٤٨٠٠٠) غرش وتخصص دائرة حمراء

الاستانة الكبرى سنويا لرئيس الخصران السود مبلغ (٦٦٠٠٠٠) عرش لمصاريف الحرم السلطاني
ومبلغا ~~م~~ ثانيا قدره (١٥٤٥٠٠) عرش تخصص لدفع المصلحات الممنوحة للموظفين الطائفين
في السن وللازامل والايام الخ ٠٠٠٠ وتعين له امانة حصر الدخان ~~للكل~~ ^{عنه} للسبب (٣٧٥٠٠٠)
عرش . مع العلم بان كل ولاية تدفع منها مباشرة مصاريفها الخاصة .

ان مصاريف الدولة العادية لا تتعدى قط في اوقات السلم الثلاثين مليون قرش التي
تصرف كرواتب للمساكن البرية والبحرية ولمصاريف البلاط السلطاني . اما بقية مصاريف الدولة فانها
تغطي بوسائل مختلفة . فيخصم ربح الاملاك للسلطنة الوالد وللامراء والاميرات اولاد السلطان .
ويسحب المصدر الاعظم وامير البحر وحكام الولايات وارادات الاراضي المخصصة لهم . اما الاقطاعات
العسكرية (الزعامة والتمار) فانها تخصص لمصاريف الخيالة . وتعصى هذه الاقطاعات لعدد
كبير من الموظفين بدلا من الرواتب . ولا تصرف الدولة شيئا على رجال الدين وعلى القضاة .
اذ ان اموال الاوقاف تخصص لمصاريف المساجد والشيخ القائمين عليها . وبما ان القضاة محرومون
من اي راتب محدد فان لهم حقوقا شرعية على الاعمال القضائية يسمح لهم بتناولها . ولا يتناول
الموظفون المدنيين من رتبة وزير حتى ايسر كاتب دائرة راتبا معينا . انما يعينون ما ينتفعون
به من مدخول منصبهم ولا يشذ عن ذلك سوى اعضاء الديوان الثلاثة لان وظيفتهم قليلة الربح
ومع ذلك فان رواتبهم ضئيلة جدا . فالنيشنجي يتناول / ٦٦٢٠ / قرشا والدفتردار الثاني ~~الفرانج~~
/ ٢٣٢٣ / والدفتردار الثالث / ١٦٦٦ / . اما المساعدات المالية فانها لا تكلف الدولة كثيرا اذ
لا يعطى منها شيء . اذ لقسم قليل من الموظفين القديما الفقير الحال . فالوزير المعزول لا يتناول
في السنة غير خمسة او ستة الاف عرش . والفتي المعزول (٣٠٤٢) والقاضي عسكري خمس مئة .

ان الواردات والمصاريف تنظم حسب السنة القمرية الا في حالتين وهما (١) الاعشار المفروضة
على ثمار الارض (٢) ودفع رواتب المساكن البحرية والحاميات التي ترابط في الولايات . وبما ان
الاعشار ~~مؤقتة~~ تؤجر من شهر اذار الى شهر اذار ويخصم مودها لرواتب الجند فان الدولة
بدأت في سنة ١٧٤١ اعضاء رواتب قسم من المساكن حسب السنة الشمسية . وتابعت هذه
العملية بصورة غير محسوسة الى ان اصبحت اليوم تدفع رواتب الجنود البحرية والحاميات ~~لها~~
تقريبا الموحدة ~~في~~ خارج العاصمة حسب السنة الشمسية . الامر الذي يوفر عليها راتب احد عشر

بوما في السنة لكل شخص مع العلم بانها تستوفي الضرائب حسب السنة القمرية .
كانت واردات الدولة في زمن السلطان محمد الثاني تكاد تصل الى عشرة ملايين قرش .
وبلغت في زمن سليمان الاول ستاوعشرين مليونا وتم تكن زمن محمد الرابع سور عشرين مليوناً .
وهذه الواردات ضخمة في ايام الحرب لتغطية المصاريف الباهظة . اما الامدادات
التي ترجع لها في مثل هذه الحال هي : (١) التعويض او البديل المالي الذي يدفعه
اصحاب الاقطاعات العسكرية الذين يستثنون من دفع بدل الطريق (٢) ضريبة عشر الاموال المعجلة
التي يدفعها اصحاب الالتزامات (٣) الاموال التي تستدينها من الولايات . وجعلت الدولة لها
الحق في شراء المواد اللازمة للجيش باسعار ضخمة جداً وقد دعت هذه الاسعار سابقاً
باسم : " اسعار اميرية " .

طعن الذين يقولون

وبما ان الامة ترفض دفع اية ضريبة مباشرة غير التي يسمح بها الشرع فان الحكومة لا يمكنها
الاستدانة او اخراج اوراق مالية لذلك فانهما تستعمل الدولة عندما تفتقر الى المال لتحصيل ما
يعوزها منه . وتسمح الدولة وقت ذاك بفرض ضرائب على المدن والاراضي تسمى ضريبة الحرب
تجبي بقوة السلاح . وتفرض على اصحاب البيوتات المالية وعلى الملاكين والموظفين على اختلاف
طبقاتهم دفع مبالغ حسب حالتهم المالية او الاخرى حسب اهمية رجال السلطة وتفرض عقوبات
صارمة على او مخالفة بسيطة . واذا احتاجت الدولة للمال بصورة مستعجلة فانهما تخضع ملتزمي
الضرائب فوائد جمة ليتقدموا لها المال قبل الاوقات المعينة .

ان حروباً عديدة صنعت السلاطين تقريباً دائماً من ادخار الاموال في الخزانة . ولقد قتل
بان كل حرب تكلف من عشرة ملايين الى اثني عشر مليون قرش . وعلى اثر سلم دام عدة سنين
استطاع السلطان محمود الاول قبل وفاته ان يترك في الخزانة خمسة عشر مليوناً . وضاعف
مصطفى الثالث وهو سلطان مقتصد هذا المبلغ الا انه صرفه على اثر حرب خاسرة مع الروس .
ولما اعوزته الحاجة استعمل عرقاً معيبة منها تزوير النقود مما ادر عام ١٧٧١ الى ان تتدنس
اثني وعشرين بالعملة تقريباً قيمتها الاعلى . وقد اعيدت هذه العملية الشائنة مرتين او ثلاث
من قبل خلفائه الى ان اصبحت النقود الان ~~تلك~~ تساوي نصف ما كانت عليه تقريباً
ان خزانة الدولة تسمى ايضا اموال المسلمين حسب القول القديم المذكور في الشرع وهي

منفصلة عن خزينة السلطان الخاصة الا ان حساب هاتين الخزينتين مفتوح عند الحاجة منذ اكثر من قرنين .
ففي ايام الضيق يقدم السلطان المال للدولة من خزنته حسب سند يراه القاضيا عسكري ومضيه
الصدر الاعظم والدفتردار الاول . وقد ارتفعت هذه الديون الان الى اكثر من اثنين واربعين مليونا
ويحتفظ السلاطين دائما بحق تكرار الدين عندما يشاؤون . واذا تغطت في اخر السنة كل
المصاريف وبقي شيء في خزينة الدولة فان السلطان يأخذ من خزنته . وعلى الدولة ايضا دين
مليون ونصف لخزينة الاوقاف التي يشرف على ادارتها رئيس الخصيان السود وهذه الخزينة التي
تسمى عندهم " دولاب " تحفظ في السراي كما تحفظ خزينة الدولة وخزينة السلطان .
وبما ان الدولة لا تمتددين قط من اي كان فان ليس عليها غير هذه الديون التي ذكرناها
ولها بالعكس ديون تقدر بعدة ملايين وهي نقايا ما يجب ان يدفعه الملتزمون الذين تمهلهم
الدولة ان ارادوا مدة سنة لدفع ما يترتب عليهم . منهم كبار رجال البلاط والوزراء والعلماء
حيث يراعىهم الدفتردار مستعملا معهم لبايا خاصة .

الفصل الثاني

دائرة المالية

ان ادارة مالية الدولة لم يكن لها في اول عهد السلطنة سوى رئيس واحد وهو
الدفتردار . الا ان بيابريد الثاني عين له ا رئيسا ثانيا . فكان الاول يدير مالية ولايات
الدولة ~~التي~~ في الذرة الاوربية والثاني ~~التي~~ في اسيا الصغرى واصبح يعرف الاول بدفتردار
الروملي والثاني بدفتردار الاناضول . وقد عين السلطان سليم الاول رئيسا ثالثا لادارة
مالية الشام ومصر وديار بكر التي يضمها تحت يوانه . وعين اسطصا سليمان الاول رئيسا
رابعا لبلاد المحر والولايات التي على نهر الدانوب . وكان لكل حكومة دفتردارها الخاص
ضمن السلطان سليم الثاني ومراد الثالث الا ان السرفات التي قام بها عمال المالية هؤلاء ادت
الى ابطال خاضبهم كما ابطال بعد ضياع بلاد المحر منصب الدفتردار الرابع الذي كان مركزه
في الاستانة . فلم يبق سوى ثلاثة يتراس اعلاهما رتبة ادارة مالية الدولة . وظل الاثنان

الباقين اسماً فقط حتى زمن سليم الثالث الذي عين لهما بعض الاعمال .
ان الدفتر دار الاول وزير المالية ورئيس الخزينة هو من اعضاء الديوان . فتجنيبه
مساء كل يوم الاخبار عن اعمال الخزينة ويمرر بدوره الحالة للصدر الاعظم مرتين او ثلاث
في الاسبوع . وترتب عليه ان ياخذ اوامر الصدر الاعظم في كل اشؤون استعلقة بالدفع .
ويجب ان تكون على الاوامر او " البطاقات الابدية " المرسلة الى ضايق الدفع نوبتها الدفتر دار
الاول والصدر الاعظم . ولكن بالرغم من تحقيق وموافاة هذه الاصول فانه يتعلق ايضا بوزير
المال دفع كل او بعض المبلغ الذي سيخرج من الخزينة .

ومن اهم الامور التي تعنى بها الدفتر دار الاول هو السهر على دفع فترتات الخنود
المرابطين في العاصمة ثلاث مرات في السنة وفي الاوقات المحددة ^{لها} ~~للملك~~ واي تاير او دفع
غير كامل يمكن ان سبب هيجان الخنود ~~للملك~~ ^{للملك} ~~بمبعضه~~ قلاقل في العاصمة كما يعللنا التاريخ
على امثلة كثيرة من هذا القبيل . ويكون الدفتر دار اول نسخة لغضبه لهذا فانه يهتف كثيرا اكثر
من اي شخص اخر ان يضيع حصول مثل هذا الحادث . وهو يبدي مثل هذا الاهتمام في حث
كبار الشخصيات كي تدفع ما عليها للخرينة في مثل تلك الاوقات .

وعويدير ايضا قسما من واردات السلطان الخاصة وعلى الاخر تلك التي تاتي عن طريق
استصفاة اموال الرعية . وهو لا يتناول ارب راتب معين وتتلف ما عتبه من الضرائب التي له على
كل الامراق الصادرة عن دائرته . ويشغل تحت امرته خمسة من كبار الموظفين :

(١) " الباش باقي قولي " يقوم بتحصيل ديون الدولة يساعدته ستون حاجبا لانذار وجس
الاشخام المدينين للدولة .

(٢) " الحزبة باش باقي قولي " يقوم ~~بالحكم~~ ^{بمهمة} بموظيفة ~~الاول~~ ^{فقط} ولكن ~~فقط~~ ^{فقط} نحو مطرقي الحزبة فقط .

(٣) " ~~للموظف~~ ^{للموظف} الوزندار باشي يشرف على الاموال الداخلة الى الخزينة والخارجة منها . يامر

على اربعين وزنا يفحصون ~~الاشخام~~ ^{الاشخام} ~~ويزنون~~ ^{ويزنون} الذهب الخ

(٤) " السرغي ناظري "

(٥) " السرغي كلفه سي "

يقوم هذان الموظفان بتسجيل اعمال الخزينة الحداية . وتتالف دائرة المالية من خمس
وعشرين مكلبا او قلما يدبر كل واحد منها رئيس خاير يحمل لقب " خوجميان " ويكون مركزه

كل هذه المكاتب في قصر وزير المال وهي :

(١) "اليوم روزنامة" أي دفتر الحسابات الكيسر وهو مستودع عام لسجلات المقبوضات والمدفوعات . تأتجه كل يوم مذكرة عن أعمال الخزينة . وتقدم بقية المكاتب لهذا المكتب ملخصا عن أعمالها . لهذا السبب فانه يدعى "المكتب الكبير" أو "الميزان" وتوضع كل سنة أو كل ستة أشهر خلاصة محملة عن حالة الخزينة الداخلية تحسب بعدد الأكياش التي فيها . وههناك ثلاثة أنواع من الأكياش . الأول وهو أكثر استعمالا يحوى على خمسة قرش ويسمى بالكيس الرومي . والثاني هو كيس الديوان يحوى على (٤١٦) قرشا وثلاثي القرش اما الثالث وهو الكيس المصري ويسمى كذلك لانه لا يستعمل الا في بلاد مصر فقيمته (٦٢٠) قرشا . وتقدم بقية دوائر المالية كما تقدم الخزينة أيضا حساباتها بالبارات والقروش وال $yuks$ ويساوى القرش مائة وعشرين بارة . ومائة الف بارة تساوى yuk أو (٨٣٣) قرشا وثلاث القرش .

(٢) البائر محاسبة " أي مكتب المحاسبات العامة . تحفظ فيه سجلات (١) المعدات الحربية (٢) الالتزامات السنوية والدائمة (٣) خراج الولايات (٤) مرتبات جنود الحاميات المربطة على الحدود (٥) المصاريف المتعلقة بوكيل القصر وبوكيل البحرية وبوكيل معمل صنع الكبريت المدافع وبوكيل معامل صنع البارود . وهو أيضا مستودع عقود المؤن التي على حساب الدولة . ويقوم هذا المكتب أيضا بفحص حسابات الأموال التي بذمة الخزينة كما يقوم باصدار الأوامر لدفعها .

(٣) - مكتب محاسبات الانضول . تحفظ فيه السجلات المتعلقة بخلاف الالتزامات ومرتبات الجنود المربطة في الجزر وسجلات أموال التقليد المعطاة للأقدمين في خدمة الدولة الخ

ان رؤساء هذه المكاتب الثلاث هم كما ذكرنا سابقا من أعضاء مجلس شورى الدولة

كما هم أيضا "الخوحدات" الخمسة الذين هم من القسم الاول .

(٤) - "الصواري مقابلة" أو مكتب تفتيش الخيالة . يقوم بترتيب أعمال الفرسان ووضع مرتبات موظفي حاشية السلطان المعروفين باسم لغاوات القصر الداخلي ومرتبات الرحال الذين

يخدمون في اسطبلي السلطان ومراتب حجاب القصر .

(٥) مكتب عساكر السباهية

(٦) - - - - - السلاحدارية

صوف

ان عذنين المكبيين يقدمان بطاقات/النقود لعساكر هاتين الفرقتين . وعلى عذنه البطاقات ان تكون مصححة من قبل رئيس المكتب الرابع الذي يوقع من اجل ذلك على كل ورقة بالحبر الاحمر حرف الميم مشبرا الى كلمة " مسطور " اي موافق . لكل واحدة من البطاقات الاربعة المضمومة الى فرقتي السباهية والسلاحدارية مكتب خاص يؤمن لها ارسال بطاقات الصرف ~~وهو~~ وهو في قصر اغاواتها ~~نفسه~~ .

(٧) مكتب محاسبات الحرمين اي مكة والمدينة . تحفظ فيه المجلات المتعلقة باوقاف الحوامع السلطانية ومراتب المشايخ الذين يخدمون فيها وبالاُملاك الراجع واردها لمدينتي مكة والمدينة سواء كانت في العاصمة او في الولايات الاوربية من ضمنها ايضا تلك الاملاك التي تؤجر بالالتزام . وتصدر عن هذا المكتب ايضا مذكرات تعيين رجال الدين في المناصب الدينية سواء كان ذلك في الاستانة ام في الروم ايلي وعليهم ان يقدموا هذه المذكرات للمكتب العاشر لكي يحصلوا على قوار تعيينهم .

(٨) مكتب محاسبات الحزبة هو مستودع لائحات هذه البضريبة الخاصة . وتظهر في كل سنة البطاقات التي تسمح بحيازة هذه الضريبة .

(٩) مكتب المكوس او مكتب الموقوفات تتعلق به كل الضرائب المسماة " عوارض " وبدل نزول " وكل المخازن القريبة من الحدود . والضرائب التي تدفعها الولايات في وقت الحرب ولوازم الاعانة المقدمة للعساكر المحاربة وما تنححه الدولة من مؤونة وعلف ونقود للباشاوات والقواد والموظفين المدنيين الذين يلتحقون بالجيش الذاهبة للحرب .

تتمدد

(١٠) مكتب المالية وهو بمثابة قلم استشارية هذه الدائرة . ترسل اليه قرارات رؤساء الدين والموظفين الذين يديرون الاوقاف والاشخاص الذين حصلوا على اعانات من موارد هذه الامكة الدينية . وتدوين في هذا المكتب ايضا المراسيم المتعلقة بالشؤون المالية والتي تحمل شعار السلطان وتوقيع الدفتردار الاول .

- (١١) مكتب " الروزانة " الصغير مخصص للأعمال المتعلقة بمرتبات رؤساء الحجاب وماعيات العساكر البحرية .
- (١٢) مكتب مراقبة العساكر المشاة وهي الانكسارية والحبجية والطوبجية والطوبعرجية . ويراقب في هذا المكتب اوراق صرف مرتبات الجنود التي يعطيها رؤساء هذه الفرق الاربعة اي كما هو جار في المكتب الرابع نحو اوراق صرف مرتبات الخيالة .
- (١٣) مكتب محاسبات الاوقاف الصغير . تحفظ فيه اوراق المرتبات التقاعدية المخصصة للأشخاص الذين يخدمون في المؤسسات الخيرية .
- (١٤) مكتب الحصون الكبير وهو مستودع عام لقائمة الحاميات وللعساكر المرابطة في الولايات التي تعمل احيانا في الحصون وعلى الاخص تلك التي هي واقعة على نهر الدانوب .
- (١٥) مكتب الحصون الصغير هو مستودع قائمة جنود الولايات الذين يعدون لتقوية الحاميات المرابطة في البانيا والمورة .
- (١٦) مكتب التزامات الضاحم . يقوم بالأعمال التي تتعلق :
- (١) بخراج الافلاق والبغدان (٢) بخراج قبائل البوهيميين (٣) بمناجم الذهب والفضة .
 - (٤) بالرسم المفروضة على زراعة الدخان (٥٠) بمكوس الترانزيت التي على الدخان (٦) برسم جمارك لشهر مدن الروم ايلي وضوا الاستانة .
- (١٧) مكتب المرتبات اي تلك المعطاة لموظفي الدولة .
- (١٨) مكتب التزامات الاملاء . تحفظ فيه التفاصيل المتعلقة بالتزامات الاملاء المقطوعة للسلطات او المعينة للصدر الاعظم وللباشاوات الخ ... لمصاريفهم .
- (١٩) المكتب الرئيسي للالتزامات . تتعلق به :
- (١) الالتزامات التي في الاقضية السماة " نظارة " مثل سيلستريا وروسجوك وغيرها (٢) التزام الضرائب التي على الارز في فليبيوبوليس وطوسيا وتتر بازارى وغيرها .
 - (٣) التزام التزام ملاحات صيد والونيك وغيرها (٤) التزام الصيد في البحر الاسود والابيض (٥) التزام الاحراج والعميات .
- (٢٠) مكتب التزامات مدينتي مكة والمدينة يبحث فيما يتعلق بالاوقاف وبرجال الدين في بلاد الاناضول كما هو الحال في المكتب السابع فيما يتعلق ببلاد الروم ايلي .
- (٢١) مكتب التزامات الاستانة . تتعلق فيه تعيين العاصمة وادرنه والتزامات سالونيك ولاريسا

وطرخله . كما ينظر في امر الضرائب المفروضة على الحرير الذي تنتجه الدولة والرسم المفروضة على المصنوعات الذهبية والفضية .

(٢٢) مكتب التزامات بروسه . ينظر في التزامات ولاية خودفنديكار التي عاصمتها بروسه .

(٢٣) مكتب التزامات Avloniya الذي يضم اليه ايضا التزامات Negrepont

(٢٤) مكتب التزامات " قافا " . الذي لا ينظر الان الا في التزامات عدد من مقاطعات الانضول .

(٢٥) مكتب التواريخ . توضع فيه كل اوراق الدولة الصادرة عن بقية المكاتب كما تدون الحوادث التي تعطيها الدولة لدائيتها على مختلف فروع وارداتها .

هذا هو وصف هذه الدائرة الواسعة التي يشتغل فيها اكثر من سبع مائة كاتب . ويعمل في كل مكتب من المكاتب الثلاثة الاولى ستة وخمسون كاتباً تقريباً . وفي كل مكتب عدد من كبار الكتاب يسمى Khalfas ورئيس يسمى Kudsudر مدير العمل . وقدام الاوراق لرئيس الدائرة " الخوجقيان " ليوقع عليها هو والوزير . ويحرر الاخبار الرسمية المتعلقة بشؤون مكبه .

يرجع تنظيم هذه الدائرة الى زمن حكم السلطان محمد الثاني . ان حصول فروع جديدة

للدائرة ادت بصورة متتابعة لانشاء سبعة مكاتب في ايام سليم الاول وسليمان الاول واحمد الثاني ولكي لا يفسدون شيئا من التقسيم القديم فانهم الحقوا هذه المكاتب الجديدة بتلك التي كانت موحدة واغلقوا على رؤسائها لقب Khalfas

وهذه المكاتب هي : (١) المالكة خلفه سي . لمراقبة الالتزامات الدائمية (٢) " الزمة " لدين الدولة (٣) " المخلقات " للاموال المستغاة ولتلك التي ليس لها اوريد والراجعة الى السلطان وقد الحقت هذه المكاتب الثلاث بالمكتب الثاني " بائرمحاسبة (٤) " القلمية " ومقدارها عشرة بالمئة على الالتزامات الدائمية . (٥) " المنزل " لسيبر الذي يسير على الحياد . (٦) " عدد اغنام " لالتزامات ضريبة البهائم . وقد الحقت هذه المكاتب الثلاثة بالمكتب الرابع التاسع (٧) " البيسكوبوس " خلفه سي " يبحث فيما يتعلق بكنايس واديرة المسيحيين . وهو ملحق بالمكتب العاشر .

ويوجد ايضا غير هذه المكاتب مكتب خاص تحت اسم " اوضة " اي عرفة وهو امانة سر الوزارة يديره " " خوجقيان " يحمل لقب " مكتوبحي " اي امين السرة . ويقوم هذا المكتب بثلاثة اعمال وهي : (١) مراسلات الوزير العامة (٢) مذكراته وتقاريره للدولة (٣) اصدار عقود التزامات الاملاك الدائمية او التزامات بقية فروع موارد الدولة .

ودائرة المالية محكمة امهرة يحمل قاضيهما لقب "ميرى كاتبي" ويعين من قبل قاضي عسكر
الروم اليدي . وهو يفصل في كل الخصاصات القائمة بين الدولة وبين الناس . .
وتتألف هذه الخصاصات بصورة خاصة عن مطالب الاشخاص الذين يهتمون بالشؤون المالية
المتعلقة بالمترمين المتوفين . او عن الاشخاص الذين استصفيت اموالهم . ويقوم جابي الضرائب العام
باعدال نائب المالية امام هذه المحكمة . ان السرائب القضائية التي تاخذها هذه المحكمة كبيرة
حدا يتناول القاضي خمسها يذهب الباقي للقاضي عسكر الذر عنه .
وتدعى مكاتب دائرة المالية والباب العالي ومكتب السجلات القديمة (دفترخانه) تحميذا
عن غيرها بالمكاتب الهمايونية (اقلام باديشاهي) .

الباب السادس

الولايات

فرض السلاطين العثمانيون في الاراضي المحتلة الخراج على اهل السكان المسلمين واليهود وقد ثبتوا ملكية هولاء فيها . ويتألف هذا الخراج كما قد ذكرنا قبلا اما من ضريبة محدودة او من قسم من منتوجات الارض يتراوح بين ^{نصف الميراث} ~~واحد~~ ^{واحد} ~~والثلاثة~~ . اما اراضي المسلمين فانها لا تدفع غير الاعشار . وكل هذه الضرائب التي ذكرناها مطابقة لما جاء به الشرع الاسلامي . وهناك نوع من الاراضي ملحقه بالاراضي المستملكة يخسر اصحابها حقوقهم فيها اذا حاولوا التصرف بها دون ان يورثوها لاولادهم . من عنا تاتي الاقسام الثلاثة للاراضي وهي : اراضي الخراج . والاراضي العشرية . واراضي الدولة . وتدعى هذه الاخيرة " ارض ملكي " .

وقد وزعت اراضي الدولة على رجال عسكريين وعلى موظفين مدنيين ايضا وتكون فائدتهم منها في اخذ الضرائب التي يدفعها العمال الذين يشتغلون في هذه الاراضي . ويكون خضوع هولاء الاخيرين لهم خضوع العبد للسيد . اما فائدة الدولة فتكون في انه يتوجب على من وزعت عليهم اراضي الدولة ان يهودوا الخدمة العسكرية ولكن بحرسان وان يكون معهم عدد ما من الفرسان المسلحين يتناسب بقيمة الاقطاع المعطى لهم . ويطلق اسم " زعامة " على الاراضي التي يربو مدخلها على العشر من الف بارة اما بقية الاراضي فتدعى " تيمار " . ويخضع اصحابها الذين يسمون سباه " او فرسان " للصوياشي " وهو رئيس الناحية التي توجد فيها الاراضي الاقطاعية . ويخضع كثيرون من هولاء الرؤساء لموظف اعلى رتبة يسمى " الاي بك " وهولاء يخضعون بدورهم لرئيس الولاية " السنجق بك " او امير اللواء " . ولكل هولاء الموظفين اراض اقطاعية ايضا وهم مقابل ذلك يسبغون الدار الحرب مع فرسان مسلحين . اما في اوقات السلم فانهم يقومون بحفظ الامن في الولاية تحت رئاسة الحاكم .

وقد قسمت الاراضي العثمانية زمن اول السلاطين الستة الى مقاطعات صغيرة تسمى : " لواء " او سنجق " اي علم . ويسمى رؤساؤها " امير اللواء " او سنجق بك " وتخضع الدولة " طوغا " اي ذنب جواد كاشارة خاصة للقيادة . وهم يخضعون لحاكمين عامين يسميان الاول

للروم ايلي الثاني للاستولوعما ايمان بطلاق على كل اراضي الدولة العثمانية ~~الكاتبة~~ في
 اوروبا وفي اسبانيا . وكان مركز الحاكم الاول في موستير او صوفيا في بلاد الصرب . اما الحاكم
 الثاني فقد كان يقيم بادي . الامر في انقرة ثم اقام بعد ذلك في ^{مكنا} كوتاييف ~~تمنع الدولة~~
 لقب " بكريك " او ميرميران " ومعناها امير الامراء او حاكم الحكام . ويكونان من اصحاب
 الطمعين او الثلاث الاعلواغ (١) وكان اللالا شامعين اول خزان عثمانى حصل على هذا اللقب مع
 رتبة الباشاوية عام ١٣٦٢ . وقد عين تيمورتاش اول " بكريك " لارض الروم ايلي عام ١٢٧٦ .
 ولقد زار محمد الثاني بعد فتح القسطنطينية عدد الباشاوات اي الحكام اصحاب الطمعين
 او الثلاثة . واخذ خلفاؤه من بعده يزيدون عددهم تدريجيا كلما توسعت اراضي الدولة
 بسبب فتوحاتهم الا انه حصل ترتيب جديد بهذا الخصوص زمن حكم مراد الثالث (١٥٧٤-١٥٩٥)
 وذلك ان هذا السلطان قسم الدولة الى مقاطعات كبيرة او الى " ايالات " تتألف كل واحدة منها
 من عدد من " اللوية " واعطي لحكام الايالات الدارين لقب وزير ولقب باشا من اصحاب الثلاثة
 الاعلواغ كما رقي حكام اللوية الى رتبة ميرميران او باشا من اصحاب الطمعين . وبغير الوقت
 اصبحت هذه المناصب المالية لاتمنح الا لمدة محدودة . فكانت في بادي الامر لثلاث سنين
 ثم انقضت الى سنتين الى ان اصبحت اخيرا سنة واحدة . فكانت الدولة من ناحية تزيد من نفوذ
 سيطرة هؤلاء الحكام وكانت من ناحية ثانية بفضل هذا الترتيب الاخير تتلاقى ازدياد قوتهم
 اكثر من اللازم بسبب حكمهم ~~نفس~~ ^{نفس} الولاية لمدة طويلة . الا ان المؤرخين العثمانيين كانوا يرجعون
 اسباب هذه الترتيبات الى عدم جدارة الوزراء والحكام او بالاحرى الى اضعافهم الزائدة اذ كانت
 تسبب لهم هذه التغييرات العديدة مorda كبيرا .

ونحن لانر هنا فائدة في ذكر التغييرات التي حصلت في هذه الناحية من الادارة
 الحكومية زمن بعض السلاطين انما تكفي بذكر تقسيمات البلاد العثمانية كما هي عليه الان مشهور
 فقط الى انما كانت مؤلفة من اربع واربعين ايالة ومئتين وعشرين لواء عندما كانت بلاد اليمن
 والمجر وترانسلفانيا وجورجيا وسرقاسيا وداعستان وشرقان واذريجان الخ . . . من ضمن ممتلكاتها
 اما في الوقت الحاضر فان الدولة مقسمة الى ست وعشرين ايالة مؤلفة من مئة وثلاثة
 وستين لواء . وتتألف هذه ايضا من الف وثمان مئة قضاة . وتختلف هذه الايالات كثيرا

(١) كان عثمان الاول بكرياء في خدمته في بادي الثاني احد سلاطين السلاجقة في قونية ~~الورقاء~~ ^{الورقاء} الى هذه الحقبة
 الائمة

من بعضها في نسبة مساحتها وعدد الويتها . ويحكم حاكم الولاية بنفسه اللواء الذي جعله مركزه
اما بقية الويتة الاربعة فانه يحكمها من قبله حكام من مختلف الدرجات يحملون اما لقب وزير او
باشا من ذوي الثلاث الانواع او لقب ميرسيران او باشا من ذوي الطوفين او يدعون فقط باسم
متسلم او محصل الخ . . . ويطلق اسم " باشا" على الاولوية التي يحكمها باشاوات وعددها
اثنا عشر . . . يمتاز حاكم الولاية والافضل عن غيرهما بلقب " بكريه" كما انهما يحتفظان
بتقدمهما على بقية الباشاوات ويرجع هذا التقدم الى عهد بعيد . فيحكمان في اوقات الحرب جيوش
الولايات فواحد يحكم جيوش اسيا والثاني جيوش اوروبا .

ويحصل حكام الايالات على مصاريفهم من موارد الاقطاعات المتروكة تحت تصرفهم والكافة
في اللوا الذي يحملونه مركز حكامهم . **ملاحظة** على ذلك فان الباب العالي يعين كل سنة
لمعلمهم موارد لوائين او ثلاثة من الويتة الايالات التي يحكمونها . فالما بوا حروندا او بديرها
باسمهم موظفون يطلق عليهم لقب متسلم . وهكذا فانه يخصم لهم جميعا ارباوسين لواء . وعدا
ذلك فان الباشاوات يتناولون ضريبة من كل الاولوية الخاضعة لهم فتصل في اوقات السلم الى الف
او الف ومئتي قرش للواء الواحد والى ضعف هذا المبلغ في اوقات الحرب . ويدفع كل لواء عدا ذلك
نصف هذا المبلغ لحاكمه الخاص . ولكن يترتب على الباشاوات الذين لا يدعون الى الحرب دفع
نصف ضريبة الحرب هذه الى الدولة .

وهناك اثنا عشر لواء تعطى التزاماتها مدة الحياة ولهذا السبب فانها تسمى :
" مالكانه ميرى " . ويمكن لهؤلاء المتزامين ان يحكموها بانفسهم كما يشاؤون او ان يديرها غيرهم
باسمهم او تاجيرها ثانية . ولا يتخذ من جنوب عندهم سوى لقب *Voyvode* الا ان نائب لواء *Mitelan*
يسمى " ناظرا " . وان سميرا من هذه الاولوية يديرها باشاوات . وتستفيد الدولة من هذه
العملية في انها تتناول مبلغا من المال في كل مرة بباع فيها الالتزام بالمزاد العلني . الا
انها امتنعت من اخذ العساكر التي كانت تقدمها فيما مضى هذه الاولوية زمن الحرب كما تفعل بقية
الويتة الدولة .

وتعطى في كل سنة التزامات ثلاثة الويتة الكبرى وهي الويتة " البوسنة والمورى وعابدين ايلي
للحكام العامين الذين تدخل هذه الاولوية ضمن سيطرتهم . اما المبالغ التي يدفعونها في كل
مرة بتجدد الاجار فهي : (٥٢٠٠٠) قرش للواء الاول و (١٠٠٠٠) للثاني و (٧٥٠٠٠)

لذلك . وتتراى الدولة لهم مورد كبير من الضرائب التي لها على هذه الالوية . ويمكننا القول بان مواردهم هي اكبر من موارد بقية الحكام .

ان لوائي عليبولي وحزيرة رودس تعطيان لسكوات من تواد السفن الحربية . اما حكم لواء " ارناي " في ديار بكر فهو لا يزال حتى ايامنا هذه من حقوق مدير مناخم هذه المقاطعة وتعطى جزيرة قبرص للصدر الاعظم ويتخذ الوظيف الذي يلتزمها منه لقب " محصل " ويصير لامير البحر الثلاث والشارشين جزيرة التي في بحراجه والتي تولف لواء واحدا موجرة لعدد من المسلمين . وتسمى اياته الحزائر وعي تتالف من كل الجير للهو عدا جزيرة كاديا ومن اغلب ممتلكات الدولة البحرية مثل البورى ونيفريون وليبات وشواطي " اسيا الصغرى والدردييل الخ . . . ولايتعين الحكام ولا الالوية المدة سنة . يشذ عن ذلك حكام الالوية الاثنتين والعشرين التي يعطى التزامها مدير الحياة وحاكما رودس وعليبولي وولاية ايدرس وديافا وحرمين *Tehrmen* . يقسم كل لواء الى اقسام يتالف بعضها من مدينة وملحقاتها والبعض الاخر من ناحيات تتالف من بلدان وقرى .

وتقسم الاراضي كما ذكرنا سابقا الى :

- ١) اراضى عنها السلاطين في حروبهم وتدمع اما الحراج او الاعشار حسبما تقر زمن الفتح
- ٢) اراضى مخصصة لمصاريف الحوامع او لديرها من الامكة الدينية .
- ٣) اراضى الدولة التي لا يمكن بيعها وهي تقسم الى تسع طبقات .
- ٤) الاملاك التي تذهب وارداتها لخزينة الدولة .

١) الاراضي العادية

٢) الاملاك الخاصة للسلطان

٣) الاملاك السلطانية وهي التي عبطها الدولة او التي آلت للسلطان من الاشخاص الذين ماتوا ولا وريث شرعي لهم .

٤) الاملاك الخاصة للسلطنة الوالدة وللأمراء والاميرات العثمانيين .

٥) الاقطاعات المنوطة للمناصب التي يرأسها موظفون من الدرجة الاولى الذين يحملون رتبة وزير وهم : الصدر الاعظم وامير البحر وياشاوات الثلاثة الأطواغ .

(٧) الاقطاعات المنوحة لباشاوات الطوفين .

(٨) الاقطاعات المعبنة لحكام الولاية وللوزراء وللموظفين السراي .

(٩) الاقطاعات العسكرية " الزعامة والتمار " المنوحة لجنود السباه او لموظفين مدنيين او لاناك عاديين .

يحكم اغلب المقاطعات . حسب نوع الاراضي التي تتألف منها . اما اصحاب الاقطاعات او اصحاب الالتزامات الدائمة او نواب هؤلاء الهميرين او مديرا الاكاد الدينية . اما المقاطعات التي ليست من املاك الدولة وليست وقفية فانه يحكمها نواب حكام او نواب " المسلمين " ان ترتيب كل الادارات الحكومية هي واحدة في كل الدولة العثمانية عدا بلاد مصر . فيعين مع الحاكم الذي يجمع في شخصه السلطة المدنية والعسكرية قاض يقوم باجراء العدل . ويعين في المدن الكبرى موظف يحمل لقب " سردار " يرأس كل العساكر الانكشارية الموجودة في الولاية تلك المدن . ولجنود فرقتي الخيالة " السباه والسلاحدار " رؤساء في الولاية يسمون " كخيخه يرس " . اما الاشراف من سلالة النبي فانهم يخضعون لرؤساء يعلق على الواحد منهم لقب " نقيب " ويخضع اهل الذمة لموظفين من الامن يسمون " صوباشي " ولهم ايضا رؤساء من ملتهم يسمون " قوچه باشي " تنحصر مهمتهم في تعيين حصة السكان من الضرائب والرسوم المفروضة على الناحية التي هم فيها .

وعندما يترقى احد الموظفين الى رتبة الباشاوية من ذات الثلاثة الخواص يفتح حلة من الفراء مصنوعة من جلد السمور كما تعطى لهشارات الحكم باحتفال كبير وكانت تتألف هذه فيما مضى من طبل يعلم . ثم تغبر الطبل بالذئاب خيل تعلق في راس رمح ينتهي بكرة مذهبة . فيتقدم المير علم وهو من اول موظفي السراي من الباشا ويناوله العلم والاطواغ الثلاثة . ثم يتقدم الرئيس اقدي ويناوله البراءة السلطانية كما يناول النيشنجي " صورة لشعار السلطان مع محبرة فضية ومثزر من الحرير المزركش (١) ويقدم الباشا كهديّة منه لكل من هؤلاء الموظفين الثلاثة حلة من الفراء مصنوعة من جلد السمور وجوادا مجهزا باثني عشرة وخمس مئة او الف الف ذهب . واذا كان الباشا متغيبا فان نائبه يقوم مقامه في تسلم كل هذه الاشياء

(١) يضع كبار رجال الدولة هذا المثزر على ركبهم عندما يكونون فيجلسون على طرف الاركة قابضين على الورقة بيدهم اليسرى او يحملونها فوق ركبهم .

وفي تقديم الهدايا . وكان الحكام فيما مضى يستعملون شعار السلطان وكان لهم الحق باصدار الاوامر باسم السلطان الا ان سوء استعمال هذه الصلاحية ادت الى ازالتها زمن السلطان احمد الثالث . ولم تبق الا مع القواد رؤساء الجيوش .

ان لرتبة الباشاوية ميزات شرفية كثيرة . فتقاد امام الباشا من ذوي الثلاثة الطواغ تسعة جراد . وستة امام باشا الطوعيين وثلاثة جراد امام باشا الدعوى الواحد . ولهم ايضا موسيقى عسكرية مؤلفة حسب درجاتهم من تسعة او ستة او ثلاثة مزامير وطبول ودفوف وصناجات تعزف كل يوم مرتين امام قصورهم بعد صلاتي العصر والعشاء . ولما يظهر وا امام الناس يتقدم بعض المؤلفين الذين في خدمتهم ويدعون ان تحل بركة الله ونعمته عليهم . ويمشي امام الباشاوات حينذاك السلاحدار رئيس حاشيتهم حاملا يده سيفا داخل قرايه اشارة لسلطنتهم . ويكون لهم حسب درجاتهم ستة او اربعة او احد ~~من~~ حراش الشرف يرتدون ملابس خاصة . وينقسم الباشاوات عدا ذلك الى قسمين : باشاوات اوربا وباشاوات اسيا . اما درجة كل قسم منهم فتكون حسب الاقدمية . الا انهم يعترفون وقت الحرب برياسة بكريك الروم ايلي وبكرباك الانضول .

ويساعد الحاكم في الشؤون الادارية شخصان او ثلاثة ينتخبون من كبار رجال اللواء ويثبتون من قبل الباب العالي . يعرفون باسم " اعيان " ويمكن مقارنتهم بموظفي البلديات . يتشاور الحاكم معهم وينفذ اوامره بواسطتهم وينفذهم . واصبحت وظيفة اعيان هذه في بعض الاماكن يتوارثها الابناء عن الابهاء لما يترتب دائما على اعيان الجدد ان ينتخبوا من قبل كبار السكان . واذا كان لهؤلاء اعيان اعتبار في بلادهم يحكمهم كبح جماع الباشا الحاكم ومعارضة اعماله الجائرة . ويجتهدون ^{ههنا} في تقوية مراكزهم بتقديم الهدايا للبلاط او بلحاك كنف قوى لهم من اصحاب النفوذ في العاصمة . ولكن معظمهم بدلا من استعمال نفوذهم في درء الجور عن اهل بلدهم يجدون ارجح لهم ان يكونوا عوناً للحاكم في غفيمانه عليهم .

وبما ان الباشا حاكم اللواء يكون قد دفع ثمن منصبه غالبا فانه يستعمل السرعة وانجراة في ارهاق السكان بالضرائب لانه عبرتاه من دوامه في منصبه ولكنه مظعن تقريبا من انه لا يقاصر على عمله . ولا تصل شكايات المظلومين الى الدولة الا بصعوبة . واذا صدف ووصلت فان اعوانه وحماة يخففون من قوة تأثيرها . وان اكر الوسائل التي يستعملها حاكم عماع

للاستيلاء على ثروة شخص عني تكون في اتهامه بارتكاب جريمة ما ثم اجباره على دفع قسم من ثروته يفتدى بها حياته وهذا المال الذي يدفعه يفرض عليه شرعا ويسمى عرامة نقدية . يرتكب الحكام مثل هذه الاعمال يستغلوا بايهم التي تكلفهم اموالا كثيرة . ان تتالف حاشية الباشا من ذوي الثلاثة انواع من خمس مئة شخص على الاقل . وهناك حكام في خدمتهم عذارى حرسهم اكثر من الفي شخص . ويتالف حرمهم من عدد كبير من النساء . ويقتنون من مئين الى ثلاث مئة حواد في اسطبلاتهم . وهم عذارى يدفعون اموالا طائلة عند تعيينهم او في نهاية السنة اذا طلوا في مناصبهم . من هذا نرى بانه عليهم ان يدفعوا ثمن مناصبهم و ثمن بقائهم فيها و ثمن ابعاد التشكيكات المسببة عن حورهم .

وفيما عدا ذلك فان احكام وعواكم الموظفين فسادا يوافق ويقوم بمنتهى الدقة بكل الاعمال الدينية والاجارية . ان بذلك يكسب محبة الناس . وانه من النادر ان اراد الناس مدح شخص من اصحاب المراكز ان يذكروا فضائله ومقدرته انما يكفون بالقول : انه مسلم صالح لا يتوانى ابدا عن القيام بواجباته الدينية . ثم يتطلب من موظف الدولة ان يكون متقدما في السن وذو الحية بيضاء . وكان من العار عند الناس ان يكون في احد المناصب العالية موظف ينراوح سنه بين الاربعين والخامسة والاربعين او يعتبر كسبي بعد . ومن الاقوال الدارجة عند علمائهم ان سنا كبيرا واختبارا طويلا في الاعمال لا فضل من علم افلاطون وارسطو .

فاذا سخطت الدولة على احد الحكام واستصفت امواله فان اللواء الذي كان يحكم يحكمه لا يستفيد شيئا ويبقى على ما هو عليه . ان الدولة لاتعوض شيئا على اولئك الذين اختلس الحاکم اموالهم . ويسير عادة الحاكم الجديد الذي يعين على منوال سلفه .

واذا زادت هذه المطالب الى درجة انها سببت قلاقل في اللواء فان الدولة ترسل حينئذ لا موظفا كبيرا يحمل لقب مفتش وتمنحه صلاحيات واسعة . الا انه في معظم الاحيان عوضا من ان يهدء الحالة يزيد في خراب الناس بما ياتيهم من اعمال الرشوة والظلم .

ان السلطة المطلقة التي يتمتع بها حكام الولايات تصعبهم في حالة يحكمهم بها من العصيان ولكن هذا لا يكون للاستقلال والانفصال عن الدولة العثمانية انما يفعلون ذلك عادة لانقاذ ارواحهم وخوفهم من بطش السلطان اذا كان سريع التأثير يفضي لافل وشاية ولا يقف عند حد في انزال عقوباته . عندها يجدون العصيان اسلم لهم . ولكن من النادر ان يستعمل الباب العالي القوة لاضاعتهم . انما كلككم يداهنهم كعادته ويخفف من حدتهم باعطائهم تامينات

كاذبة ومواعيد العفو والعفوان فيرسل لهم رسائل الامان ويوضحهم امتيازات جديدة وهو مع كل هذا يترقبهم ويمتنع الفرار لا تخلف منهم . ويجب ان لا نعتقد بان حاكما ما يسلم حياته للدولة على اثر امر سلطاني لان المسلمين لم يبدوا هذه الدرجة في القبول بالمصير والخضوع لاوامر السلطان يشهد على ذلك المجهودات التي يبديها الناس على اختلاف طبقاتهم الذين يحكم عليهم بالموت للتخلص من ابدن جلاديهم ان يصرخون وهم يحاولون الفرار ان الله امر الانسان ان يدافع عن حياته . لهذا فان الموظف الذي تتدبره الدولة للتخلص من احوال الحكم المستعصية يكون عادة احد رؤساء الحجاب يتظاهر بانه آت لبعض الاعمال العادية . يستعمل كل ما يوسعه لكي لا يثير شكوك ضحيته ولتخفيف يذلة . وعليه ان يبدي منتهى الحذر لان اقل بادرة تصدر منه يمكن ان يفسر على انها محاولة للافقار في حياته على يدي هذا الاخير . وتلزمه في غالب الاحيان عدة اشهر لتأمين الوسائل اللازمة لنجاح مدهته فاحيانا يرشي سرا قواد العساكر واحيانا اخرى يستعمل الحيلة .

ولقد ارسل زمن السلطان محمد الرابع احد رؤساء الحجاب الى ارضروم بمهمة اعدام كلكر البكرام اسماعيل باشا . فلما وصل تظاهر بالمرض الشديد والتمس من الحاكم ان يرسل له صبيبه . وكان قد شد ذراعيه شدا قويا لينزع حريان الدم . فلما حضر الطبيب وجس نبضه وحده ضعيفا جدا فحكم بانه على اخر رمق من الحياة واعطى بذلك تقريره للحاكم وبنفس الوقت بعث رئيس الحجاب رسالة له يحثه فيها للحضور اليه . ان لديه اوامر على غاية من الاعمية يريد اعلامه بها قبل موته . فحضر اسماعيل باشا لديه يصحبه اربعة من الخدم . وفي اثنا المعادثة دخل رجال رسول السلطان الى الغرفة وقتلوه . وفي الحال اظهر هذا امر السلطان " الخطي شريف " القاضي باعدام الحاكم . ثم عين رئيس الحجاب حاكما بوقتا ورجع الى الاستانة حاملا راس اسماعيل باشا .

ولستعمت عمر الحيلة^ش زمن السلطان عبد الحميد لقتل "الهسبودار" غريغوار Ghigiar الذي عين حاكما على امارة البندران وذلك على اثر معاهدة صلح قنطرة . وان شاء الباب العالي بانه على اتصال مع دولة روسيا . ولا يتناول الباشاوات الحكام معادلتهم استعادية . بسهولة فلا تمنح لهم الا كهرجعة يدفعون ثمنها عاليا . ان لا يحق لهم بعد الانتهاء من خدمة الدولة ان يختاروا مكان اقامتهم او ان يسكنوا في العاصمة لان سياسة السراى الحذرة المتروية

تخاف ان يتمتعوا بثغور واعتبار سامعين بفضل ثرواتهم او بفضل المنصب الذي كانوا فيه .
الا ان الدولة تكون اكثر تساهلا مع باشاوات الطوغين اذ تسمح للذين اشتهروا منهم بالسكينة
والتمقل بالاقامة في العاصمة الا انه يفرض عليهم ان يعيشوا في خلوة تامة . وان مناصب
حكام الولاية غير مرغوب فيها من قبل كبار رجال البلاط بالرغم من الابهة التي تكون للباشاوات
الحكام . اذ يخافون من التغييرات الدائمة التي تحصل في هذه المناصب ويستقنون بانهم
يكونون خارج العاصمة اكثر تعرضا لنكبات الدهر المسببة عن التناقص والحد .

يشمل كل دواء مصاريفه المحلية مثل نفقات الحكومة وتكاليف الحصون ونقلات الارزاق
والاعتدة الحربية ونفقات العمائر العامة . اما الضرائب المفروضة على السكان فانها تتابع عليهم
تحت اسم : " عوارض " واشترا " ونفيع عام " وقسمان بها " وذخيرة بها " وعشدية " وغيرها
وكلها داخلة تحت هذه الاسامي المفقطة مثل " الجبايات " او تكاليف الشقاء " التي تعطى
لها لانه غير مسموح بها في الشرع . وهكذا فان الدولة تتلافى ما يعوزها من المال المسبب
عن هذه الضرائب المباشرة الضئيلة التي يسمح بها الشرع والتي وضعت لسد النفقات البسيطة
التي كانت للدولة الاسلامية في اول نشأتها والتي لا تكفي الان لمصاريف امبراطورية عصرية كبيرة .
الا ان اي تغيير يجري في هذه الناحية يعد غير شرعي ويصادى مقاومة شديدة من الشعب
المتصدين باعتقاداته الدينية . الا ان السلطان الذي يضحى الشرع عند الحاجة حق طلب الكهنة
المسلحات من كبار رجال الدولة يطبق حقه هذا على كل طبقات الامة وبصور مختلفة في اوقات
المسلم كما في اوقات الحرب . ولخوف الشعب من ان تفرض الدولة ضريبة ثابتة يقبل ويتحمل كغيره
هذه الضرائب الغير المباشرة التي يعتبرها وقتية بالرغم من انها تتابع على الدوام .

ان توزيع هذه الضرائب على السكان يكون متناسبا وحالتهم المالية . ولكن في الامكنة
التي يكون فيها عدد المسلمين اكثر من عدد اهل الذمة يتحمل هؤلاء القسط الاكبر منها .
ويعتقد بان سكان اغلب الولاية يخسرون من جراء هذه الضرائب نصف مواردهم او نصف ثمره
اعمالهم . ويدفع اهل الذمة عدا ذلك رسوما حين تزوجهم وعند مواراتهم التراب ووقت تشييد
مساجدهم او ترميمها . ويترتب عليهم قبل القيام باى عمل من هذا النوع ان يطلبوا الاذن به
اما من صاحب الاقطاع او من رئيس الامن اللذين يعينان لهم مبلغ الرسم المفروض عليهم دفعه .
والذى يتفق وحالتهم المالية .

الا ان الكرم التكليف الباهظة التي تصيب السكان هي تلك التي تنتج عن سفر حكام
الولاية وضدوبي الدولة . فان التنقلات العديدة بين الحكام تجبر هؤلاء ان يعمروا دون انقطاع
بين المقاطعات وعلى السكان ان يهيئوا لهم كل ما يحتاجونه وان يقدموا الهدايا لهم ولرجال
رجال حاشيتهم . وبما انه ليس في الدولة بريد فان الحكومة تضطر لارسال رسول خاص في كل
عمل يكون على شيء من الأهمية . فان كل رسالة من سراسر انصدرا الا عظم والمالية وامير البحر
وقواد الجيش تنتهي رسول بريدنا من بين موظفيها وتكون رتبته مناسبة ونوع الرسالة التي
يحملها وان سبل هؤلاء الرسل لا يقتصر فتراسم يجازون السرى يتبعهم رجال مسلحون ويفرضون
الرسوم على البلاد التي يعمرون بها والتي يجب ان تؤمن لهم الضعاف والمساكن . وهم عدا ذلك
يؤكدون في طلب نفقات السفر من الباشا الذين هم مرسلون اليه او من المدينة التي يبعثون
اليها . ولا تتقطع عنهم الهدايا ابدا . ولهذا فان عددا كبيرا من الموظفين المدنيين والعسكريين
يسعى في طلب هذه الوظيفة .

وتعين الدولة " سرعسكر " اذا كان الامر يقتضي بتطهير لواء ما من الاشرار او لاختراع
بلاد متعردة والقضاء على عصيان احد الباشاوات الحكام . فتعطي خمسة عشر او عشرين الف
فارس واذا لم يكف هذا المبلغ تعطي الدولة صلاحيات واسعة تخوله تحييد الرجال وجمع النقود
فيمر رئيس الجهر بالولاية ويفرض الضرائب ويعين قوادا من " البهاشنة " اي رؤساء الالف
الذين يخدمون الرجال براتب ثلاثين قرشا للعسكري من المشاة وخمسة واربعين للفارس . فاذا
انتهت مهمة هذه الحساكر فانها هي نفسها تستعمل في حيازة الاموال من البلاد التي
اخضعوها ومن الولاية المجاورة لها وذلك لدفع نفقات السرعسكر . الا ان هذه الاموال تزيد
احيانا عن المطلوب فياخذها ^{السرى} السرعسكر وتكون من اسباب ثرائه .

ولكن هناك امرا اكبر خطرا من هذه الرسوم اباستطاعه ومن تعدييات رجال السلطة والذي
يسمى لزدهار الصناعة وسبب الجذب في اراضي حبتها الطبيعة بخيراتها الا وهو عدم امان
امان السكان على اموالهم واملاكهم . فان الدولة تضبط اوراق عملها بعد موتهم ان لم تفعل
ذلك وهم احياء . وما من احد يجرا على اظهار حقيقة ما عنده خوفا من ان تتبذ السلطة
اليه . ولا يعرف الناس كيف يخدمون اموالهم . فهل يستعملونها في احوال نافعة ؟ ولكن كل

مصلحة خارج العاصمة معرضة لخطر عديدة تنشأ عن سوء حال الأمن وأعمال القوضى . وهذه المصالح معرضة حتما في اوقات السلم لهجمات الاشقياء . اما في اوقات الحرب فان الجندي لا يحفظ حرمة اماكن وازواق مواضعهم فيسلمها كما يسلب اماكن اعدائه . ويبقى الناس في كل الاوقات تحت رحمة رجال السلطة .

ان تأثير هذا الاستبداد يظهر حليا وبصورة بارزة عندما يكون البؤس مهيما على الالية . فتمتلئ المدن بحمير من الشحاذين . وتبقى حيوش من الحوالين مستعدة دائما للانصاف تحت لواء عامر بشور على الدولة . ويهجر السكان اسدالمون البذر التي راوا النور فيها . ويهرب المسيحيون خارج حدود الدولة كما يلتحي المسلمون الى العاصمة حيث يكون الضعيفان اقل عنفا ولكمهم يضعون في بعض الاحيان من الذجوة اليها . وتصدر من وف الى اخر اوامر بعدم توسيع العاصمة بتشييد ابنية جديدة كما تصدر الاوامر الى جميع الموائيل التي توغلت في العاصمة من ثمان او عشرين سنين بالرجوع الى اماكنها الاصلية . ولا يكون هدف هذه التدابير ربح الناس من عجز الالية بقدر ما يكون في ~~البلد~~ ^{تأسيس} اعاشة مدينة كبيرة وتعد من السكان حتى الان ستمائة الف . ولا حاجة بنا للقول بان هذه الشموب التي تنمو تحت نير مثل هذا الحور لا يمكن ان ينبعث منها اي شعور وعني . ان العصبية الدينية هي الرابطة الوحيدة التي تجمعها .

هناك عدد كبير من البلاد تخضع للدولة العثمانية ولكنها لا تدخل في نظام الالية

التي يحكمها باشاوات من قبل الباب العالي . وهذه البلاد هي :

- (١) مدينة مكة التي يحكمها منذ عام ١٢٠١ رجال من الانراف من بني قتادة القشتيون الى علي ومحمد . الا انهم خضعوا للدولة العثمانية سنة ١٥١٧ على اثر افتتاح مصر والشام من قبل السلطان سليم الاول . ولا يزال الامراء من بني قتادة يحكمون مكة يعينهم السلطان ويكون هذا التعيين نوعا ما انتخابيا فيخلع عليهم حلة من القرا مضبوطة من حلد السمور وسيفا مرصعا بالذهب ولم يات ولا واحد منهم قط الى العاصمة عدا الشريف يحيى الذي حضر سنة ١٧٢١ لتقديم خضوعه للسلطان احمد الثالث على اثر عزله عن حكم مكة من قبل احد ابناؤه .
- (٢) المدينة المنورة ~~التي~~ كان يحكمها من قبل السلطان احدر ووسا خصيان اسراى السود

يحمل لقب " شيخ الحرم "

- (٢) الافلاق التي زالت امتيازاتها عندما بصورة متتابعة ولقد اخذ يحكمها منذ قرنين تقريبا
حكام من كبار رجال اليونان الذين يقطنون الاستانة . وقد كانوا يعينون سابقا لمدة ثلاث سنوات
واخذوا من مدة قريبة يعينون لسبع سنوات . ولا يحملون غير لقب ~~.....~~ او لقب ميرميران
اي باشا من اصحاب الطوغين .
- (٤) البغدان التي تعامل نفس معاملة الافلاق .
- (٥) تسع عشرة ناحية كردية في لواء ~~.....~~ جلدبر يتوارث ادارتها حكام من الاكراد يقدمون عددا
من الجنود للدولة عندما تطلب منهم ذلك .
- (٦) ثمان نواح كردية في ديار بكر لها نفس ترتيب النواحي السابقة .
- (٧) خمس نواح كردية اخرى في ديار بكر ايضا . يدبرها حكام - مبنون بالانتخاب . الا ان
الدولة هي التي تدفع مرتبات العساكر التي يقدمونها لها .
- (٨) ناحيتان كرديتان في لواء الموصل لهما ~~.....~~ ترتيب النواحي الخمس السابقة نفسا .
- (٩) ست نواح تركمانية في لواء سيواس يحكمها موظف خاص يحمل لقب لواء .
- (١٠) البوعيميق " قبطان " الموحدون في الولايات الاسيوية يخضعون لسلطة ~~.....~~ بحبي
الضرائب المفروضة على كل شخص من هذه القبائل المتقلة .
- (١١) الولايات الافريقية الثلاث وهي الجزائر وتونس وعرابلس . فقد خضعت للدولة زمن
السلطانين سليم الاول وسليمان الاول وهي تعترف دائما بسلطة السلطان الروحية ولكنها لا
تعترف الا قليلا بسلطته الزمنية . ويصادق السلطان على تعيين حكامها الذين يعينون بالانتخاب
ويضخم لقب ميرميران مع صوغين ويضخمهم في بعض الاحيان رتبة بكريك الروم ايلي . وعوضا
من ان تدفع هذه الولايات الجزية للدولة فانها بالعكس هي التي تستلم من وقتلاخر الهدايا
منها . وتكون بصورة اعتدة حربية . ويحق لحكامها ان يحددوا الرجال من البلاد المجاورة للبحر مثل
مثل شواطئ الشام وشواطئ اسيا الصغرى والمورى . ويؤلف هؤلاء الجنود القوة العسكرية
لكل ولاية . ويحق لروءساء هؤلاء الجنود ان يتوصلوا الى اعلى المناصب في الدولة .
ان عدد سكان الدولة المثمانية غير معروف . فان المعتقدات الدينية تنفع من حفظ
سجلات في احصاء عددا للمواليد والوفيات وعدد السكان . ان يعتقد اتباع النبي محمد
بان عملا مثل هذا يكون نوعا ما مراقبة لاعمال الله وخطيئة ضد واجب الخضوع التام لاحكامه .

اما الولايات التي تتألف منها الدولة العثمانية فهي :

الروم ايلي - البوسنة - سلستريا - الحزاير - كريت - الانضول - مصر - بغداد - الرقة -
الشام - ارضروم - سيواس - عيدا - حدير - جدة - حلب - قروايا - ديار بكر - ادنه -
طربزون - الموصل - طرابلس - البستان - قارص - شمرزول - فان .

الباب السابع

حالة الدولة العثمانية العسكرية

قبل ان نتكلم عن حالة الدولة العثمانية العسكرية الحاضرة سنشير الى مختلف فرق الجيش

التي كانت موجودة في اول عهد الدولة . كانت هذه الفرق تدعى : ياييا مسلم العزاب
صاريجة يوروك جنبضان ، غريبان .

(١) الياييا ويدعون ايضا بزيادة جندهم السنطان اورخان . ولكنه انشأ بعد بضعة اشهر فرقة
الانكشارية لذلك فانه جعل جنود الياييا من الجنود الاقطاعيين لانه كان يستأجر منهم بسبب تفرده
ففرق عليهم الاراضي وامران يشتعلوا في حال عدم سيرهم الى الحرب في ترميم الطرقات ونقل
الازراف والامتنعة الخ وكانوا يمدون (٢٠٠٠٠) رجل . وقد تحسنت سيرتهم شيئا فشيئا
وتحولت في بادئ الامر الاراضي التي يملكونها الى اقطاعات تسمى " زعامة وتيمار " ثم تحولت الى
اربع عشر مقاطعة تسمى " بكلك " تصرف مواردنا حتى يوضا هذا كمرتبات تقلد لقداما قواد
الانكشارية .

(٢) المسلم " او المعفون من الضرائب يوفون فرقة من ثلاثة الاف فارس .
(٣) العزاب ووظيفتهم الاعتناء بالمعدات الحربية . وقد احقوا بفرقة الحبيجة .
(٤) " الصاريجة " يسمون كذلك نسبة للون لعلامهم الصفراء وكانوا من الفرق التي جددت في بعض
ولايات اسيا الصغرى . الا ان الدولة حلت فرقتهم زمن مصطفى الثالث تعديلاتهم . وقد اختلطوا
مع عساكر الايالات .

(٥) " يوروك " او العساكر السبارة وكانوا من فرق مشاة الروم اليحي . وقد سرحوا من الخدمة زمن
سليمان الاول .

(٦) " الجنبضان " او الاولاد الضائعون و " الغريبان " اي الغريباء . وقد وضعوا كحاميات في
شواطئ الاضول الا ان سليم الثاني ازال فرقهم .

وتتألف جيش الدولة العثمانية البرية في الوقت الحاضر من : (٦) العساكر المنظمة . تعيين

لها مرتبات وتكون دائمة الخدمة (٢) الفرسان وهم يعيشون من الاقطاعات العسكرية للملك
(٣) العساكر التي تحنوها الايالات في زمن الحرب (٤) فرق حرس الباشاوات وحنود القاطعات الخ
الخاضعة لهم (٥) الفرق الحرة .

الفصل الاول

الجيش المنظمة التي تتناول مرتبات وتكون دائمة الخدمة

تتألف من اربعة جيش للمشاة وهي (١) الانكشارية . (٢) الجبه جيه او صانعوا الأسلحة
الاسلحة (٣) السوبجية او فرق المدفعية . (٤) الطوب عرجية . ومن جيشين للفرسان وهذا
السياه والسلحدار . ويطلق على كل هذه الجيش اسم " اوجاه " لتمييزها عن غيرها من
الجنود .

الجيش الاول : الانكشارية

انشأ اورخان عام ١٣٣٠ هذا الجيش الذي يحتل بحق الدرجة الاولى بين العساكر
العثمانية ليحل محل فرقة " اليايا " ولقد كانت ملكه صغيرة الا انه كان يطمح بتوسيعها
بفتوحاته . لهذا شعر بالفائدة التي سيجنيها اذا الف جيشا من المشاة دائمة الخدمة
وكثير الطاعة وبما ان رجال التركمان كانوا لا يصلحون كجنود مشاة وبعيدين عن الطلعة فلقد جند
ما كان عنده من المسجونين المسيحيين . وقد بارك تأسيس هذا الجيش من المحاربين رجل متدين
محترم يدعى الحاج بقطش مؤسس فرقة الدراويش البقشاشية وذلك بان وضع كم ثوبه الابيض على
رؤس كبار قوادها بوعدهم باسمه تعالى بالفلاح والتوفيق . واطلق عليهم اسم " بني جري "
اي الجيش الجديد . ولهذا السبب فان جنود الانكشارية اعترفوا بقدسية هذا الثوب واحتفظوا
بلقب " البقشاشيين " . وانضم الدراويش اتباع الفرقة البقشاشية بدمهم الى جيش الانكشارية
ودخلوا في " الارطة " التاسعة والتسعين . وظلت الدولة طويلا لاتقبل في هذا الجيش سوى

الذين تنضم اليهم السلف من البلاد المسيحية الخاضعة لها ولم يحصل لهذا الجيش نظام ثابت الا في زمن محمد الثاني ثم بعد ذلك احرى السلطان سليمان تعديلات في قوانينه .
وتتألف العساكر الانكشارية من اربع فرق تدعى : الحملات و بولاك وسعبان وعجمي اوغلان (١) . وتتألف كل واحدة منها من عدد الاورعات وتشكل جميعها مئة وتسعا وعشرين "اورطة" يبقى منها سبع وسبعون في العاصمة ويوزع الباقي على الولايات .

كانت فرقة "الحملات" تعد مئة ارعة وارطة وذلك قبل ان يزل مراد الرابع الارطة الخاصة والستين عام ١٦٢٣ بسبب الاعتداء الذي قام به احد افرادها على السلطان عثمان الثاني عندما تمردت العساكر عليه . اعلن السلطان مراد على اثر ذلك حرمان هذه الارطة وحول شكلها الى اسبيل وكانت اللعنات تتحدد عليها كل خمسة عشر يوما عندما توزع الشموع على بقية الارطات . التي يبقى منها في العاصمة احدى عشره يلتحق اربع منها بحرس السلطان . ويتميز رجالها عن غيرهم بزيهم الخاص وباسمهم اذ يطلق عليهم لقب "بولك" اما بقية الارطات فانها ترابط على الحدود .
تتألف فرقة "البولاك" من احدى وستين ارطة ^{تتألف} ثلاثون منها على الولايات وبطل الباقي في العاصمة .

وتعد فرقة السعبان اربعا وثلاثين ارعة ليقيم في العاصمة منها سوى الارطة الثالثة والثلاثين وتتألف فرقة العجمي اوغلان ايضا من اربع وثلاثين ارعة تبقى دائما في العاصمة حتى في ايام الحرب . وفي هذه الارطات التي تعد من اقدم ارجاء الجيش يقوم المعززون المبتدئون بتدريسه العسكرة الاولى قبل ان يلتحقوا ببقية الفرق .

ان كبار قواد الانكشارية هم :

(١) اغا الانكشارية وهو رئيس كل الجيش . وكان يعرض هذا المنصب في الاصل وتقريبا دائما للسعبان بالشي الرئيس الثاني للانكشارية ولكن سليم الاول امر بانه يجب الا ينتخب رئيس الفرقة من بين القواد الانكشارية وسبب ذلك ان كبار من الاغوات اساور استعمال نفوذهم الذي يكتسبونه بفضل ترفيعهم المتتابع ومرورهم بجميع مراكز الفرقة . عندما اصبح هذا المنصب الهام يمنح اما الرئيس فرقة السباه والملكدار او لاحد كبار موظفي البلاط او لاحد وزراء الدولة . انما شعرت الدولة بعد

(٢) فالاسمان الاولان يدلان على نفس المعنى الاول باللغة العربية والثاني بالتركية اما سعبان وتلفظ خطأ سيمان فمعناها خادم الكلاب وعجمي اوغلان المبتدئون .

على زمن قليل لم يرتفع رئيس جنود الانكشارية مثلهما من بين الموظفين المدنيين لا يقدر على ردهم . ولقد زادت الفوضى الى درجة اجبرت السلطان مراد الثالث ان يعيد النظام القديم وذلك عام ١٥٨٢ . ومنذ ذلك الحين اصبح السيمان باشي " او القول كخبة " يخلف الاعا في الرئاسة واصبح يمكن بقضى ذلك اعتبار الاعا قائد الانكشارية وهو بنفس الوقت كل حاكم الاستانة والنائب الاول للصدر الاعظم .

(٢) السيمان باشي رئيس فرقة السيمان . هو نائب الاعا ويخلفه ايام الحرب في حكم

الاستانة .

(٣) القول كخبة " او وكيل الفرقة . مسؤول عن كل ما يتعلق بشؤونها المالية وحفظ

الامن وحفظ انظمتها . ويكونه رئيسا للارعة الاولى من فرقة البلان التي يسجل السلاطين

اسماهم فيها فانه يعين ولكن شكلا فقط لحراسة الامراء العثمانيين المسجونين في السراي .

(٤) الزعرجي باشي " رئيس الارطة الرابعة والستين من فرقة الجماعات .

(٥) الصمغنجي باشي " رئيس الارطة الواحدة والسبعين من فرقة الجماعات

(٦) الطورنه جي باشي " رئيس الارطة الثالثة والسبعين من فرقة الجماعات . (١)

ان هؤلاء القواد الذين يسمون لغاوات الوحاكات يوفون لفضاء الديوان او مجلس الشورى

العسكري الذي ينعقد في قصر رئيس الفرقة . ولما يريد ان يؤمّل لرتبة " قول كخبة " عليه ان

يكون قد تدرّج بارتب الاخير الثلاث . ولا يحق للمعزولين من هؤلاء القواد ان يقبوا في الاستانة

فهم اما ان ينقلوا الى احدى الحز او يعينوا حكما بلقب " سرحداتا " لحدى الاماكن المحصنة

الواقعة على الحدود .

(٧) القواد الذين يدعون " سرحداتا " يرأسون الحاميات الانكشارية المربطة في اهم الحصون وهم

لا يتوصلون الى هذا المركز الا بعد ان يحصلوا على رتبة " طورنه جي باشي " وعدد هم الان اثنان

وثلاثون متساوون في الرتبة عدا " سرحداتا " مدينة " قيدين " الذي يتقدم عليهم . وسبب ذلك انه

بعد افتتاح هذه المدينة في زمن بيابيزيد الاول وسع الدعرجي باشي " مع اورطته لحراسة هذه

المدينة وهي الارطة الثامنة والستون من فرقة " الجماعات " واتخذ طير الكركي شعارا له . ومنذ ذلك

الوقت لم تنقل هذه الارطة من مركزها وظل رئيسها يتبع بلقب " طورنه جي باشي " وهو متقدم على

" طورنه جي باشي " العاصمة ان يعتبر اقدم منه . واذا دعى " سرحداتا " الى الاستانة فانه

يرجع ويدخل فرقة الانكشارية ويحمل نفس الرتبة التي كانت له قبل ان يغضب عليه .

(١) - يراد بالزعرجي باشي رئيس القلوب العلوية . ويراد بالصمغنجي باشي رئيس القلوب البردسية (مسجلة) . اما الطورنه جي باشي فنحدا

رئيس طيور الكركي . وهكذا الرؤساء العسكريين هم بمنزلة مفتي مرطقي دائرة صير السلطان كما تشبه اسماؤهم الى ذلك .

(٨) استنبول اعا * قائد فرقة " العجمي اعلان " والرئيس الخام للارعة الرابعة والثلاثين لهذه الفرقة . وله نائبان اعا الرهم ايلي واعلاصول رئيسا فرقتي الرهم ايلي والانسول المؤلفة كل منهما من سبع عشرة ارعة . وكان لايقبل سابقا في الفرقة الاولى سوى المخذدين من الولايات الاوروبية . وفي الثانية المخذدين من الولايات الاسيوية . ان حامل رتبة " استنبول اعا " يطن عليها مدى الحياة ومن النادر ان يتوصل منها الى المناصب الاولى . الا ان رتبته متساوية ورتبة " القول كخية " .

(٩) - السلطان راسم الارعة ورساء اربع اطرات " السلطان التي تولف قسما من الحرس اليمانيون ولهم رتبة الزغرحي باشي . وعندما يظهر السلطان امام النار يرتدون لباسا مصنوعا من القطيفة الخضراء مبطن بفراء من حلب الفهد . ومنصبهم دائمي مدد الحياة ويخلفهم اقدم نوابهم الذين يدعون " ركاب سولغي " وعددهم ثمانية . اثنان لكل ارعة وعي تتالف من ستة انكشاري ينتقون من كل الجيش من بين الذين يمتازون بحسن الهيئة والبسالة .

(١٠) " امام الوجة " او القائم بشؤون الجيش الدينية وهو رئيس الارعة الرابعة والتسعين من فرقة " الجماعات . وعندما ترقى رتبته يخلع العمامة ويترى لحده القيام بالاعمال الدينية .

(١١) " بيت الملحي " رئيس الارعة الواحدة بعد المئة من فرقة " الجماعات " . هو وكيل مال الجيش (هو والذي يجمع متروكات من مات من الانكشارية الذين ليس لهم وزير شرعي ويترتب عليه ان يبربرية " اوجاه امام " لكي يتوصل الى رتبة " طورنه جي باشي " .

(١٢) " الباش شاوش " رئيس الارعة الخامسة من فرقة " البلاك " هو حاكم الجيش الاكبر . وله تحت امرته ليمكن بالقيام بأعباء هذا المنصب ثلاث مئة شاوش تقريبا .

(١٣) " المحظر اعا " رئيس الارعة الثامنة والعشرين من فرقة " البلاك " يقوم بحراسة قصر الصدر الاعظم ولهذا السبب فانه يسكن نقر القصر معه . ويراقب السجر الكائن في داخل هذا القصر . وهو عدا ذلك يمثل فرقته امام الدولة .

ان رئيسي الارطتين الاخيرتين اي الباش شاوش والمحظر اعا متساويين في ~~ال~~الرتبة .

١٤ " الكيخية يرو " رئيس الارعة الثانية والثلاثين من فرقة " البلاك " يقوم بحراسة الاغا اثناء الحرب .

(١) يساعده مدير مالية الجيش بحمل لقب " اوجاه بازيعاني " ويكون دائما من اهل الذمة . وظلت عائلة " غنانا " الاسرائيلية تحتل هذا المنصب الكبير الريح منذ امد طويل .

واذا مرض هذا الأخير ولم يتمكن من المجيء الى السراى يوم انعقاد الديوان فان الكيفية هو الذى ينوب عنه فيه .

(١٥) "التعليم خانة جي" رئيس الارطة الرابعة والخمسين من فرقة "البلاك" ومدير الانكسارية في التمارين العسكرية .

(١٦) "الجرداق شوربه جي" رئيس الارطة السادسة والخمسين من فرقة "البلاك" . وهو كائن في حي الجرداق حيث تقيم اهم فرقة من فرق حرس العاصمة . ومن اعماله ان يرافق قاضي العاصمة في تحولاته العادية داخل المدينة لفحص اسعار المأكولات والتثبت من صحة المكييل والاوزان .

(١٧) "العسس باشي" يراقب احكام الاعداد وعو ومدير السجن الكائن في وسط المدينة تقريبا . وهو يؤخذ من بين رؤساء ارطات البلطات المرابطة في العاصمة .

(١٨) "الاجي باشي" رئيس الارطة الثالثة والثلاثين لفرقة السيمان . وتقيم هذه الارطة في العاصمة في فصل الشتاء اما في فصل الصيف فان مركزها يكون في سطرنجة على شاطئ البحر الاسود وحمل رؤساء بقية الارطات لقب "شوربه جي" فقط ومعنى هذه الكلمة هو (صانع الشورية) ويكون ارفعهم منزلة اقدمهم خدمة .

وحكم كد ارطة الضباط ونائبو الضباط وعم :

- (١) "الارطة باشي" او الرئيس الثاني للارطة .
- (٢) "وكيل الخرج" يقوم بشؤون الفرقة المالية .
- (٣) "البيرقدار" اى حامل العلم
- (٤) "الباش اسكي" رئيس القديمين في الفرقة
- (٥) "الاسطه" او العشي
- (٦) "الباش قره قلقجي" اى رئيس خدم المطابخ
- (٧) "السقي" - القه قلقجي

ولا يزداد عدد هؤلاء الضباط ونائبو الضباط ابدًا حتى ولا في ايام الحرب عندما تكمل الارطة ويصل عدد افرادها الى الخمسة مئة . وهذه احدى العلل الموحدة في تنظيم هذا الجيش وتنظيم غيره من عساكر الجيش المنظمة . والارطتان الاولى والخامسة من ارطات فرقة "البلاك"

عما الوحيدتان اللتان يضاف اليهما نائب ضابط يدعى " زميلحي " واتي رتبته راسا فوق رتبة المسمى .

ويمكن لاي جندي الوصول لرتبة نائب ضابط اذا خدم عموما او اتي باعمال مشرفة .
ويكون الترقى من رتبة " اومباشي " حتى رتبة " اوصه باشي " حسب للاقدمية . لما لاقاعدة هناك
تسير عليها الدولة في ترقية " الاوصه باشي " الى رتبة " شوربه جي " . ويمكن للجندي
الانكداري ان ينزول الا في ارغته التي يخرج منها الا ليتسلم رئاسة اربعة غيرها .
تبقى الارعات بصورة مستمرة في الاماكن المحسنة التي عينت لها . ولا تتقل من مراكزها
في اوقات السلم الا اذا حصلت بفصاء بين فرقتين منها يخاف من عاقبتها . وتربط اثنتا عشرة
مندا في بلغراد واربع عشرة في خطين وست عشرة في فيدين وشرن في بعداد الح . . .
يتغير رؤساء الارعات كثيرا . فالشوريحي المعين حديثا تعطى له في بادى الامر
قيادة احدى الارعات المرابطة على الحدود ثم ينقل الى غيرها ثم يتكرر ذلك بسوره تجعله
يقدم بتتابع في ولايات مختلفة . ويرأس الشوريحية بد تمييز اربعة الفرق الثلاث البلاك والسيما
والجماعات الا انه يحق للشوريحية القائمين في الاستانة والذين يداؤا خدمتهم العسكرية في
احدى اربعة فرق الجماعات الايسوا بفرقتي السيما والبلاك .

وتتألف جيش الانكدارية عدا الارعات التابعة للاربع فرق من عشر اربعة ملحقة به ولكل
منها مهمة خاصة .

(١) اليازجيين " اي الكتاب والعمال . ويرى عدد هم على المئة يقومون بمختلف اعمال
جيش الانكدارية . يسمى رئيسهم نائب الانكدارية " بنى جري كاتبي " كان يوفد فيما مضى من
بين رؤساء الارعات . ولكنه يتمتع بنفوذ عظيم على العساكر خصوصا اذا كان لقا الانكدارية
عماما وتنفق عموما . فان محمد الثاني ابعد عن هذا المنصب كل رجل عسكري ومن ذلك الوقت
انسحب يحتل هذا المركز اشخاص من جماعة " الخوجة " ويعين هذا النائب لمدة سنة ويمكن ان
يحدد تعيينه . وتحتل مكاتبه قسرا خاصا تحرسه اربعة من الانكدارية .

(٢) كتاب الارعات وعدد هم ستون . يحتفظون بسجلات لعمال ودفاتر وامراق الدعاوى الخاصة
بالانكدارية . ويتنح رئيسهم الباش يازجي برتبة شورجي .

(٣) " المياريخات " يطلق هذا الاسم على اربع وثلاثين جمعية صغيرة لمختلف المهن تتألف الواحدة منها من خمسة وعشرين او ثلاثين ائتماريا من العمل يشتملون لحنود فرقتهم فقط في ايام السلم وفي ايام الحرب . ويكون رئيس كل منها نائب ضابط يدعى رئيس العمال او " اوسطه " (٤) الطلمبجية " وهي اربعة مؤلفة من ثلاث مئة من الاعوان يوثقون من مختلف الارضات ولا يكون عملهم ضروريا جدا الا في المدن التي تكثر فيها الحرائق . ويلبسون على رؤوسهم عندما يشتغلون في اعنائها خوذا نحاسية . وتكون خوذة رئيسهم الطلمبجي باشي " من الفضة .

اما رتبته فهي رتبة رئيس اربعة . ولقد انشأها سنة ١٧٢٠ في زمن احمد الثالث احد الافرنسيين المرتدين وكان في خدمة الباب العالي . ولبقى الجيش والليحية خدود من الاعفائين ايضا .

(٥) الشواشر وعددهم ثلاث مئة وثلاثون تقريبا وهم من نائبي الضباط ينتقون من بين اقدم الانكشارية يقومون في اوقات الحرب بتسليم اوامر قائد الجيش لرؤساء الفرق . وفي اوقات السلم يحمل اوامر الدولة للعساكر المراسلة في الولايات . اما في العاصمة فانهم يقومون بانزال العقوبات الحسنية الصادرة على ضباط الانكشارية . ويدعون قول شاورش " اي شواشر الحيشر ليميزوا عن شواشر السراي وامارة البحر وحكام الولايات الخ ورئيسهم الباشي شاورش عوايضا رئيس الارطة الخاصة لفرقة " البلاك " .

(٦) " الموصحة " هم ثمانون نائب ضابط البعض منهم ملحق بقصر الاعا والبعض الاخر بارطاط المحظراعا والكبخية يرر العسس باشي . فهم يرأسون ويشتركون احيانا بانفسهم في انزال العقوبات التي يصدرها موظفو الامن هولاء . ويحمل رئيسهم لقب Mehter Barchin (٧) القبوكلخية " هو بلاك مؤلف من ستين ائتماريا يحمل رئيسهم لقب " باشي قبوكلخية " وهم ملتحقون بارطة المحظراعا التي تتألف فرقة حرس الصدر الاعظم يقومون باحراق احكام المدح التي تصدر عن المحكمة التي يعقدعا الوزير . وبما ان العقاب العادي هو ضرب الفلقة فان خمسة منهم يدعون الفلقة بخصصون لانزال هذا العقاب . وهم يتبعون الصدر الاعظم عندما يخرج في موكبهم ويأبديهم الى العقاب هذه .

(٨) " الحرجية " عددهم ستون يقومون ~~بالحرب~~ بعمل سابقهم اي في انزال العقوبات . اما في

أيام الحرب فإن أربعين منهم يطلون قرب خيمة السدراد عثم والعشرون الآخرون قرب خيمة اعا
الانكشارية وهم يرتدون جلد النمر ويحملون الحراب الغويلة بأيديهم . ولهذا اطلق عليه اسم
حريجة .

(٩) " الشاديين " هم رجال بلاى مؤلف من ستين انكشاريا يحملون بصورة خاصة في نقل الحطب
اللازم لمطابخ السراى والقصور التي تسكنها السلطان ~~والسلطان~~ القزوات .

(١٠) " الموكشان " وهم من الدراويش البقشاشية . ان رجال هذه الفرقة تخذوا منذ
سنة ١٥٩١ في الارطة التاسعة والتسعين من فرقة الجماعات . كثيرون منهم يسكنون ويعيشون
في الشكبات الجديدة وينحصر عظم في الصرة صباحا ومساء دلعين ان يعزالله السلطان
ويسقى جيوشها . ويسير في الاعتقالات الرسمية ثمانية من هولاء الدراويش امام جواداغا الانكشارية
ويكونون مرتدين لباسا من الخوخ الاخضر وواضعين قبضات ايديهم على صدورهم . ويردد اقدمهم
بدون عال وبدون انقطاع " كز كرم الله " فيجسه الباقون " هو " ولهذا اطلق عليهم اسم
" هوكشان " .

ويتألف حيث الانكشارية عدا ذلك من " البستجيه " اى رجال الحرس بقسم قسم منهم في
الاستانة وللقسم الآخر في ادرنه يحرسون القصور ودور مشغرات السلطان وكانوا فيما مضى يتبعونه
لما يخرج الى الحرب وبلغ عددهم سبعة او ثمانية الاف .

وكان لا يقبل بادرى في الامر في جيش الانكشارية سرى الشبان الذين ولدوا من ابوين مسيحيين
ويؤخذون من مختلف الولايات بدون تمييز بينها . ثم اصبح يفضل الذين هم من البانيا والبوسنة
وبلغاريا . وكانت لاحتياج الدولة الانادرا لاستعمال الشدة . ان كان الاباء والامداد يتوسلون
كما لو انهم يطلبون حملا ان تقبل الدولة اولادهم في جيش الانكشارية . ويحصل هذا التجنيد
مرة كل ثلاث او اربع سنين .

يقوم المجندون الجدد بتعلمهم العسكرية في ارضات فرقة " العحمي اعلان " . وكانوا
يلتقون ايضا تعاليم الديانة الاسلامية على ايدى خوجوات يعينون خضبا من اجل ذلك . ثم عينت
بعد ذلك الدولة خوجوات لبقية الانكشارية بحيث اصبح لكل ارض ^{فرقة} تعلمها يعلم مبادىء القراءة والكتابة
للجنود الذين يطلبون ذلك . ولا تجبر الدولة هؤلاء الجنود الشبان المسيحيين ان يبرؤا دينهم

اذ ان ذلك ينافي مبادئها كما ينافي احكام القرآن . واذ دفع التعصب الديني بعض الضباط للتصديق عليهم فان الدولة تتعامل معهم . غير ان هذا العمل لا يسمح به رؤوسا الجيش قط .

ومن هذه المدرسة العسكرية ينتقل جنود " العجمي اعلان " الى بقية الفرق الثلاث بلا تمييز بينها . الا ان هذا لا يحصل الامرة واحدة كل سبع سنين . ثم بعد ذلك يعمل رويدا رويدا تحيد الانسان المسيحي والعبي القوم الاولاد العسكري الانكليزية ثم اصبح يقبل الشبان من اقربائهم حتى البعيدين عنهم . ولكن ما من واحد من هؤلاء يقبل في الفرقة الا اذا شهد على طلبه الذي ذكر فيه اتساعه الداخلي خمسة اوسنة من رجال الفرقة التي خدم فيها الجندي الانكليزي المتوفي والذي يقول صاحب السلب بانه من اقربائه . ويخذل المستبدون من ابناء او اقرباء العسكري الانكليزية لقب " قول اولو " ابناء العبيد او ابناء الجنود اذ ان لقب " قول " عبد يطلق بصورة عامة كما كما ذكرنا على كل خدم السلطان ويسمى بسورة خاصة على الرجال العسكريين منهم . ان هذه الاسطة لم يعمل بها مدة ثلاثة فروع تقريبا . اذ ان مناسبات خيرة ادت الى مخالفتها في زمن مراد الثالث . فان قاتل في داخل الدولة وفي خارجها وحروبا غير موفقة احبرت الجنرال عثمان دائما كما احبرت من بعده الصدر الاعلم سنان بائدا على قبول رجال ينتمون الى جميع طبقات الشعب ومن كل سكان الدولة على اختلاف جنسياتهم . وقد وصل الحال الى تحيد المنحدرين والاشقياء . وفي وقتنا هذا لا يزال يقبل في الفرقة رجال من جميع الاجناس والعقائد بالرغم من المنعكبة الكثيرة التي ابداهها بحكم من السلاطين وخصوصا السلطان احمد الثالث عام ١٧٢٧ . ولا يستثنى من ذلك غير العبيد السود لان اعتقادات خرافية قديمة تمنع رؤوسا الجيش من تحيد هؤلاء لهذا فانه من النادر ان ترى احدا منهم من بين الجنود ولا تجد احدا منهم قط من بين الضباط . ان عريقة قبول الجنود الان هي كما لمي : يدخلون بعد صلاة العشاء الى شبكة الارطة التي سينتمون اليها . وبعد ان يجمع كل رجال الارطة يتقدم نائبو الضباط منهم ويضعون على رؤوسهم عمامة الانكليزية وعلى اكفهم ردا من الخوخ الخشن . ثم يذعنون وهم بهذا اللبان لقبولوا يد " الاوضه باشي " الذي يحبسهم باسم " يولدش " او ريق . وينفرد الوقت بتنفيذ عقاب الطنبيين من رجال الارطة ويكون ذلكا مشولة للجند والجدد .

اما في اوقات الحرب فان القبول بحرى في المعسكر وبطريقة مختلفة . وهي انهم بعد ان

بلدنا على رؤوسهم غزايشر صغيرة حمراء يسبرون الواحد بعد الآخر امام الانكشارية الذي يكون حارسا في خيمته بجيعة به كيارضباعه . ولما تقدم الواحد منهم يسجل " السان شاو " اسمه في اللائحة ثم يقض بيده اليسرى على غرافائه ثم يضربه ضربة شديدة بيده اليمنى على قفا رقبته ويأمره ان يلتحق بالارسة اندريه باسحايايه ان يقوم بواجبات مركزه الجديد . وتعتبر غريقة القول هذه اشرف من الاولى ان يلاحظ فيها نوع من التالف .

كان عدد عساكر الانكشارية يتغير وذلك منذ حكم اورخان حتى حكم محمد الثاني الذي حددته باثني عشر الف مقاتل بسمون " قل " از سيد . وقد اوصل السلطان سليمان الاول العدد الى اربعين الف الف السلطان مراد الثالث الى ستين الفا . اما في امام حكم ابنه محمد الثالث السان فان لائح سنة ١٥٩٨ تشير على وجود (١٠١٦٠٠) انكشار في الخدمة يتناولون المرتبات . وقد اد عددهم ايضا في زمن احمد الاول وعثمان الثاني وابراهيم الاول . وقد ارتفع الى اكثر من مئتي الف في اول سني حكم محمد الرابع . ولكن عددهم قل شيئا فشيئا في فترة امام عبد السلطان ان حدد الصدر الاعظم احمد باشا عددهم بنمسة وخمسين الفا واكن بعد ثلاث سنين او سنة ١٦٥٥ قام الجنود المرفوضون بضجة تهديدية اجبرت القرم مراد باشا رفع العدد الى ثمانين الفا . واتى التكتيك الساردين وخصوصا مصطفى الثالث خطة تراك هذه الفرقة الخفيفة تضعف شيئا فشيئا مع الزمن وان قلهم بحتاف عن رجالها بعدد اكبر من عساكر الهلانات ومن الجيش المبرر الضلعة التي ^{نظري} مرتبات الا وقت الحرب .

الا ان هذه العملية التي كان يراد منها تهدئة الحالة الداخلية والتوفير على خزينة الدولة كانت نيتها سيئة على السلطنة يشهد على ذلك حوادث الحريين الاخيرين ضد روسيا .

ويختلف على الدوام عدد رجال كل اربعة ويجب على ادراس التي رؤوساؤها من رتبة شورجي فقط والتي ترابط في الاستانة ان تكون كل واحدة مؤلفة من مئة رجل وذلك تبعاً للقوانين ^{للحريين} . اما الارطاط المراقبة في الولايات فيجب ان يكون عدد جنودها بين مئتين وثلاث تبعاً لاهميت الموقع الذي يربطون فيه . ويزاد عددهم وقت الحرب الى خمس مئة .

وانه لمن المحال وضع تعيين مضبوط بعدد الجنود الانكشارية الذين هم في الخدمة . فالانفا نفسه بحمل عددهم وذلك راجع لعدم صحة اللوائح القديمة من قبل رؤوساء الارطاط عند تناولهم مرتبات خودهم . الا ان حالة المرفق العام تدل على ان عددهم هو (١٢٠٠٠٠)

تقريبا ٢٠٠٠٠) في الستة انما في الحقيقة يكون عددهم اقل من ثلاثة الاف . ولكن يجب ان نلاحظ بانهم كان هناك ثلاث طبقات من الانكشارية وهي (١) - الخوند الملقبون " بالاكجي " وهم الذين في الخدمة (٢) - الانكشار المسحلة اسمائهم في لائحة هذه الفرقة . يكونوا زائدين لامحل لهم فيها . وهم يقومون بالخدمة ولا يتناولون مرتبات انما يستعملون باحدر المدن منتظرين الالتحاق بالفرقة عندما تدرس المراكز في الارطاط . ويظن بان عددهم يتجاوز المئة وخمسين الفا . (٣) - عدد كبير من الدرمانيين من مختلف المراتب يحطون شرف الانتساب لهذه الفرقة الاولى من فرق الجيش لذلك فانهم يتخذون اسم الانكشارية ويلبسون عمامة الفرقة . ويدعون " التملقحة " اي المريدن .

ويجب على الشخص ان يخدم ثلاث سنين ليحق له اخذ راتب . كان الانكشاري في بادئ الامر يتناول باراة الفرد كل يوم ولكم اذا امتاز بمسائلته يضاف الى ماهيته كل حطة يارتان او ثلاث يارات . وطول هذا القانون معمول به حتى زمن سليمان الاول الذي وضع ثلاثة انواع من المراتب . النوع الاول من ثلاث الى سبع يارات في اليوم للخوند الداملين في الخدمة . والثاني من ثمان الى تسع وعشرين باراة للخوند القديما الذين برهنوا على شجاعتهم في المعارك التي تشهد بها اثار حروجهم المشرفة . ويعلق اسم " كوردي " على الذين يقومون منهم في الشكاك التي في العاصمة . النوع الثالث من ثنتين الى ثمة وعشرين باراة يعصى للضباط والجنود الذين اصبحوا عجزا بسبب حروحاتهم او تقدمهم في السن .

ان هذا النظام لا يشمل فرقة " العجمي اوعلان " اذ بما تقيم دائما في العاصمة فان مرتبات الضباط والخوند لا تتغير الا بين يارتين وتسع وثلاثين باراة ونصف في اليوم ويكون ذلك حسب رتبة الشخص ومدة خدمته .

اما مرتبات الرؤساء الستة وكاتب الانكشارية (وهو رئيس مكتب السجلات الذي تحوز لائحة باسماء الصاكر) فتكون كما يلي : (٢٤٠٠٠) قرشا للزغا . و (٨٠٠٠) قرش لكل من السيمان باشي والقول كخيمة والكاتب و (٤٠٠٠) للزغري باشي . و (٢٠٠٠) للصنحي باشي . ومثلها للظرومجي باشي وعمامتا ولان مرتباتهما في الاوقات التي تصرف فيها مرتبات الخوند . وعلاوة على ذلك فانه يمنح لكل واحد من الثلاثة خباط الاخيرين منذ عام ١٢٢٣ (٦٠٠٠) قرش في السنة . وتسمى هذه الهبة " مصاريف المائدة " . اما المرتبات العادية للرؤساء

الارطعات فتكون مئة وعشرين بارة في اليوم اذ ما يعادل اكبر راتب يتناوله الحندي العادي .
 ان لوالانكمارية على الذي يوزع موافقة الصدر الاعلى الرتب على رجال فرقته . وهو يتناول
 من اجل ذلك حائزة اوضعية في كل مرة ترقى رتبة احد الضباط او عندما يثبت في مركزه الذي
 يبعين فيه لمدة سنة . ويكون مورد سنويا من هذه الاضحية (٢٠٠٠٠٠) قرش تقريبا . يتخلى عن
 ثلثها للقول كخزينة نائبه الاول . يستفيد ايضا كما يستفيد رؤساء الارطعات من راتب
 الحندي وذلك انه اذا كان غذا يتناول بارة في اليوم يصبح المبلغ في نهاية كل اربعة اشهر
 اذ وقت الدفع ثمان وثمانين بارة ونصف فيؤخذ من اصل هذا المبلغ ثلاث بارات ونصف للاعا
 واثنان لرئيس الارطة واثنان ونصف لسكران السراي . فيذهب اثناعشر بالمئة من اصل المبلغ
 وعلاوة على ذلك فاذا عاب احد رجال الفرقة بعم السفح مما كان عزره فان " الاوضة باشي " .
 تاحد عشرين بارة يعطى فسمانها للاعا الذي ينظر عن بعض هذا القسم لمكتب الانكمارية .
 ويرث اعا الانكمارية رؤساء الارطعات والضباط والجنود المتوفين . اذ يحس مخلفاتهم
 " بيت الملحي " . رئيس الارطة الواحد بعد المئة من فرقة الحصاعات والذي يسلمده في عمله
 غذا وكهل ومفتش وموظف من موظفي المعدل يعينه قاضي عسكر الروم ايلي . فيضعون الاختام
 على متروكات الانكماري المتوفي . فاذا كان له ورثاء شرعيون يؤخذ عشرين في المئة من متروكاته الذي
 يفرق على الاغا " بيت الملحي " ورئيس الارطة . اما اذا لم يكن له ورثاء فان كل مخلفاته تذهب
 للاعا الذي يعطى عشرين للويسيين الاخرين هذا اذا لم يكن المبلغ يزيد عن العشرة الاب عشرين
 ان يكون في هذه الحالة من حق الدولة . ويدفع الاغا لخزينة الدولة من اجل هذا الحق الذي له
 على متروكات رجاله عشرين الف قرش في السنة . وثمان ايرطعات وهي تلك التي يرأسها
 القول كخزينة والزعيم باشي والصمصحي باشي والباي شاو . يتمتع رجالها بميزة الاشتراك
 مع رؤسائهم في اقتسام متروكات من يموت من وفاقهم . يتمتع بمثل هذا الحق الذي للاعا
 في متروكات الانكمارية الموحودين في الاستالة ، الشوريجية وحكام السناحق ، السرداية " في سروا
 الانكمارية المرابطن في الولايات . انما هناك فرق وهم انهم يتكون للاعا كل ارب تبلغ قيمته اكبر
 من ثلاثة اكمال الم اى الف وخمسين ^{نفسه} . ومن السهل الاعتقاد بان مثل هذه التدابير تسبب
 سرقات عديدة .

ان رئيس رجال البستنجي ورؤساء بقية فرق المعاة الثلاث يرشعون ايضا من جنودهم .
 ولكن فقط عندما يكون الارث اقل من الف قرش . ويكون من حصة خزينة الدولة اذا تعدى غذا

المبلغ . اما في فرقة الفرسان فان للدولة وحدها حق الوراثة .

الا ان اهم ربح يتناوله الضباط هو في قبض مرتبات الجنود الوعيين الذين يدعون لهم في ارطاتهم . ومن المفروض دائما ان الارطات المربطة في العاصمة هي كاملة العدد . فيجب والحالة هذه ان تكون اربعة القبول كخيمة مؤلفة من خمسة رجل . وارعة اوعرجي باثني من ثلاث مئة . وارعة الصمغحي باثني من مئتين . وارعة الضورنه حي باثني من مئة وخمسين . ويجب ايضا ان تكون ارطات بقية الضباط من اصحاب الرتب العالية مؤلفة منها من مئة وخمسين رجلا . وان تكون ارطات "الشمرحية" العاديين مؤلفة من مئة . ولكن في المال يوجب اقل من مئة هذا العدد . ان هذه الحالة الرديئة موجودة ايضا في المواقع التي على الحدود حيث يجب على الارطات ان تكون مؤلفة من مائتين او ثلاث مئة رجل .

فيكون اذا عدد ~~ال~~ بطاقات الدفع (اذ وراق "المعدورة" التي تدفع سوحيها مرتبات الجنود "الكثيرين من عدد الجنود الذين في الخدمة . وتباع هذه البطاقات التي تختلف قيمة المبالغ المدونة عليها على الاسار الاتي : ما بين اثني عشر قرشا والتمشرين للبارة الواحدة . ويضيق كبار رجال الدولة الضباط كغيرهم يحصلوا على مثل هذه البطاقات لخدمهم وتابعينهم فيؤمنوا لهم بذلك مرتبات معينة . فتناول بهذه الواصفة عدد كبير من الاشخاص من مختلف الطبقات والمراكز اموالا من مرتبات عساكر الانكشارية والمدفعية الخ . . . بينما سداها بالعمى عدد كبير من الجنود يخدمون بلا اجر . وتزاد في كل حرب عدد هذه البطاقات التي تمنح للجيش وهي لا تنقص في حال وفاة الجنود اذ يتكتم بحذر وفاة احد العساكر سواء كان في الخدمة او قديما متقاعدا او عاجزا كما يتكتم وفاة ~~من~~ ^{الذين} يتكتمون مثل هذه البطاقات . ففي الحالة الاولى يستفيد الضباط من راتب الجندي المتوفي . ويستفيد في الحالة الثانية اهل الخدمة اذ يتابعون قبل راتبه . وقد كنت الدولة انما استتداراه حصول هذه القوضى بوضوحا حائزة لكل من يخبر بحادثة وفاة من هذا النوع . فقد منحت عشر قيمة البطاقة لاول من يخبر بوفاة صاحبه ثم عشر ثان لمكتب الفرقة وثالث لثالثا لفرقة حسبما يشاء على الارطات . ولم يشجع هذا التدبير كثيرا اذ كان الصراط يحدون غيبا فائده اكثر ان احتفلوا بالبطاقات . ان شار واحدا بثبت الرأى درجة يمكن ان يستفيد الروسا من حراء هذه القوضى . وذلك ان اذا الانكشارية حلي محمد باشا بعد ان رقي سنة ١٧٧٨ الى منصب الصدارة وعزل منه بعد بضعة اشهر ضبطت الدولة امواله فوجد عنده زعمات من البطاقات

تقدر قيمة اربعة اليومي باثني عشر الف وسبع مئة بارة اي ما يعادل (٨٣٠٦٣٠) قرشا في السنة كما يوجد لدى وكيل خزنته بطاقات يبلغ واردها اليومي تسعة الاف بارة .

وقد حاول عبثا السلطانان احمد الثالث ومحمد الاول وضع حد لهذه الفوضى . وكان مصطفى الثالث اكثر حرصا على المال منهما الا انه ايضا لم يستفد شيئا . ولكنه صم سنة ١٢٦٨ بعد ان وجد مناعة شديدة من ناحية وزراءه ضد مشاريع اصلاحاته في هذه الناحية، صم ان يفتح اعاءة الانكسارية بهذا الموضوع ان كان يعتقد بان صباء فرقته هم وحدهم يهتمون بوجود الفوضى ~~هذه~~ . واظهر له سخطه وقال له بانه يعتمد على مساعدته في اصلاح الحال . فاحابه الاعاءة بصراحة بانه يتالم اكثر من اي شخص اخر من حراء هذه الحالة السيئة والقديمة العهد وانه ياخذ على عاتقه وضع حد لها في الفرقة التي يرأسها وانه يكفي بنصف ما نعسيه له الدولة لدفع مرتبات جنوده . وقال بانه يتكلم فقط عن الانكسارية وليس عن تبرعم . فسأله السلطان بدهشة ما ^{الذي} يفتنيه بقوله هذا . فتابع الاعاءة حديثه وقال : " انما اذا تحول يا مولاي بان عساكر الانكسارية الموحدة في العاصمة لتتناول فعلا سوى نصف المبلغ المعين لها وان الباقي يتناوله رجال هيئة العلماء ووزراء الدولة وموظفو البلاط . ان امراتصدهم او كلمة من جلالتك تلحق لقطع دابر هذا السلب . الا ان هذه الكلمة يجب ان تلفظ بحزم وتحقق بشجاعة . " الا ان مصطفى الثالث الذي كان صاحب اراء اكثر من ان يكون صاحب حزم حول بصره عنه وغير محرو الحديث .

ان اكبر راتب يعطى لجندي هو مئة وعشرون بارة في اليوم وهو ايضا اكبر راتب تقاعد يعطى لرجل عسكري حتى رتبة رئيس اربعة . اما راتب تقاعد اعاءة الانكسارية فانه لا يتعدى ابدا الثلاث مئة بارة ويحدد بمئة وخمسين لكبار الضباط الانتم علاوة عن ذلك يتناولون اقطاعات عسكرية تسمى " بلكا " . بهناك اربعة عشرة تعضى كل واحدة منها بين الاربعين الف والستة الاف قرش في السنة ياخذها الاعاءة ويفرقها عادة على الضباط المتقدمين في السن او المشهورين بخدماتهم . عندئذ يطلق على هؤلاء الضباط لقب " يايايان " لان هذه الاقطاعات كانت معينة في الاصل لاعاشة الجنود من فرقة اليايا . ان السيمان باثني هو الوحيد بين اعضاء الاعاءة في الخدمة الذي يتمتع بمثل هذه الاقطاعات وذلك نظرا لفضالة موارده .

ان للعساكر الانكسارية الموحدة في الاستانة اربع نكبات وهي (١) اسكي او صر " او الارضات القديمة (٢) " بني او صر " او الارضات الحديثة . تستعمل لمكن اربعة فرقتي

"الجماعات والبلاك" وللارضة الثالثة والثلاثين من فرقة "السيمان" ايضا (٢) "عجمي اعلان قشلة سي" او الشكايات الشتوية لجنود "العجمي اودين" (٣) "الاعا قبوسي" ارفضر الاعا وعوبذات الوقت المركز العام للفرقة ومكان سكنى ارطات العمال من الانكشارية .

تقدم الدولة للانكشارية الذين في الخدمة بعض المواد الغذائية ، فتأخذ كل ارطة يوميا اربع اقات من لحم الضأن وعشرين ريفيا يزن الواحد خصا وسبعين دراخدا (١) ويعطى للارطة فيعيد الاضحي راسا من الضأن . وتأخذ الارطة ايضا في كل شهر ايتين من الضأن . هذا كل ما يتناوله الجنود من الدولة . الا ان رؤساء الارطات يحددون في تامين ما يلزم لرجالهم من الزوال ومن الخضره . اما في اوقات الحرب فان الارطات التي تشتري في الحملة تتناول الواحدة منها اثنين من اللحم نصف اقة من الخبز لكل خمسة جنود كما ياخذون العلف للحيات التي يستعملونها والتي يستعملونها للجر . اما بقية المونة فان على رؤساء الارطات تامينها . ويجرى نفس الشيء لبقية فرق المشاة الا ان فرق الفرسان لا تتناول شيئا .

ولا تقدم الدولة الملابس الا لاثني عشر الف انكشاري من المقيمين في الاستانة متبعة في ذلك ما كان قرره السلطان محمد الثاني . وبالرغم من ازدياد عدد رجال هذه الفرقة زيادة عظيمة منذ زمن هذا السلطان وبالرغم من الصعوبات الشديدة التي قدماها انكشاريون في مختلف الاوقات للحصول على عدد اكبر من الملابس فان الدولة لم تقبل ابدا ان تحيد عن القاعدة القديمة . فانهما تقدم كل سنة كمية من الجوخ الخشن صنع سالونيك وبألوان مختلفة وذلك لتفصيل اثني عشر الف ردا . يتالف كل ردا من سبعة اذرع . يضاف الى ذلك سبعة اذرع من النسيج الخشن ابيض اللون بياضا غير نقي لصنع العمامة وسبعة اذرع اخرى منها لصنع قميص . ولكن بما ان هذا النسيج الاخير غيب لا ياتي لصنع ما هو مخصص له فان معظم رجال الانكشارية يعملونه منخقة بدلا من القميص . وتعطى هذه الاضافات الثلاثة لرؤساء الارطات الذين يوزعونها حسب مشيئتهم على رجال الارطة . يقدمونها عادة لاقدم نائب الضباط والجنود .

ان المال المعطى للعمال لاعتاشتهم عويعا غير كافى لو لم يسمح للجنود للجنود الذين ليسوا في الخدمة من العمل باحدى المهن . ان رجال كل ارطة يمتنعون عادة مهنة واحدة وعندما

(١) الدراخما هو وزن يوناني قديم يساوى ثلاثة غرامات وربع تقريبا (المترجم)

فان كل جنود الارطة الرابعة عشرة من فرقة "البلاك" هم خيازون . وحنود الارطتين الثالثة والثانية والواحدة والتسعين من فرقة "الحماعات" هم قصابون . وتتألف بقية الفرق من عمال زحاج وعمال اسلحة ونوتية وصناع صناديق خشبية الخ وتعطى للارطات القابا مشتقة من هذه الاسماء . اذ يطلق على الاربع الارطات الاولى من فرقة الحماعات اسم "دوجي" اي جمالين . وسبب ذلك ان رجال هذه الارطات كانوا فيما مضى يخفون وقت الحرب امتعه السلطان ويطلق اسم خاصكي على الارطة الرابعة عشرة من نفس الفرقة وذلك لان رجال خاصكي السراى يتحدون في هذه الارطة . واسم اوقجي " على الارطة الثامنة والعشرين المؤلفة من رايمي السهام . واسم "بكيجي" على الارطة التاسعة والعشرين من فرقة "البلاك" لانه يخرج منها رجال الدلائع . ويطلق اسم الزغرجية والصمضجيم الخ . . . على جنود الارعات التي يرأسها كبار الصباغ الذين يحطون لقب زغرجي باشي وصمضجي باشي الخ . . .

في ذلك

لم تكن الملابس العسكرية زمن عثمان الاول تختلف عن ملابس بقية الناس والسبب هو انه لم يكن هناك في ذلك الوقت سوى عساكر الولايات . وعندما انشاء اورخان فرقة الانكسارية لم يعط لرجالها اشارة يمتازون بها سوى لبس قلانس لهذا ايضا وكان الناس ائذ يلبسون قلانس من اللباد مختلفه الالوان . ولم يسم لبس العمائم الا في زمن خلفائه السلاطين وبصورة خاصة في عهد السلطان محمد الثاني . وابتدأ ضباط الانكسارية زمن مراد الاول في استعمال القلانس الحمراء المزركمة بالذهب تشبها بالامير سليمان باشا ابن اورخان وعمه اول من احتاز الدردنيل لمحاربة الامبراطورية البيزنطية في اوروىا . ثم بعد ذلك اصبح للانكسارية لباسا خاصا . ولم يكن لباس عسكر نائبي الضباط والحنود يقوم على اللون انما كان يقوم على شكل الرداء الخارجي وشكل العمة والقلنسوة المخصصة للحفلات . اما لباس رؤساء الارعات فكان يختلف فقط في لون الاحذية التي كانت حوا لروءساء ارعات فرقة "البلاك" وصفراء لعيرهم وسوداء لنواب الضباط . وكان يمتاز القواد بخوذهم المحلات ببرش طويل . اما لباس الاعا فكان مطاشلا للباس رؤساء الحجاب . وكان شكل اللحية داخل ايضا في هذه الشارات التمييزية فعلى البعض ان يتركواها طويلة ولا يتمكن البعض الاخر من ذلك . اما لدى الجنود فلا يحق ارتداؤها الا للمتقدمين في السن . ويجبر القواد والضباط الاربعة اللون من كل ارطة على تركها طويلة يؤمنع ذلك للمروءسين الثلاثة . اما المتقى فان الامر يترك لمشيئته .

لاتقدم الدولة في اوقات السلم المعدات الحربية لرجال الجيش . ويكون النبت اسلح الوحيد

الذى يحمله من كان يقيم منهم في العاصمة . ويضعون بشدة كما يضع الناس من حمل السلاح .
ويسمح لهم فقط وضع الخناجر في منطقتهم . ولا يسمح غير الجنود العربيين على الحدود والعساكر
البحارة لما يكونوا في المواني . ومع ذلك فكبيرا ما يسبب هذا الاستثناء وقوع حوادث دامية كما
دلت التحارب في الاسنانة في كل مرة يجهز اسطول للبحار وانه ليس من السهل دائما على رجال
الحرس وهم بنبايتهم ردع رجال مسلحين بالسيف والمسدسات .

انما الامر الذي يدهش اكثر من ذلك هو في انه يجب على الآخذى نفسه تامين ما يلزمه
من السلاح وتتراى له الحرية في اختيار النوع الذي يريده . فالبندقية والسيف والمسدسات والنبوت
والفأس هي الاسلحة العادية لجنود المشاة . ويستعمل الفرسان السيف والرمح والسهام وحرابا مختلفة
الصول ويستعملون احيانا الاسلحة النارية . وبعض الرجال العسكريون كبرا باسلحتهم لا فقط من جهة
عيبه النوع بل من جهة اناقتها ايضا . فالقصة تلمع على سيوفهم وعلى مسدساتهم اما الفقراء منهم فانهم
يبدلون كل ما عندهم لارضاء هذا الميل او اقل ما يكون في الا يحرموا خجلا امام رفاقهم .

الا ان الدولة تقيم لها مستودعات في العاصمة وفي كثير من المواقع التي على الحدود تحفظ فيها
معدات حربية ويكون عمل رجال الحة جيه قائم فقط على حراستها فينقلونها الى المعسكر حيث يفرقها
القواد (بعد ان يستعرضوا الجنود) على الذين ليس معهم اسلحة . انما يحق لعتبار كل ما يخرج
من هذه المستودعات ضاعفا من الدولة .

ولفرقة الانكشارية علم كبير (يبرق) دعي " الامام الاعظم " على شرفه الجني اشهر ائمة
المسلمين . وهو مصنوع من قماش حريري ابيض اللون كتب عليه باحرف ذهبية آيات من القرآن
تتعلق بالواجب الديني في محاربة الكفار . وكتب في الوسط باحرف كبيرة . . .

" و يضرى الله نضراً مبنياً "

" فتح من الله وضرى بين و بئر الزينى يا محمد "

وتنصب هذه الراية في المعسكر ~~المسلم~~ امام خيمة الاعا مع اربع رايات غيرها مطوية في قرب حفر اللون كما تنصب ايضا اطواغ الاعا الثلاثة . ولكل اربعة عليها الخاتم نصفه الاول احمر اللون والنصف الثاني اصفر ينصب امام خيمة رئيس الارطة .

وللازمات ايضا شاراتها الخاصة وتكون سلاحا ما اوجيوانا او نباتا او ادر شي . اخر . يراه يراها الناظر مرسومة على الخيم والصايح وعلى ابواب المساكن .

لكل اربعة قدرا او ثلاثة قدور كبيرة تستعمل لطبخ الشورية والارز . ويهر على حراستها نائبو الضباط . وتتعدد الارطاط كثيرا في الاحتفاظ بشاراتها ولذاتها وقدرها وبصورة خاصة بهذه الاخرة التي تعد اهمية كبيرة . ~~وهي من جنس الفضة التي ياتي~~ ^{من الهند} ~~ذلك~~ هناك اعتقاد خرافيا يجعلها تنظر الى ضياعها كاجربلية تحول بها ولهذا فان ضباط الارطة التي اخذت منها قدورها وقت الحرب يعزلون من ضاصبهم . وفي حال ارحلتهم الى مراكزهم السابقة فانهم لا يدخلون الارطة التي كانوا فيها . كما انه يلحق الارطة في مثل هذه الحال عارا دائما . ان لا يحق لها بعد ذلك ان تحمل قدورها عندما تستعرض الجيوش في الاحتفالات العامة . ان الاعتقاد الموجود عند كل افراد الجيش نحو هذه القدور عظيم لدرجة انه في الفتن التي حصلت في الاستانة بين العساكر كان الهدى الرئيسي للجنود الذين عصوا هو نزع قدور اربعة الارطاط منها لاستدراج رجالها الى معسكرهم حيث يتحاسبون معهم . وترسل في هذه القدور كل يوم الشورية من الشكايات الى مختلف رجال الحرس الموجودين في الاستانة . فيطلق القدر من عريفه بركوة من الخشب يحملها خديان على اكتافهم ويضئ وراعا خدي ثالث يحمل مغرفة كبيرة . فيمشون بخصوات متزنة ويصمت عيق . ويبتعد الناس عن طريقهم وهم ينظرون باحترام الى هذه الانبياء التي يشوبها ~~ذلك~~ الاعتقاد الخرافي الذي يؤمن به رجال فرقة الانكشارية المخيفون .

ان الخدمة العسكرية في المدن وفي المواقع المحصنة تقوم بها بقية السلم فرق المشاة الاربع وعلى الاخص فرقة الانكشارية التي لها في الاستانة مراكز للحراسة في كل محطة وكل صاحبة . ان كثيرا من هذه المواقع العسكرية يرجع عهدها الى زمن فتح القسطنطينية فان محمد الثاني بعد ان دخل المدينة عين لحراستها رجال فرقة "العحمي اعلان" . اما اربعة فرقتي الحملات والبلاط التي يرأسها قواد من رتبة "شوريجي" فانها تشترك مع جملة الجبجية . في حراسة بقية الاماكن الواقعة في منتصف المدينة . اما رجال المدفعية فانهم يقومون بحراسة صاحبة علة .

والعساكر البحرية بحراسة مركز اماره البحر . وفرقة الحرس " البستحية " بحراسة شواطئ البوسفور . وفي اوقات الحرب يقوم رجال فرقة " العصي اعلان " مقام رجال الارعات الذين يلتحقون بالجيش في حراسة الاماكن التي كانت معينة لها .

ويقوم بحراسة كل منها ولعدة سنه بكاملها اعداد الاكبر من رجال الارطة المعينة لحراسة ذلك المكان حيث يجعل فيه رئيس الارطة مكان اسمه ومعه جميع ضباطه . ولا يقوم الجنود في اي مكان بالحراسة . لان هذا النوع من الخدمة غير مألوف . الا ان الفرق المراقبة ترسل تحريكات من ثمانية الى عشرة رجال يحتارون المقاطعة التي هم فيها عدة مرات في اليوم . ان العدى الرئيسى للدوريات الليلية التي يقوم بها قواد مختلف الفرق وبصورة خاصة قواد فرقة الانكشارية هم مراقبة رجال الامن العسكريين " البوليس العسكري " . فانهم يتفقدون على المراكز العسكرية ويقفون فيها لاختذ تقارير رؤساء الارطة فيتناولون قنجانا من القهوة ويدخنون ويعطون وقت انصرافهم بعض المال لرجال الحرس . ولما يخرج الصدر الاعظم ويطوف متخفيا فانه يفتش ايضا هذه المراكز العسكرية فيتحادث مع الضباط . ويتكلم على الجنود . وهو كلما كور هذه الدوريات كلما زادت محبة الحيوان له ، والسلمان نفسه عندما يخرج للنزهة متخفيا من النادر ان يمر ~~ب~~ بجانب هذه المراكز ، دون ان يضح رجال الارطة بعض القطع الذهبية .

الا ان الجندي لا يرضى بهذه الاعطية ^{فقط بل} يستعمل كل الوسائط لسلب النقود من الناس ومنذكر مثلا واحدا من هذا القبيل وهو انه على الجنود ان ينظفوا عرقات المقاطعة التي هم فيها الا انهم ^{مادة} يسكنون بيدهم مكسة يقدمونها لعامة الناس من المارين وخصوصا لاهل الذمة . ويمكن للانسان ان يتحاشى ذلك بدفع بعض قطع من النقود الصغيرة او القيام بعملية التنظيف . واذا خطر لاحد من العامة الغضب فان التجنود يجبرونه على حمل المكسة واذا تشدد في الممانعة ^{نظم} لا يتأخرون من ضربه بها . ويتساهل الضباط مع جنودهم في مثل هذه التعديات لانهم لا يجدون دائما غضالقة في اقتسام الاموال معهم .

ويبدو هؤلاء الجنود منتبهي الفظاظة في حفظ الامن فاذا اقتبسوا على احد الجناة فانهم ^{بمكسهم} يعاملونه بسوء . وفي حالة لحاقهم به فانهم يرسلون على رجلهم النبائيت التي يحملونها مما يعرضهم يعرضه ويعرض المارة لخطر الحرج . واذا قبلوا لقاء خصام فانهم ينزلون غريا بالعصي على كلا الطرفين . وانه لمن الطبيعي ان ترمي مثل هذه الاعمال الرعب في القلوب .

ولهذا فانه عند مرور احدى الدواب يخزى الناس ولا ياتون باى حرج .

وهناك خمسة انواع من العقابات العسكرية : السجن لمدة بضعة ايام والحد البسيط والحد الشديد والسجن المؤبد والاعدام . ويحق للضباط البسطيين اصدار الحكم بالقصاص الاول . ويقوم " الاوضم ياشي " بتنفيذ الثاني فينزل بقضيه على ظهر او عجز المذنب الملقى على الارض بتمسح وثلاثين جلدة . ويصدر رئيس الارعة العقاب الثالث ويكون تسعا وتسعين جلدة بنفذه عادة باحتفال شواش الفرقة . اما اصدار الحكم في المعايين الاخرين فيتطلب ان يكونا من قبل الاعا ومن الصدر الاعظم ايضا . ويحسب رجال الانكشارية المحكومين بالسجن المؤبد في القلاع التي على الدردنيل والتي على البوسفور . وعم يمدمون في هذه القلاع ايضا اذا كان الحكم قاضيا بالموت فيشد حبل على اذانهم ليلا ويقتلون خنقا ثم تلقى جثثهم في البحر . ويكون العزل المصحوب بالنفي هو العقاب المعتيادي اكثر من غيره الذي يصدر على القواد .

انه من النادر تنفيذ العقاب الصادر على الرجال العسكريين امام الناس . اما اذا كان الامر يتطلب ذلك مثلا عندما يشب عليه انه اقترف جرما نحو بعض الناس فان العزل يسبق تنفيذ الحكم . فانه يحاكم امام الصدر الاعظم المقيم في ديوانه ويكون وكلاء فرق الجيش الست المنظمة حاضرون هذه الجلسات التي يعقدها الوزير . فيسال الصدر الاعظم وكيل الفرقة التي ينتمي اليها المحرم اذا كانت الفرقة ترضى بعمل هذا الاخير . فيكون جوابه بالنفي عندما تنزع عن الجندي عمامته وتمزق باقته اشارة الى اقالته . وبعد ان ينزل هذا الى مستوى عامة الناس ينفذ فيه الحكم الصادر عليه . ان للضباط الموجودين في الولايات على رؤوسهم نفس الصلاحيات التي للقواد في الاستانة . ولكمهم عندما يهدرون حكما قاضيا بالموت يجب ان ياخذوا موافقة البكشا الحاكم قبل تنفيذ الاعدام .

ان عقاب الهرب من الجندية في اوقات السلم يكون بالسجن او بالجلد . اما الذي يهرب اثناء الحرب فيجب حسب الاوامر ان يوصم بالدمار كجبان غير جدير ان يخدم الدين والدولة . انما هناك حالات يكون فيها الرؤساء اكثر صرامة فانهم يقضعون انف واذني المجرم حتى انهم يحكمون عليه ايضا بالموت خنقا . وينفذ فيه هذا العذاب في خيمة واقعة في وسط المعسكر ومخصصة للجلادين تسمى " ليلك شاد ري " .

عندما انشا اورخان فرقة الانكشارية امر بالذبح ~~لرجالها~~ ^{لجميع} البنية ~~بهم~~ . ولكن بهذا الضم لم ~~يصل~~ ^{يصل} بعد وفاته .

وتتمتع جنود الانكشارية بامتيازات عديدة . فانهم ياتون بالدرجة الاولى بين فرق الجيش . ولا يعاقبون الا من قبل ضباطهم ولا يدفعون غرائب ومن النادر ان تضبط اموالهم . ويتقدم لها الفرقة على رؤساء بقية الفرق كما انه متقدم على وزراء الدولة . ويتقدم عليه قائد افرقتي السباه والسلاحدار في احتفالات عدى الفطر والاضحى فقط لان خاتين الفرقتين اقدم من فرقة . وله رتبة باشا من ذات الطوعيين . ويضع غالبا في اوقات الحرب رتبة باشا من ذات الثلاثة اطواف وكان يتمتع فيما مضى بميزة عدم الالتحاق بالجيش م الا اذا كان يقوده السلطان بنفسه . اما في غير هذه الحالة فان احد نوابه يسير على رأس الفرقة . ولكن منذ ان اجبر الصدر الاعظم سنان باشا لغا الانكشارية سنة ١٥٩٤ ان يتبعه الى بلاد المجر خسر اعوان الانكشارية هذه الميزة . وعندما يعزل من منصبه يحصل الاعا دائما على ادارة احدى ولايات الدولة الا اذا كان منضوبا عليه . ويقوم الاعا واثنان من نوابه وعمل القول كمخيم والسبحان باشي في السهر على سلامة امراء العائلة المالكة . الا ان هذا العمل اصبح شكليا ومحصرا في قصر جنة الامير المتوفي . وجب ان تعرض ايضا جنة السلطان بعد ان يلفظ انفاسه الاخيرة على انظار الاعا لكي يتحقق اذا كان الموت طبيعيا لمزيل شكوك الناس والجيش .

وتتمتع فرقة الانكشارية ايضا بميزة كبيرة وهي في ان السلاطين يسجلون اسماءهم في الارطة الاولى من فرقة البلاى وترجع هذه العادة الى زمن حكم السلطان سليمان الاول . ان قيل عذا بينما كان يتفقد الشكاك التي بناها حديثا ان ياخذ من يدى القول كمخيم راتب اربعة اشهر من الراتب الذى يعطى للانكشارى القديم الخدمة او باعتبار اربعين بارة في اليوم . واخذ السلاطين من ذلك الحين يعمون متخفين من امام الشكاك في ثاني يوم تفرق فيه المرتبات على الجنود . وياخذ " الباشا حوудар " من يد اوضة باشي " الارطة الاولى الراتب المعين للسلطان الا ان عذا لا يتاوله بل يامر الباشا حوудар ان يفرقه على الجنود الحرس بعد ان يضيف عليه قبضة او قبضتين من القندقلي " السبك " وقد خصصت على شرط عذا العمل الاخوى الجليل في شكة هذه الارطة عرفة مزينة بعروش تبقى دائما معلقة .

ويقتخر الانكشارية ايضا بوجود اسم احد امراء القرم " قبلان كرام " في سجلات الفرقة القديمة وسبب ذلك ان هذا الامير التجا على اشرقلاقل قامت في القرم الى حصن قافا وسجل اسمه في الارطة الواحد قوالنسمين من فرقة الجماعات ليتأكد جيدا من الحماية التي كان يطلبها من

الانكسارية المرباطين في ذلك الحصن .

ويحتفظ السلطان بعادة ثانية اول ما قام بها السلطان سليمان الاول وذلك قبل بناء الشكاك الحديدية بيضه اعوام . فقد اوجب ان يقدم له احد غباغا الانكسارية كلبا من الشراب في كل مرة يمر بها من امام الشكاك القديمة التي كان فيها مركز القيادة العامة (١) . وبخمس عشرة نفديم الكاس " دومة باشي " الارضة الواحدة والستين من فرقة الجماعات . وادر هذا الامر الى تعيين عرفة اخرد للعرش في شكة هذه الارضة . وينزع السلطان كاس الشراب على فمه ثم يضع فيه نقودا ذهبية . ومن العادة ايضا ان يقدم صاحب احر كلبا من نفس الشراب لرئيس الخصيان السود الذر يتبع السلطان . ويحرق نفس هذا التكريم للصدر الاعظم عندما يمر في موكبهم امام هذه الشكاك .

نقطة

وقد منح السلطان محمود الاول نفسه السبق للشكاك الحديدية ورفع قيمة هذا العمل بان جعل اذا الانكسارية يقدم له كان الشراب . وقد اعلن السلطان في قراره " الخط الشريف " الذي اصدره سنة ١٧٥٠ في تثبيت هذه العادة ~~بمنحه~~ بمنحه هذه الميزة لفرقة الانكسارية مثلاً بخدمه سليمان العظيم اراد اظهار شعوره بحسن التفاته نحو فرقة شديدة بشارع القديوة ومعروفة بامانتها وسامية بخصالها الخيرية والدينية والتي لم تضم بين صفوفها سوى الابطال والشهداء والتي لا تزال تفيض عليها الكفاية ^{الشراب} الالهية وتساعد على الملائمة ولا تزال تستحق ثناء وحسن التفات المملوكين العثمانيين اسباده وحداتها . وقد وجه هذا الامر حسب العادة للصدر الاعظم الذي ارسله الاعا الانكسارية مع الرئيس اقندى مصحوبا بعدد من مولفي البلاط . وقد وصل هذا الوزير الى قصر الاعا بين صفين عظيمين من الانكسارية وعندما اصبح على ساقفة قصيرة منه ترحل عن حواده وتقدم رافعا يده ماسكاً به الخطي شريف " اعطاه الاعا الذي تقدم لاستقباله وعلوا اثر ذلك دخار داعة مجلس الشورى العسكري الكبير حيث استرجع من الاعا الامر السلطاني وقراه على الحضور الذين استقبلوه بهتافات عالية ثم تبع ذلك دعا طويل من شيخ الفرقة طالباً من الله ان يحفظ السلطان ويحفظ سارية الدولة ودمج جسر الانكسارية . وتقرر في الجلسة التي عقدها بعد ذلك الاعا مع قواده ان يقدم الشراب لرئيس الخصيان السود لما يرافق السلطان ويحرق ذلك بان يحمل الصمغجي باشي الكاس ثم يناوله للزعرجي باشي الذر يقدمه بدوره لرئيس الخصيان . وقد تقرر ايضا ان يحرق مثل هذا التعظيم للصدر الاعظم عند مروره وان يتقدم الاعا حتى خارج القصر لاستقباله وان يحمل " الكخده يري " كاس الشراب ويناوله للقول كخية

ومحمد الرابع ومصطفى الأول . ومع ذلك فان هذه الثورات لم تكن الهدف منها ابداء اصلاح الاعمال الجائرة او الانظمة المعقودة . انما كانت فقط موجعة نحو اشخاص من اصحاب الشوكة اما لكونهم سبوا باعمالهم غضب الناس عليهم او ان اعداء هم الخصوصيين لم يجدوا غير هذه الوسيلة لاستفادتهم . ولا ينبغي الجنود والناس من مثل هذه الثورات ^{كثيرة} النهب مع غلب عزل الاشخاص الذين عينوا لهم من قبل مسيبي الفتنة . ومع هذا ينبغي الجميع بانهم يعطون بمقتضى كتاب الله قائلين بان مآليهم بنيه على الشرع . ويذعنون حتى الى اكراه المفتي في اصدار فتوى ضد اعدائهم واجباره على الحكم بخلع السلطان ايضا .

في مثل هذه اوقات الجباضة حيث تكون السلطة معدومة القوة يستعمل الذهب لتهدئة العصاة الا ان هذه الطريقة تدفعهم للقيام بقتل جديدة . وعندما يستتب الهدوء يطلب من الحندي ان يؤدى بعض الاخلاص والساعة . وفي احواله الوحيدة التي يطلب فيها مثل ذلك لان اداء البيمين غير غرض ابداء على مولفي الدولة وما ان عذره العادة لم تكن معروفة ايضا زمن الخلفاء فان الدولة اذا حاولت ادخالها يرفضها الناس معتبرينها بدعة من البدع . يؤدى الحندي البيمين واضعا يده على طبق من الفضة وضع فيه كتاب القران وسيف وغبر وملح .

ونجد في التواريخ العثمانية مثالا عربيا عن البيمين العسكرية . ففي سنة ١٦٢٢ كان احد البانداوات العاصمين اسمه "اباظم" على رأس قوة عظيمة مؤلفة من فرقتي السيمان والسيباه وبينما كان رجال الحيش يتزعمون الى رمي الرمح "الحريد" في سهل "عوقه" خرج بحيون من رجال السيمان واراد رفاقهم الثارلهم من رجال السباه ناسبين حصول هذه الحوادث الى خصة مدبر من قبله . الا ان السباه تمكن من تهدئتهم واجرى الصلح بين رجال الفرقتين على هذه الصورة . وضع بين الفرقتين نصف دائرة من الخشب على شكل قوس علق عليها سيف بين قطعة من الخبز وكعبة من الملح . ثم تقدم رؤوساء الصرفين واقسموا بان يتحدوا اتحادا ثابثا ولعنوا كل من يخالف هذا العهد . وردوا جميعهم عند القول "فليصبح من يحنث بيمينه فيسنة لهذا السيف القاطع وليتحول خبزه ومدحه الى سم" ثم بعد ذلك لكي يبرصوا نوعا ما على رجال فرقة السيمان مشى جنود السباه تحت القوس وهم يصادقون على قسم رؤوسائهم

الجيش الثاني : الجبهه جبه

ان هذا الجيش المعد لحراسة ونقل الاسلحة والمعدات الحربية لم يحصل له نظام مستقر الا في زمن محمد الثاني عندما كان عدد فقط سبع مائة رجل . وقد وصل عدد رجاله زمن مراد الثالث الى سبعة الاف وخمسة مئة . وهو مؤلف من فرقتي البلاء والجماعات تضم كل واحدة منها عددا من الارطاط يقسم البعض منها في الاستانة في شعبة حيلة كائنة قرب جامع ايا صوفيا والبعض الاخر موزع على المواقع التي على الحدود حيث يدعوهم الناس وخصوصا في بلاد مصر والعراق . ويطلق على قائدهم لقب " جبه جي باشي " لمجد

الجيش الثالث : الطوبجية

كان عدد السلطان محمد الثاني عند رجاء هذا الجيش اذ جعله سبع مئة رجل اي كعدد رجال الجيش السابق . الا ان هذا العدد نما واصبح خمسة الاف وذلك في زمن مراد الثالث ويرابط قسم من رجاله في الولايات ويسم في الاستانة حيث له شعبة كبيرة في علقة على ضفة البوسفور . ويدعى قائده " طوبجي باشي " .

الجيش الرابع : الطوب عربه جبه

ان هذا الجيش المؤلف من ثلاثة الاف رجل تقريبا معد بصورة خاصة للاعتناء بتفادق المدافع والقيام بنقل المدافع وله رئيسه الخاص وهو الطوب عربه جي باشي وله شعبة في حي " اخور قابو " .

والسلطان مراد هو الذي اشأ هاتين الفرقتين الاخيرتين . ويذكر التاريخ بان العثمانيين استعملوا المدافع لأول مرة سنة ١٤٤٠ وذلك في حصار سيمندريا او مان اعدره . ولرئيس الجبه جبه راتب معين قدره عشرون الف قرش في السنة ويتناول رئيس الطوبجية خمسا وثلاثين الفا ورئيس الطوب عربه خمسة عشر الفا . ان مرتبات رجال هذه الفرق الثلاث

في تقريبا مائة لما يتناول الانكسارية وهم ياخذون ايضا المون في ايام السلم كما ياخذونها في اوقات الحرب.

الجيش الخامس : السباه

ان جيش الفرسان هذا وهو اقدم من جيش الانكسارية كان يعبر عشرة الاف رجل في زمن السلطان محمد الثاني . ولقد رفع احمد الثالث عددهم الى خمسة عشر الفا وهو منقسم الى بلكات ويسمى رئيس الواحدة منها " بلك باشي " ولهذا الجيش اربعة قواد وهم : الباش كخية والكخية يري والباش شاويش والباش بلك باشي ويطلق على رئيس الفرقة لقب سباه اغا .

الجيش السادس : رجال السلحدار

ان هذا الجيش الثاني للفرسان هو قديم ويرجع عدده الى عهد سابقه ولم يكن مؤلف من محمد الثاني الا من ثمانية الاف رجل . الا ان احمد الثالث زادهم الى اثني عشر الفا وترتيبهم مائل لترتيب جيش السباه ويدعى رئيسه السلحدار الفاضل لقب يحمله ايضا كما مر معنا احد كبار موظفي السراي . ولكن بمعنى اخر اذ يراد به حامل السيف . . .
والحق بفتح الجيم بجيشي السباه والسلحدار اربعة بلوكات ودعيت بالبلكات الاربعة (١)
ان هذا الجيش هو اقدم رجال الفرسان في الدولة . انشاء اورخان تمثالا بفرقة الفرسان التي فيها الخليفة عمر تحت هذا الاسم واعدها لحراسة راية النبي محمد . وقد اعطيت له مهمة حراسة العلم السلطاني الذي يدل فيما بعد براية النبي وجدها السلطان سليم الاول في مصر . ولقد كان مؤلفا في الاصل من الفين واربع مئة فارس الا ان عددهم وصل (١) وهي : علوفجيان يعين ويسار وغرياي يمين ويسار ويراد بكلمة علوفجيان الجنود الذين يتاولون الرواتب . وبكلمة غرياي الجنود الغرباء .

تدرجيا الى ستة عشر الفا . وبما انه كان معتبرا جدا وكان رؤساء الدولة يشتقون عادة من بينه
 رجاله رسلهم الذين يبعثون بهم الى الولايات في مهمات يشتق الرسل منها فان بقية
 الجنود كانوا يسمون للدخول فيه . وكان يشار الذين يبرزون اكثر من غيرهم حتى وان كانوا
 من العشاة ما يصبون اليهم ويكون ذلك ككفاة لهم . وكان يقبل فيه ايضا رجال حاشية السلطان
 بعد ان يخدموا بضعة اعوام في السراي . ولكن بما ان البلديات الاربعة كانت تسي^ر استعمال
 نفوذها لدرجة اصبحت مسببة علو الديوان وعلى الناس . وبما لهذا كانت تسبب في مختلف
 الاوقات خصوصا في زمن السلطانين مراد الرابع وابراهيم الاول فتد^ا شد من تلك التي بسببها
 الانكسارية فان الدولة شمرت بلزوم اصلاحها ولهذا فانها لم تعتمد فقط على ارجاع عدد رجالها
 زمن محمد الرابع الى الفين واربعمئة اذ الى ما كانت عليه في الاصل بل الحقتها بجيشي السبا
 والسطحدار فضم الى الاول سلكا البعين والى الثاني سلكا اليسار . واصبح بذلك رؤساء هذه الاربعة
 تابعين لقائد السباه والسطحدار ، الا انهم كانوا محتفظين بمهمة حراسة راية النبي . فانهم
 يحملونها ويكنون خفراء لهذا وقت الحرب ويضربون خيامهم حول الخيمة التي وصعت فيها .
 ان عدد الفرسان كان ^{في} مناسبا وعدد الانكسارية . ولقد ~~تغير~~ عدد ^{هم} الى (٢٥٥٩٠)
 وذلك زمن محمد الرابع عندما احرقت اصلاحات كبيرة في فرقة العشاة انما بعد بضعة اعوام
 زيد العدد الى اكثر من (٥٥٠٠٠) عندما اضطرت الدولة الى زيادة عدد الانكسارية على اثر الضعف
 التي قام بها المسرحون من الخدمة . الا ان عدد عم انقهر عدة مرات في زمن حكم السلاطين
 الذين اتوا بعد محمد الرابع . فبمقتضى ما قد قدر زمن احمد الثالث فان عدد الفرسان الذين
 يطلق عليهم جميعا اسم سباه او الفرق الست يجب ان يكون مؤلفا زمن الحرب من ستون عشرين
 الف فارس . اما في اوقات السلم فلا يوجد نصف هذا العدد .
 كانت شكاك هؤلاء الفرسان كاتبة سابقا في الاستانة وادرنه وبروسه كما كانت في جوار
 هذه المدن الثلاث . اما الان فانها موزعة في الولايات . ~~ويكاد يكون منهم الى خمس مئة~~
~~منهم~~ في العاصمة لان ليس لهم ~~شبكة~~ مساكن . ويسكن الغير المتزوجين في قنادق او خانات كبيرة
 تسمى " قورشلوكخان " .

يتراوح راتب الفارس تبعا لعدد سني خدمته بين الست والتسع والتسعين بارة

ويتناول كل قائد من القلائدين ثمانية وأربعين ألف فرس في السنة إنما يترتب عليهما أن يدفعوا من أصل هذا المبلغ رواتب رؤوساً ضابطاً . ولفرقة السباه أعلام حمراء . وتكون صفراء لفرقة السلحدار وخضراء ، وخضراء مخططة بأبيض للبلكات الأربعة .

إن هذه الجيوش الستة التي ذكرنا ترتيبها تؤلف قوة الدولة الجربية المنظمة . وروؤوساً لها الستة هم القواد الوحيدون الذين يظلمون في الخدمة في أوقات السلم . وهم لا يندسبون مع الجيش إلا إذا كان يقوده على الأقل أحد الباشوات من ذوي الألقاب الثلاثة والذي يحمل لقب سر عسكر . ويؤخذ قائدا الفرسان والوجه حي باشي عادة من بين رؤساء الحجاب الذين هم من الموظفين المدنيين . أما قيادة التطويجية والطوب عرجية فإنها تعطى دائماً لأقدم رجال هاتين الفرقتين خدمة . ويكون لباسهما من الحرير الأطلس ومن اللون الأزرق الفستقي .

الجيش السابع : بقية فرق الجيش المنظمة

ضاربو القنايل " الدومبرجية " وواحد أو ثمان " لغمجية " وهم يؤلفون فرقتين خاصتين . ولم تكن تعد الأولى حتى سنة ١٧٢٢ إلا أنها ثمة رجل أعطيت لهم أقطاعات عسكرية . ولقد توصل الكونت بونفال Bonneval عندما أصبح قائداً عليها بلقب دومبرجي باشي وذلك في زمن السلطان مصطفى الثالث التي زيادة ثلاث مئة آخرين تعنى لهم المرتبات . وأوصل سليم الثالث عددهم إلى ألف . ويقود هذه الفرقة في الأيام الأخيرة رجل إنكليزي مسلم من الموتدين يدعي إنكليز مصطفى . وهناك فرقة " شاطر متري " يقومون بالاعتناء بخيم وسرداقات السلطان وفرقة أخرى مؤلفة من متربين " أي موسيقيين فقط ورد ذكرهم في الفصل الذي يتحدث عن السراي . إن هاتين الفرقتين والفرقتين السابقتين لأعلاقة لهما بالجيش الستة المنظمة .

لا يتعلم الجنود أبدا وهم في الجيش على استعمال الأسلحة أو على الحركات العسكرية إنما يتعلمون فقط ضرب النبال بمدارة وإطلاق البنادق والمدافع . وكان ضرب النبال أحب الألعاب التمارين لمحمد الثاني ولقد كان بارعا جداً في استعمال الأسلحة . ونذكر بهذه المناسبة

ان النبي محمدا كان يعتبر السهم ساجا الهيا وتقول رواية عربية قديمة ان ادم لما
 تشاك الله من ان السهم تلتهم ثمار الارض ظهر له الملائكة جبرائيل وميكائيل وسما وقال
 له " استعمل هذا السلاح فانه قوة الله " . وكان محمد الثاني ينصح عساكره دائما
 وخصوصا الانكشارية بالتمرن على ضرب السهم . ولقد خصص من احول ذلك منذ اول ايام افتتاح
 القسطنطينية سدا . واقعا قرب علقة ومولايزال يحمل حتى الان اسم " اوق ميداني " .
 او ساحة السهم . لما بعد اختراع ابارود ~~مراغا~~ استعمال هذا السلاح ينزل تدريجيا .
 ان الذبكات التي حلت بالباب العالي من جراء الحروب الاخيرة جعلته يشعر بضرورة
 ايجاد جنود يكونهم احسن تدريبا وعلمة . وقد اتم السلطان عبدالحميد بعد معاودة
 صلح قينرجه المتعددة سنة ١٧٧٠ بإنشاء فرقة مدفعية جديدة مؤلفة من الف رجل
 وضعتها تحت امرى الصدر الاعظم وسبوتة به راسا . وجعلت ثكنتها في " لوندشتاتك " .
 على بعد ميلين من الاسكندرية وكان يقوم على تدريبها ضباط افرنسيون . وكان يسمى رجال
 المدفعية هؤلاء " السرعة حية " او السريون . وقد سمى اليهم سليم الثالث عام ١٧٩١
 اربعات من التفتكحية " اى حلة البنادق " ووضع على راسهم غياط اسمه عمراغا وكان قدسجن
 مدة عويله في روسيا . وفي مدة بضعة اعوام اصبحت هذه الفرقة التي كان فيدها جنود من القسار
 ايضا مؤلفة من خمسة عشر الف رجل . ولقد بنيت لهم ثكنة جميلة في اسكندرية كما انشئ لهم
 لهم ايضا ثكنات عديدة في الولايات الاسيوية القريبة من العاصمة وفي ادينة . وكانوا يدرسون
 على الطريقة الأوروبية ويرتدون الملابس العسكرية وكان راسهم قلنسوة البستنجية او
 رجال حرس السراى لانهم كانوا الحقوا بهؤلاء الذين هم بدورهم كانوا فرعا من فرقة
 الانكشارية . ولقد احدثهم الدولة برجال الحرس اعلاه ان يخففوا من ريشه الانكشارية نحوهم
 الا ان هؤلاء كانوا يشطرون الى هذه الفرقة الجديدة بعين النيرة وكانت الدولة تخاف ان
 تظهر هذه الشافسة الدخيل الوحد في اول حرب تدخلها . فعجا فقد ظهرت بصورة مخيفة
 سنة ١٨٠٧ بعد بضعة اعوام من الانشقاق الذي حصل بين الباب العالي وروسيا . فلقد
 خل الانكشارية سليم الثالث عن الحرس . واخذوا من خليفته مصطفى الرابع ~~بأزالة~~ هذه
 الفرقة الجديدة وعلى اعدام رجال الدولة الذين كانوا يدافعون عن هذه الناحية من
 النظام الجديد .

الفصل الثاني

العساكر التي تمتثل من الاقطاعات العسكرية : الزعامة والتميز

اوحد بالدولة الاقطاعات في جميع الولايات تقريبا . وذلك عند افتتاحها هذه الولايات وكان لهذا العساكر هدفان وهما تأمين الدفاع عنها وكفاية لخدمات العساكر . وكان الفارس (السباه) صاحب الاقطاع يحجب لفائده العساكر سرور صراب الدولة المفروضة على اراضي اقطاعه . هذه الاراضي التي يعمل فيها الفلاحون المسلمون او المسيحيون " الرعايا " وكان له عليهم حقوق السيد المطلق للمعبد . ويعتبر الفلاحون كملوك لدار ولهم عندما يورثونها لاشخاص من عائلتهم عبر اولادهم فانه لا يحق للورثة امتلاك الارض الا بعد ان ياتوا موافقة السباه وبعد ان يدفعوا له مالا معينا . وانما لم يكن للمتوفي ورثا يجب ان يعطي السباه شروكانه من الاراضي لاحد حيران المتوفي^١ لا يحق للسباه ان يتصرف بها لفائدة اعله .

ويترتب على السباه ان يقوم في اقطاعه وان يسير الى الحرب عندما يطلب منه وان يكون مصحوبا بعدد من الفرسان مسلحين بالدرع يكون عددهم مناسب بقيمة اقطاعه . وذلك بمعدل فارس واحد لكل ثلاثة الاف بارة من موارده وهو تعيين يسمى " سيفا " . وان كل اقطاع يكون موزعه اقل من عشرين الف بارة يسمى " تيمارا " والذي يكون موزعه ما فوق ذلك يسمى زعامة . (١)

وهذا النظام معمول به الان . ويخضع رجال السباه القاطنون في احد الاقضية لرئيس يسمى " الاي بك " الذي ياتخذهم وقت الحرب لعند السنجق بك حاكم اللواء . وحكام الالوية يقدمون بدورهم ما تجمع عندهم من الرجال للباشا حاكم الولاية .

(١) للمترجم - يقول دوسون بانه يجب على السباه ان يقدم فارسا لكل ثلاثة الاف بارة من موارده الا ان المؤرخ التركي جودت في محله الاول انذر ترجمه الى اللغة العربية عبد القادر اقدى الدنا رئيس محكمة تحارة بيروت في الصفحة ٩٩ يقول ثلاثة الاف اقجاية وليس ثلاثة الاف بارة يقول : " " وكان عددهم في ذلك الوقت في الولاية المذكورة اثني عشر الف سيف (او رئيسا) بموجب القنود كان من القانون ان كل صاحب سيف يحب عليه^٢ من يتوجه الى الحرب ويصبح

ولقد امر السلطان مراد الأول سنة ١٣٧١ بأن تكون هذه الاقطاعات وراثية يرثها الابن عن الاب فقط وفي طرح للدولة اذا لم يكن لسااحب اقطاع ورثا، ذكر ويمكن للباشا ان يمتدحها لسانه اخر من نفس اللواء او لاحد اسرته انقضاءه . وان ار جرمه يرتكبها صاحب الاقطاع لا تسبب لا ولده خسارة حقهم في ^{نسبة} الاقطاع منه . وان كان لشخص واحد عدد من اراضي التصارفانه يمكنه تحويلها الى " زعامة " ويمكن ان يحصر العكس ابدا ان ان تقسم الزعامة الى تيمارات . وفي حال انقضاء الاقطاع بين الورثاء يجب ان تكون قسمة الحصة الواحدة (٢٠٠٠٠) بارة على الاقل .

طلت الاقطاعات العسكرية عظمه قرنين بعد عهده الباشاوات لانها صاحب الاقطاع المتوفي الا انه صدر قرار سنة ١٥٣٠ لا يحق بموجب الاحكام ان تصرفوا الا الاقطاعات الضئيلة القيمة الا بالناقة فانه كانت تمنح بموجب اوامر سلطانية " توحيه قريان " والتي يجب على حاملها ان يبرزها للاحكام اللواء الذي عليه ان يتحقق من صحة نسبه او من كونه ابن سياه وان يعرف ما كان مقدار دخل ابيه وفي ارض سنة توفي . فاذا كانت التحقيقات التي تام بها تؤيد ادعاء ابن فانه يعطيه " تذكرة " بذلك يحصل بموجبها من الباب المالي على " براءة " يقوم الحاكم بتدوينها عنده . واصبح يعطى بحسب هذا القانون لهذه الاقطاعات " تذكرة لواء " تحييا عن الاقطاعات التي يمكن للباشا ان يمنحها حسب مشيئته والتي تسمى " تذكرة سبيل " اي بدون تذكرة . وكانت القوانين تحرمه ان يمكن اعطاء الاقطاعات الابناء السباه وكان من المستحيل تقريبا فيما مضى على غيرهم ان يحصلوا عليها ولكن هذا القانون اعمل فيما بعد .

كان يصل عدد الخيود زمن السلطان سيمال اذول من ارباب الزعامة والتيمار الى المتقي الف رجل . الا ان عادات ردتية جدا تسربت الى انظمتهم كما تسربت السريقة جيوش الدولة وذلك في زمن خلفائه السلاطين ويسبق حاسه في ايام حكم مراد الثالث الضعيف . معه جبه حية) يكون عددهم على حسب ما يبلغ تيماره بنسبة كل ثلاثة الاف اقبانية (الاقبانية تلك بارة) سبه جي واحد (او عسكري واحد) . ثم يقول بعد ذلك وفي نفس الصفحة " ومن كانت مرتبة ثلاثة الاف درهم الى ٢ الف درهم يسمى صاحب تيمار والذي يكون رتبته مافوق ذلك فهو صاحب زعامة " نلاحظ مما تقدم بان الموضع جود تيفرق بين الاقبانية والدرهم بينما دوسون يذكر كلمة بارة في الجملتين .

فقد كان معظم اصحاب الاقطاعات لا يذنبون الى الحرب ويظل عصيانهم هذا بدون عقاب بالرغم من ان القوانين كانت تعاقب المخالفين كل حسب نوع اقطاعه فلما ان توخذ منه اويديف مور سنة . وكان الباشاوات يطرحون بالمزاد العلني اراضي الزعامة والتميز ثم يحكمون بها لمصلحتهم الخاصة . وكان الاقطاع الواحد يباع لعدة اشخاص يحضرون جميعا لاخته ويكون كل منهم حاملا براءة بموجب ذلك . وكانوا يقلقون الالوية بصخبهم ومارعاتهم التي كانت دائمة في اغلب الاوقات . ولم تكن عناء ار مراقبة وان يموت السباه ولا احد يشعر بذلك ولقد كان يحصل ان ياخذ بعض الناس براءات من توفي من جنود السباه ويحولونها الى اسمائهم ليحصلوا بموجبها على اقطاعات . وكان السلطان مصطفى ~~السلطان~~ الثاني بانه سيصلح هذه الفوضى اذ اعاد القانون الذي يقضي بسحب صراحيات الباشاوات من حق التصرف بهذه الاقطاعات . اما العملة بقيت ولها تغيير سوى سببها ان اصبحت الوزارة هي التي تمنح الاقطاعات التي اصبحت فريسة لاسحاب الحظوة وللرشوة والتمكيد . وانتقلت ملكية هذه الاقطاعات بعد زمن قليل الى موظفي السرار والموظفين المدنيين . وقد تدعورت هذه المؤسسة العسكرية الى درجة جعلت السلطان مصطفى الثالث يعجب في ابتداء الحرب التي اعلنتها الدولة على روسيا سنة ١٧٦٨ من ان يحد في الجيش فقط عشرين الف فارس تقريبا . واراد السلطان عبدالحميد بعد صلح قنجره ان يعيد الى هذا الجيش نظامه القديم واصدر من اجل ذلك سنة ١٧٧٦ مرسوما شديدا للصفحة الا انه لم يؤثر شيئا لان الضحة التي قام بها كل الذين كانوا يتمتعون بتلك الاقطاعات اخافت الوزارة الى درجة جعلتها تطلب من السلطان ان يتخلى عن مشروعه . فالدولة اذا محرومة من قسم كبير من جيشها الذي من الممكن ان يؤمنه لها احداث هذه الاقطاعات . فالاشخاص الذين استلموها وتخصمهم الان يؤخرونها ويعفون انفسهم من الخدمة العسكرية . ويعفون انفسهم ايضا من واجب تديين ما يتعين عليهم تقديمه من الفرسان الى الدولة عندما يقتضي الامر ويكون ذلك بدفع بدل لخزينة الدولة قدره خسون عرشا عن الفارس الواحد . وكان السلطان يحول تدريجيا الى اوقاف الاقطاعات التي تصبح خالية . ولا يوجد من هذا الجيش في اوقات السلم سوى قسم ضئيل وهذا القسم يؤلف فرقة من اربع مئة رجل يدعون *Yıldırım-Zavası* اشئت سنة ١٥٩٧ وهي تقسم الى اربعتين : الخديقلي متفرقة والخديقلي شاوي . يرأس الاولى المتفرقة باشي ويرأس الثانية الشاوي باشي . وعولا ~~ال~~

الجنود المذهبون الى الحرب الا مع السلطان او الصدر الاعظم ليشتركوا مع السباه في
حراسة الراية النبوية . اما في غير ذلك فانهم يظلون في العاصمة حيث يقوم منهم دائما خمس
وعشرون او ثلاثون في حراسة قصر الصدر الاعظم وهم يرسلون غالبا في حمل رسائل
الدولة الى الولايات .

الفصل الثالث

العساكر التي تقدمها الايالات ، " ايلة عسكى "

ان كل ايلة تقدم وقت الحرب حصتها من العسكرو يكون عددهم من الف وخمسة
الى ثلاثة الاف رجل ويكون فيهم من المشاة بقدر الفرسان تسليحهم الايالة نفسها ويمشون
على نفقتهم . وتجند الشعوب الكردية القاعة في ايلات ديار بكر وشهر زول وثان وسرها
خمس وعشرين الف رجل تقريبا . وتقدم القبائل التركمانية عشرة الاف رجل . ويضاف الى
الجيوش ايضا فرقة مؤلفة من ستة الاف بلعاري من المسلمين واليونان يعملون كسوار وخدم
يطلق عليهم اسم *Yekimci* وقد انشئت هذه الفرقة سنة ١٢٢٦ بامر من السلطان مراد
الاول وقد اعفى من دفع الضرائب كل من يدخل فيها . ويذهب معهم في اوقات السلم كل
سنة ثمان مئة الى الاستانة حيث يأخذون الى الحقول خيول السلطان وموظفي القصر وخبول
الصدر الاعظم وكبار الشخصيات . ويسمى رئيسهم " فوينوك سرعسر " وهو تابع لرئيس اسطبلات
السلطان . واخيرا فان الافلاق والبيغان تقدموا كثيرا من الارطاق يقودها حاكمهايتين
الولايتين او يقودها ال *Boyarda* . ويعمل هؤلاء الجنود بصورة خاصة في تهديد الطرق
للجيوش . وكانت كل هذه العساكر التي تقدمها الايالات تؤلف فيما مضى مئة وعشرين الف
رجل .

الفصل الرابع

فرقة حرس الباشاوات وحنود المقاطعات الخاضعة لهم .

تتألف عساكر الباشاوات الخاصة من حاشيتهم العسكرية " لوند " ومن " انجيلو " اي لابسى الدروع . وعليهم ان يجهزوا هذه العساكر مقابل المقاطعات العسكرية المنوطة لهم . هذه الاقطاعات هي املاك معينة في كل لواء ومخصصة للحاكم وتكون بمثابة راتب عادى له . وتكون موارد مثل موارد الزعامة والتمار . انما تختلف عنها في انها تخدم الحاكم كحاكم صاحب منصب ولا تخصصه شخصيا ولقد كان مورد السنجق باقيا من اقطاعه بين اثنين وخمسة مائة الف بارة . وكان يصل مورد حاكم الولاية الباشا الى البكرين الى ضعف هذا المبلغ . وكانت هذه الاقطاعات في كثير من الايلات مثل ايالة الروم ايلي وارضروم ودياربكر وفان وشهرزول تدرب مبالغ تصل الى اثنتي عشرة الف بارة . وتختلف هذه الاقطاعات من ناحية ثانية عن الزعامة والتمار في انه يجب على اصحابها ان يجهزوا عساكر من الفرسان بنسبة فارس لكل خمسة الاف بارة . يتناول الحكام ايام الحرب في اخر كل حملة شقة تصل قيمتها الى عشر ملى مورد عم من اقطاعاتهم . عدا ذلك فان الحكام من درجة سنجق باق لا يمكن عزلهم ولا يدفعون مالا عند تنصيبهم وهم يعيشون ببساطة ما يمكنهم متابعة الاعمال التي تدفعهم اليها حيثهم ودخول الحرب بحيون مضاعفة عن التي يترتب عليهم تجهيزها . ولذا فان مجموع حيوشهم يتعدى المئة وخمسين الف رجل . الا ان هذه المؤسسة العسكرية اخذت تتضعف في زمن مراد الثالث عندما اصبح سولى على الالوية بدلا من الحكام من درجة سنجق باق باشاوات من اصحاب الطوعين والثلاثة اطواغ حيث تكون مراكزهم غير ثابتة ان يمكن عزلهم عدا ذلك فانهم يدفعون مبالغ طائلة عند تعيينهم ويظنون بانهم مضطرون للتظاهر بالابهة الامر الذى يدفعهم الى الافلاس .

ان عساكر الباشاوات الخاصة والفرسان المجهزين من قبل ارباب الزعامة والتمار

كانوا يوفون اذا فيما مضى جيشا يتعدى الاربع مئة وخمسين الف رجل يشترك قسم منه في الحرب ويبقى القسم الاخر لحراسة الولايات . ولا يزال النظام القديم معمولا به . لكن

القوانين ليست صارمة كما كانت قبلا وانحطت هذه المؤسسة العسكرية التي كانت سابقا هائلة الى درجة اصبحت بالكاد تتألف من مئتين الف رجل .

الفصل الخامس

الجيش الغير عادية والفرق الحرة

وهي تتألف من العساكر المبرية (ميرى عسكرى) والعساكر المحلية (يرلى نغارات) واصحاب السيوف المسلحة (دال تلج) والفدائيين (سردن كشدى) ام بالمعنى الحرفي : الذين تخلوا عن رؤوسهم * والمتطوعين (كونللو).

(١) يطلق اسم العساكر المبرية اى التي تتناول عربات على كئائب مؤلفة من الف رجل من المشاة والخيالة يحدها ضباط يقودونها حاملين لقب " بن باشى " اى رئيس الالف . يقبل فيها كل شخص يتقدم ويكون حاملا ببندقية وسيفا او رمحا ومسدسين ويعطى له عند دخوله خمسة وعشرون قرشا اجرة تعده للخدمة مدة الحرب اما الراتب فيكون قرشين ونصف في الشهر للاخذ من المشاة وخمسة للفارس . ويتناول رئيس الكتيبة الفى قرش كراتب له مدة الحرب ويأخذ عدا ذلك عشر ما يعطى لرجاله . ويعطى للعساكر المبرية عند وصولها الى المعسكر المؤن والعلف لخيولها كما يعطى لها لحم ايضا . وعندما تنتهي الحرب تعطى للاخذ الحرة في ترك الخدمة اوفى تجديدها . وكان انحطاط مؤسسة الجيش الاقطاعية هي التي دعت الى ضرورة تجديد هذه العساكر التي كانت تؤلف القسم اذكبر من جيوش السلطان مصطفى الثالث الذى كان يخاف من ان يزيد عدد الانكشارية ورجال السباه . وكان يوجد في الجيش العثماني اثناء الحملة التعيسة سنة ١٧٦٩ عند ابتداء الحرب ضد روسيا ، سبع وتسعون كتيبة من العساكر المبرية الا ان الجنود كانوا عديمي الطاعة والروءساء خالين من اى خبرة عسكرية .

(٢) العساكر المحلية . يجند رجالها من سكان المكان المهدد لغو لتقوية الجيش

المرباط المؤلف من فرق منظمة . وتؤلف من هذه العساكر بلدات تسرح بعد زوال الخطر .

(٣) اصحاب السيوف المسلحة . هو اسم يعطى للبلدات مؤلفة من مئتين الى خمس

بلان

مئة رجل ينتخبون من مختلف فرق العسكرية . ويتناول الواحد منهم يوميا من عشر إلى عشرين راتبة . وهم يقومون بأكثر الأعمال خطورة كحفر الخنادق ووضع الألغام . والقيام بالهجمات الخفية . وفي كل مرة يقوم الواحد منهم بعمل محيد يضاف إلى راتبه ثلاث راتبات . وعندما تنتهي الحرب يرجعون إلى فرقهم ويتمتعون بحيلة بقية حياتهم بالفوائد التي اكتسبوها بمآثرهم .

٤) الفدائيون وهم كما يقيمهم كتاب من الأولاد الضائعين ولكنهم أكثر منهم حياءً ويمشون أمامهم في الهجمات الخطرة جدا . وهم عادة من الانكسارية يولفون عددا من الكتابات تتألف الواحدة منها من (١٢٠) رجلا يتناول الحدر منهم بين عشرة وعشرين قرشا عند دخوله في الكعبة ويضاف إلى راتبه بين الخمس والخمسة عشرة راتبة . وعدا ذلك فانهم يكافون على شجاعتهم في المناسبات الكبيرة بهبات عظيمة . ويعلق على رئيسهم لقب اعا الفدائية . ويتخذ فرق الخيالة ايضا من عولا الأولاد الضائعين .

٥) المتطوعون وهم رجال دفعهم اليوس اوحب العنيفة او العصبية الدينية الى حمل السلاح . ويعمل في ايام الحرب رجال من الدراويش المتحمسين في اشغال حمية المسلمين الدينية بخطينهم ويحشونهم للسير ضد لعداء الدولة والعداء الاسلام . وهم ينحون دائما في اكثر الولايات في وضع نواة فرق المتطوعة هذه . ويستلم القيادة اشهر ~~من~~ عولا المتطوعين فيسيرون نحو المعسكر رافعين راية احدى فرق الجيش المنظمة ويكون عادة راية فرقة الانكسارية . ويزيد عدد المتطوعين كلما توغلوا في السير ووصل للسكان الذين يرفضون تقديم الاعمة لهذا الجيش . تقدم لهم الدولة عندما ينضمون الى الجيش كل ما يحتاجون اليه طالما هي بحاجة اليهم ثم انما بعد ذلك تبذل كل ما يسعها لارجاعهم الى بلادهم . انما يصبح عولا المسرحون من الخدمة من المتطوعين وغيرهم من الجنود الذين انتهت مدة خدمتهم والهاربون من فرق الجيش المنظمة مصيبة على الولايات بما يقومون به من اعمال السلب . ويظل الحال معهم طيلة امد للحرب وبعدها بعدة طويلة ايضا .

ولا يتخذ السلطان ابدا خدوا من رعاياه من اهل الذمة كما انه لا يقبل فرقا اجنبية في جيشه لان المعتقدات الدينية تمنع ذلك ويعتقد الناس بان انتزاع غير المؤمنين المسلمين عن بلدهم لا يمكن ان يسبب غير المصائب . وما من مؤرخ مسلم الا ويلوم بعدة اتفاق الخلفاء الفاطميين في مصر مع الصليبيين في فلسطين ضد بني ايوب في الشام . واتفاق بني حمدان مع

البونطيين ضد المصريين . اذ يقولون بأنه غير ممكن الا ان يظهر الانسان بالعار عندما يرى اتحاد الصليب مع الهلال واختلاط الاعلام الاسلاميه برايات المسيحيين . ويلمح المؤرخون العثمانيون بنقل الندة السلطان بيابريد الاول لقبوله في جيشه فرقه اضافيه مؤلفة من عشرين الف مصري . وهم ينسبون انهزامه امام تمرلوك سنة ١٤٠٢ لعدله عذا . وعندما اندلعت الحرب الانجليزية بين ابناء بيابريد الاول وحمد المير محمد نفسه مكررا لقبول مساعدته الامبراطور عمانوئيل الثاني/ عندما سار عام ١٤١٣ لمحاربة الامير موسى الذي كان لايزال سيدها على الروم ايلي . الا انهما اتفقا في ان يعمل الجيشان دائما بعيدين عن بعضهما . ولم يقلل الصدر الاعظم الداماد ابراهيم باشا ان يضم عام ١٦٠٠ الى جيش الدولة ، فرقة مؤلفة من ست مئة افرنسي وهو ما بقي من ثلاثة الاف منهم كانوا يوثقون حامية حصن Tapa في المجر ، الا بعد ان نزلت بالجيش العثمانية تكات عائلة في الحرب الطويلة الامد التي كانت ناشبة بين الدولة العلية والنمسا . وقد عرزن هؤلاء الافرنسيون السكار المحاربين خدماتهم على الصدر الاعظم لانهم كانوا على اختلاف مع القواد النصارى . ويقول المؤرخ حسن بك زاده بانهم خدموا في الجيوش العثمانية باخلاص وانهم اظهروا في كل المناسبات منتهى الحية والشجاعة . وقد بقي منهم البعض في زمن عثمان الثاني حيث برزوا امام هذا السلطان في محاصرة " خعين " او خوتيه .

وانا قبل الباب العالي في بعض الاوقات خدمات رجال عسكريين من الاجانب فانهم يكونوا تقريبا دائما من المهندسين او من عباة يقومون بالتعليم .

الفصل السادس

في الحرب

منتهى دائما الباب العالي في ان يرعي بدقة وعلى الاقل شكليا الاحكام الشرعية قبل ان يعلن الحرب . ويحاول دائما في الدرجة الاولى ان يحلل الحرب شرعا وذلك بفتوى يصدرها الفتى امام مجلس شورى كبير . ثم بعد اصدار هذا القرار يدخل شيخ كل الجوامع

السلطانية الى الديوان وقراء رئيسهم وعمومهم حاميا صوفيا سورة من القرآن تحب عن الحملات العسكرية .

ان اول تدبير تقوم به الدولة عند اعلان الحرب هو توقيف وسجن سفير الدولة المعادية . والدافع الى خرق هذه الحقوق الشخصية هو للتأكد من حصول الخلاف بين الدولتين ، ولتدريج حقد الشعب والجنود ، ولنزع الحكومة المعادية من الحصول على معلومات عن حالة الدولة العسكرية وللحصول على واسطة سهلة للقيام عند الحاجة باجراء مفاوضات سرية لعقد الصلح . واخيرا للاحتفاظ برعية مقابل تأمين سلامة الرعايا المسلمين المحتمل وجودهم في بلاد الدولة المعادية .

ويسبق هذا التوقيف دائما احراز بعض الاعمال القانونية . ان يدعى السفير لمقابلة الصدر الاعظم الذي يعرض له امام المجلس شكور الديوان ويساله اذا كان يريد ان يعتمد باسم حكومته بتادية التعويضات المطلوبة للاحتفاظ بالسلام . وامام جوابه الذي يكون بالنفي متذعرا بعدم سلطته يبلغ بان مصلحة الدين والدولة تدفع حلاقة السلطان ان يطلب الحق باسمه للملاح . ويعتبر عوسحين الدولة ويقاد راسا من الباب العالي هو موظفو السفارة الى حصن السبعة ابراج . فيذعبون على الخيل تخفرهم اربعة الانكسارية التي تولد حرس الصدر الاعظم .

وفي اليوم التالي يصدر الباب العالي بيانا يقدمه رسميا لجميع السفارات الاجنبية . ثم يتبعه قرار سلطاني " خط شريف " بتقليد الصدر الاعظم قيادة الجيوش وبثبيت كل الصلاحيات المتعلقة بمنصبه . ويقوم احد كبار موظفي السراى بحمل امر السلطان الى الصدر الاعظم ويقدم له من قبله ايضا سيفا مرصعا بالحدادة الكريمة ، وحوادا محمزا باثني عدة . ويستقبل رسول السلطان باحتفال كبير . ثم يقرأ الرئيس افندي " الخط شريف " بصوت عال وفي وسط الديوان ويقترب بعد ذلك جميع اعضاء المجلس من الصدر الاعظم لتقبيل ثوبه . وترسل الدولة قبل كل شيء فرمانات الى حكام الولايات تبين اسباب اعلان الحرب مصحوبة بفتوى الفتى واثامهم باجراء التنظيمات الضرورية للدخول في الحرب . ومن عادة الباب العالي ان يعلن الحرب في اواخر الخريف لكي يتمكن في الشتاء

من اجراء استعداداته التي لاتسير بسرعة . وفي اربعين تحصل احتفالات عديدة تعلن سير الصدر الاعظم . وتتصب في اليوم والساعة المعينين من قبل منجمي السراى في باحة قصر الصدر الاعظم احد اصوله وذلك في وسط حلقه من شيوخ الجوامع السلطانية الذين يقومون بالدعاء والتسبيح . وفي الاوقات التي يخرج فيها السلطان نفسه مع الجيوش ينصب في باحة القصر الاولى امام قلعة الاسلحة بحضور كبار موثقى الدولة طوعان من الاعوان الستة التي لاتكون الا للاحضرة السلطانية .

ويحتفل بعد اربعين يوما بابية اكر من ابهه الاحتفال السابق بتخطيط اول معسكر في سهل داود باشا اذا كانت الحرب في اوربا وقرب اسكدار ان كانت ضد بلاد العجم ويحضر هذا الاحتفال الكهنة بان ورئيس الشرفيات وروؤساء فرق الجيوش المنطقة . وفي اثناء ذلك لايفتا رجال الدين تلون الادعية طالبين من الله ان يبارك جيش الدولة العلية . وفي اليوم التالي ينقل الطوف الذي كان قد عرض على انظار الجمهور مدة ستة اسابيع الى المعسكر حيث ينصب امام خيمة الصدر الاعظم . وعويدي طوف المحظية " كوز طوفى " لانه يسبق دائما بمرحلة القائد الاعلى . بينما يحمل طوعان الاخران امامه ويضعان امام خيمته في كل الاممة التي يوقف فيها . وكانت تجرى هذه الاحتفالات بابية عظيمة في ايام حكم السلطان سليمان الاول . عنما اعطيت لصدر الاعظم الفزان ابراهيم باشا مهمة السير لمحاربة النمسا عام ١٥٢٩ فان له الانكسارية هو الذي سلمه قرار تعيينه فاندأ اعلى وقد حمل الاعا رسالة السلطان من السراى الى قصر الصدر الاعظم ينبعده ضباط من فرقته . ولقد ارسل له السلطان مع قرار تعيينه ثلاث خلع منية وثمانية حماد مجهزة وجوادا تاسعا مجهزة باثمن عدة وسيفا وقوسا وكان محارة بالحجارة الكريمة وزمات عديدة من افخر الاقمشة . فلقد حمل بكرياك الروم ايلي وعو بائي في الدرجة الاولى بين حكام الالوية اعوان ورايات الصدر الاعظم الى سهل داود باشا واقام هذا الاخير في معسكره الاول حفلة رائعة لكبار رجال الدولة ولجيش العاصمة . وفي هذا الوقت زيده في عدد رايات السلطنة . ان لم يكن هناك الى ذلك الزمن سوى اربع نصفها ابيض اللون والنصف الثاني اخضر كتب عليها بخيوط ذهبية آيات من القرآن . وقد اسيف اليها ثلاث رايات يقول الموضح حسن بك زادة بان جميعها تمثل الكواكب السبعة السيارة . فكانت واحدة بيضاء والثانية خضراء والثالثة صفراء واثنان حمراواتان واثنان مبرقشتان .

وفي اليوم التالي من نقل ارفع الصدر الاعظم الي المعسكر تخرج بلطات عمال الجيش الانكسارية تتقدمهم اربعة العسس بانسي التي يتبعها عدد كبير من الدراويش يرددون كلمة الله هو . وفي هذه المناسبة ينضم الي هذه البلطات كسر من اصحاب الفنون والضلوات من اهل العاصمة وذلك لكي يشجعوا الموكب . وتعرف كل واحدة منها براياتها وبعض نوع اعمالها الخاصة التي مثلها ولدان يتبعان البلاك في عربة مزينة باقنعة والاعلام . ويسيرون الحراثون في الطلعة ويكون رئيسهم حاملا مدا يعرف منه يده الحب ويديه . ثم يتبعهم اصحاب المكاتب يتقدمهم حملان عليهما اقنعة ثينة بركبهما ولدان يحملان بيديهما كتاب القران وهما يشدان التسابيح ثم ياتي الطحانة والخبازون والقصابون والخياطون وصانعوا الاحذية والسراخون الخ ويكون مسرورا في عربات الصياغ وصانعي الحلوى بعض نماذج من اعمالهم تتلوا بالذهب والحجار الكريمة . ويكون كل هؤلاء الممار متسلحين ومرتدين الملابس العسكرية عدا الرعيان الذين يحتفلون شبايهم الا ان الحيوانات التي يقودونها تكون مغطاة باقنعة ثينة ومزينة رؤوسها بالريش . ياتي الحدادون اخر الجميع ثم تسير وراهم اربعة من الانكسارية لتختم الموكب وفي اثناء السير يتلوا رؤوسه الارضات بصوت عال الادعية طالبين من الله ان يحفظ السلطان وان يعزز حيوشه كما يخلو ينزلون ايضا اللعنات على اعداء السلطنة . وتردد الحمادير نون امين وتسمع في الفضاء طلقات البنادق والسدمسات اشارة الفرح .

ويترك الانكسارية بعد يومين العاصمة ويسير على راسهم " السقا " او " اونيانية " كل البلطات وتسير الارضات بالترتيب حسب اقدمية رؤوسائها ومعني الخنود يتقدمهم اثنان يحملان البنادق ويكون لكل بلاك حوادلان يحملان راياتهم وقدره . وبعد مرور البلطات يظهر حسب سباط كل الارضات من اصحاب رتبة الاوسه بانسي فما فوق ويتقدم بعدهم الشوريجه وكبار قواد الجيد . ثم ياتي بعدهم الاعا تتقدمه جياده واصولعه واعلامه وراية الانكسارية . ويكون محاط بالدراويش ومعظمهم من فرقة البقشاشية ثم يتبعه حرسه المؤلف من خمس مئة رجل يرتدون زيا خاصا . وينتهي الموكب برجال الموسيقي العسكرية . وتتلوا الادعية من كل صوب طالبة فلاح السلطنة كما تسمع التسابيح الدينية واغانى احرية مطربة امجد العسكري ومثيرة الي النصر الذر بعد به الدين الاسلامي المؤمنين ، والى واحب الجندي في ان يتحمل بصبر الام الحرب وان يضحى حياته بسرور دفاعا عن الدين وعن الدولة . وتعمل هذه الاعاني لحظم التأثيرات في

روح الحمامير ونحوها على النساء اللاتي يجبن على هذه ذعاني بمباركة العساكر وعن يعملون
بالحماح

أما بقية فرق الحرس السلطنة فأنما تسير في الأيام التالية. عندها يذهب الصدر
الاعظم ويطلب الأذن من السلطان للمسير. فيحضر إلى السراي يرافقه كبار أعضاء عيانت الدولة
الثلاث. ولما بدخل قاعة العرش يرض عليه رؤوساً مولفي قصر السلطان ويحضر هذا الأخير
شياً من الحرير الأعظم الأبيض محل بغراً السور وله طوق عرض يتدلى ومزين بشبابك من
الذهب. كما يقدمون له سيفاً وقوساً وكماناً ومسابين مرصعين بالاحجار الكريمة ويتناول من
يد السلطان الراية النبوة بينما يكون المفتي ورجال الدين يتلون ^{وهذا الصلوة} ~~الصلوة~~ ^{بهم} ~~الصلوة~~ الادعية. وعندما يختر
يتناول الراية لرئيس الابعين ضابطاً ^{وهذا الصلوة} ~~الصلوة~~ ^{بهم} ~~الصلوة~~ خصباً لحراستها ثم يحتفي ^{بهم} ~~الصلوة~~ ^{بهم} ~~الصلوة~~ أحد حياض
السلطان وينحدها أيضاً عشرة حياض مجهزة بأبهي عدة ومشتين عبراً منقطة بالاقمشة.
ويذهب الصدر الاعظم إلى المعسكر مجتازاً المدينة بموكب حافل فخم يتقدمه كبار
رجال الدولة تتبعهم مولفو دوائهم ورجال حاشيتهم. ويكون في هذا الموكب جماعة من
الدراويش ينتمون إلى مختلف الفرق ويحملون القووس مشدين التساييح، كما يكون أيضاً هيئة
مؤلفة من ستة آلاف أمير بالبستهم وعماماتهم الخضراء. وعدد من العلماء يمتطون الحياض،
وخمس مئة كاتب من مولفي مكاتب الدولة، وكل رؤوساً الحجاب بالبستهم الرسمية والثمانية
عشر حوادا التي تقاد بأيد وهي تخدم الصدر الاعظم، وحياض القائم مقام وأمير البحر وعدد
تسعة. ويتقدم أمير البحر حاشيته وكبيرة مؤلفة من أربع مئة بحري بزيهم الخاص وحاملين أسلحة
نارية ثم يأتي بعدهم القائم مقام وحرر الصدر الاعظم المؤلف من كئيتين الواحدة منهما مؤلفة
من أربع مئة أنكاري يرتدون الملابس الحمراء وعليهم حلة النور ويكتمون مسلحين بالحراش،
والثانية من مئتي وأربعين "تفنگجي" يرتدون الملابس الخضراء ويحملون البنادق. وهم
يقودون خمسة جمال يحمل كل منها موفعين صغيرين. ثم يأتي بعدهم مولفو الصدر الاعظم
يحملون أغواعه وأعلامه ثم القانميا عسكر ونقيب الاشراف، والراية النبوية يحيط بها أربعون ضابطاً
"منققدار" خصصوا لحراستها، وخمسون رجلاً من فرقة حرس السلطان، وكل قارئ القرآن
التابعين للامراء والحوامع الكبيرة وهم يرتلون التساييح. وأخيراً يأتي الصدر الاعظم مصطحباً

حواده ، ماشيا على بين المفتي الذر . كون راكبا عربة تتعمه حاشيته المولقة من ست منه رجل البعض منهم يلبس الدروع والبعض الآخر اردية حمراء محلاة بمشابك ذهبية وفضية والكل مسلح يحملون الحراش باليد . ويأتي بعد الصدر الاعلم الكيخية بان يتقدمه اربع مئة من حملة البنادق ، ثم تالدا فرقتي السباه والسلاحدار وبعدها على راس ثلاثة الاف فارس ، وينتهي الموكب اغلا الكسارية مع ثلاث مئة رجل يلبسون الدروع .

ان ترتيب سير هذا الموكب يكون بموجب عادات قديمة يقوم بتطبيقها رئيس التشرىفات ساعده ثلاثة من رجاله ، ويكون على حاشي الطريق عند سير الموكب صفان من رجال الكسارية يمتدان الى خارج المدينة ثم يقف بعد هذين الصفيين رجال الحبه حيه والطوبجية الاب عريجه ثم يقف بعدهم على عتق المعسكر حرار الخيم . وعند وصول الموكب بذعب الصدر الاعلم لوضع الراية النبوية في السراوق المخصص لها . ويكون المفتي يفتي بالاشراف ومشاعير العلماء حاسرين هذا الاحتفال الذر يجرى على اسواق التسابيح واعلاق المدافع والاعلام الموسقى العسكرية .

انما تحصل دائما فوضى اثناء سير هذا الموكب الفخم وهي مسببة عن اباحة الجنود وعن عصية الدراويش والاشراف الذين ينتمون للراية النبوية التي - يعتقدون انها تدنس من انظار عبر المسلمين ، يشتم واعانة اهل الذمة الذين يدفعهم الفصول لتفريج على الاحتفال . ولم يحمل هذا الحق من الذمة كما وصل اليه في يوم ٢٧ اذار سنة ١٢٦٩ عندما ذعب الصدر الاعلم امين محمد باشا من الاستانة الى محاربة الروس فينما كان يحتاز المدينة بموكبه خرج صورا وسط فلك السكون العميق يصيح " ابعثوا القار " وفي الحال ردا الجمهور هذه الكلمات واسيد اليدا " اغردوهم انحرؤهم " وعلى اثرها نزلت الشتائم على المسيحيين الذين كان عددهم اكثر من غيرهم من المفرجين . ثم زاد الهياج وهجم الجنود عليهم بحراهم ورماحهم . واخذ هؤلاء المساكين الذين عوجوا بغتة من كل صوب . ويكثرون منهم لما لم يتمكنوا من الهرب فخلعوا قانسهم معلنين اسلامهم . ولم تراع حرمة النساء اذ كانوا يسوقون بالحراش ويعرجون ارجاء ومسجونين من شعورهم لرميهم في الازقة المجاورة او في الدكاكين . ولقد قتل بضراحتهم هؤلاء المجانين مئة شخص تقريبا وجرح اكثر من اربعمئة . وكان بينهم عدد كبير من المسلمين الذين ارادوا حماية المسيحيين . ولقد اعين ايضا بقساوة عدد من الاوروبيين منهم احدى

العمليات المحترمة بمدة أحد السفراء الاحاب (١) . ولم يطلع الصدر الاعظم على هذه الاعمال الشرسة الا بعد وصوله الى المعسكر . وبالرغم من التفتيشات الدقيقة التي قام بها رجال الامن فان السلطة لم تتمكن من اكتشاف ومعاينة سوى عدد يسير جدا وكانوا من اشراف واجنود .

ان غياب الصدر الاعظم بسبب قوسى في الادارة الحكومية اذ يصطحب معه وزراء الدولة الثلاثة ووزير الخزانة ودوائره . وتعين الدولة وكثر عنهم يحملون نفس الالقاب ويدبرون اعمالهم مدة غيابهم . ويعين بدل الصدر الاعظم نفسه وكيل عنه يسمى قائم مقام . وتعود هذه الادارة المزدوجة سير الاعمال بسبب اختلاف الاراء وتصادم الصلاحيات وكل ما يحرق من اعمال الدسائس والطمع .

ويعين بنظر الوقت في المعسكر موظفون للقيام بشؤونه وهم : (١) القاضي (٢) الخطيب (٣) الشيخ (٤) مفتش الاوقاف والمكاييل واسعار الاطعمة . (٥) كاتب حسابات . (٦) حارس لاغواة الصدر الاعظم (٧) وكيل الخزائن (٨) وكيل الغنم والعلف (٩) مفتش على الجهاد والبنغال (١٠) مفتش على الحمال (١١) وكيل المصالح (١٢) وكيل الاوقاف ويبقى الوزير عدة اسابيع في معسكره الاول فيقوم باتمام الاستعدادات العسكرية لينما يجتمع كل الجيش في ادرنه التي تكون عادة مركز الالتقاء العام . واذا اراد في هذه المدة دخول المدينة فانه يفعل ذلك اما يكون على عاية من التخفي . ويتبع الموظفون الذين ياتون الى المعسكر لمقابلته مثل هذه الحيلة . اما تجرى الزيارات التي يؤديها له السفراء الاجانب كل على حدة بحسب المراسيم المعتادة وباهية عسكرية مهيبه فيجتاز السفير ليصل الى السرايق الذي لحد لتجرى فيه الجلسة صفين من الخوذ يلبسون الدروع والخوذ . ويكون السرايق مزين بالاسلحة على احدى انواعها ويضع بعض منها على الاركة وهي مرصعة بالذهب والحجاره الكريمة . ويكون الصدر الاعظم جالسا على ^{في صدر} سكة الاركة يحيط به وزراء الدولة وهم وقوف . ويجلس السفير على مقعد ورائه رجال حاشيته ثم يوجه بعض الاقوال التقليدية للصدر الاعظم الذي يكون جوابه دائما بنفس هذه العبارات وهي بما انه يسير تحت ظل العناية الالهية وبحماية الراية النبوية وبرعاية اعظم واكبر السلاطين فانه يامل ان يحصل على انتصار باهرة على اعداء الدولة وان يرجع منتصرا عن قريب .

وفي اليوم المعين لسير العسكريه عيب السلطان منذ الفجر ومعه حاشية كبيرة الى

(١) حكمة البارودي دي برغندار سفير برطانيا . ولما كان هذا المشهد الفظيع .

" انحرلي " وهو مكان واقع على بعد ميل من سهل داود باشا وذلك كي يقدم خضوعه العميق للراية النبوية . وعندما تقترب هذه منه يخرج من خيمته ويؤدي لها التحية مخنيا راسه ثلاث مرات ويضع يديه على صدره ثم يرافقه حتى السرايق المخصص لهما ، ثم لما يحضر الصدر الاعظم لخدمة السلطان لتقديم احترامه له بخلع عليه هذا فروة من جلد السمور وخنجر مرصعا بالالاهي وجوادا من جيناده يقدمه له رئيس الاسطبلات .

وحينئذ يتابع الصدر الاعظم سيره ماشيا امام الراية التي يرافقه السلطان مسافة ميل ثم يقف في مكان يدعى " عبدالسلام " حيث يستاذن منه الصدر الاعظم بمتابعة طريقه وذلك بتقبيل ركاب السلطان وباحضاه ركبته ثلاث مرات .

ويقيم وكيل السلطان في ادرنه منتظرا انتهاء الاستعدادات العسكرية ثم قبل ان ينادر هذه المدينة يقدم له احد موظفي السراي منحة من السلطان مؤلفة من حسام وفروة من جلد السمور ورسالة من السلطان كلها مواظ وادعية لنجاح الجيش .

ومما يتمايق المعسكر العثماني وجود طائفة من العمال المدنيين فيه موجود رجال

الدين والدرابشر والبائعين والخدم وكية عائلة من الخيم والامتعة . وتتألف الجيوش بصورة

خاصة وبمقتضى النظام الحديد من عساكر غير منظمة . وعندها جماعات كبيرة من الممارين والاشقياء

ايضا يزيدون في عدد رجال الارطاط التي التحقوا بها تحت اسم متعصبين . فيجتمع منهم ما بين

الثلاث والاربع مئة الف رجل (كما جرد في حملة سنة ١٢٦٩) بدون ان يؤمن لهم معيشتهم

وبدون ان تجمع لهم الكمية الضرورية من الذخيرة . ولم يكن يوضع ار تصميم للحركات الحربية وكان

الجيوش لا يدخل الحرب قبل الثالث والعشرين من نيسان ويلحق الى معسكره الشتوي منذ عبدالقديس

ديميتريوس في السادس والعشرين من شهر تشرين اول وبعد ان يكون قد سرح قسم من العساكر

ولا يكون في الدلب عند الرؤوساء اي فكرة عن الفن الحربي وكذا ينتخبون بدون تمييز من مختلف

هياث الدولة . وانما كان عندهم نبوغ فان الافكار الخرافية تشل حركتهم ولا يقومون باى مشروع مهم

قبل ان يوافق عليهم المنجمون ويحدث ان تتناهى الادلة التي يشير اليها منجمو الجيش ومنجمو

السراي الامر الذي يجعل القواد في حيرة عريية . ويرجع القواد ايضا الى التفاويم لانتقاء الايام

المناسبة للقيام باعمالهم الحربية ومن القواد من يكون قد احرز انتصارا في احد ايام الاسبوع

منراه يرفى ان يحارب في غير مثل ذلك اليوم . ولكل منهم ايضا يومه المشؤوم يمتنع الشروع بان
عمل فيه . ويكثيرا ما يرحمون الى الايات القرآنية اذ ادعم فتحونه كيفما صدف ويشدون حسب معنى اول اية
من الصفحة . ويحصل تخيير كبير في منصب قيادة الجيش وذلك بسبب عن الدساتر والاعواء والمعتقدات
الخرافية . واسوء من ذلك عنوان الحندى عندما لا يتداول كل مرتبه يشور ويبيح لنفسه القيام بكل
انواع التعدييات . ويضطر القواد حينئذ الى تركهم يقومون بجولات في اراضي ^{الاعداء} للاطلاع حيث يذعنون
في الغالب صحة جشعهم المفرط .

ان الغزوات هي النوع الحربي الذي يوافق طبيعتهم فانهم يكسحون البلاد العدو
ويتلفون كل مالم . تمكنوا من حمله ويجرون في الاسر الرجال والنساء والاولاد . ويصيب ولايات
الدولة التي على الحدود مثل هذا المصير الشاق عندما تحاول العساكر ان توقف هجمات عدو يفوقها
عددا . وفي اعمال هائلة استعملت في كل الحروب عريبا التي شنتها الدولة على العجم .
ولقد كان الحندى التركي في كل الازمنة شرسا عديم الطاعة . ولم يتمكن اقدرا المسلاطين

واكثرهم شدة من اخضاع ميولهم التمردية . ولا يمكن للانسان الا ان يتعجب عندما يقرأ حكم احد
المؤرخين العثمانيين وعنه علي محمد افندى حكمه الخالي من المحاباة عن امته في حادث نهب
مدينة تبريز . فلقد اتخذ الصدر الاعظم ازديمر اوغلو باشا بعد ان استسلمت هذه المدينة عام ١٥٨٥
كل التدابير التي توحى بها الحكمة للمحافظة عليها وعلى ارواح سكانها . الا ان نزاعا وقع في
اليوم الرابع بين بعض الاعالي وبعض الخنود اوقع بهذه المدينة الجميلة كل الاحوال التي تصيب
مدينة وقعت بايدي الاعداء بعد هجومهم عليها . وحرى فيها النهب مدة ثلاثة ايام ولم يكن
بالامكان ايقاف اندفاع الخنود . وكان الصدر الاعظم مرضا الا ان الاحوال اضطرته ^{الى} ان يامر بنقله
على حمالة الى شوارع المدينة ولم يتمكن من وضع حد لهذه المذبحة الابعد ان امر بتقتيل اكثر
الخنود غادا . ولقد قتل في هذه المجزرة عشرة الاف شخص اما تبريز وهي من اكثر المدن العجيبة
ازدهارا فقد اصبحت خرابا . وبعد ان يصف المؤرخ قصورها وجوامعها ومعاملاتها وقنادلها ~~و~~
وحدايقها وجميع انواع انبيتها افخم وصف يقول : " يجب ان نقدر ذوق العجبيين نحو الفنون
وما يبذلونه من غاية في تحسينها كما يفعل الاروبيون . ولا يسعنا ان نقول نفس الشيء نحو
امتنا العثمانية التي عوضا من ان تقتبس مثل هذه الثمرات من المدينة فانها تحقر حتى المحافظة

مؤرخ مضمون الى

على المنشآت التي تكسبها بحورها بعد من ذلك، فان غدهم رحوبهم كل شيء . . .
تصدر من المعسكر العثماني في اثناء الصلاة اصوات المؤذنين والدرايش والاشراف
وهم يرتلون ايات القرآن . . . هم ينتقلون اثناء المعركة بين الصفوف ويدعون الحماة في الخنادق
سواء عليهم الدبسة مرددين في النشاز هذه الكلمات : " يا اياز ، يا سيد " ويرمون التراب على
الاعداء متشددين بالنبي . ويعطي القواد اشارة ابتداء الحرب بدعوتهم اسم الله " الله الله "
وان يقرأوا اياتا من القرآن مثل هذه : " وما من نصر الا من عند الله حاربوا في سبيله تعالى
الح . . . " وهم يأمرون بتقديم الضحايا فتذبح الخراف والمعز على اصوات التساييح . وعند ابتداء
الحرب تقام الدبلوات العامة في مساحد الدمام . ويكر من جديد اذا نزل بالحيش هزيمة .
وتحتج في ايام انحر الجماعير من الحشيش ومن مختلف العمار في الدوا الضلوع طلبة
معيونة الله . وقد حدث في مثل هذه الاحداث ان قام بعض الساريس استخبوا اثنين وتسعين
موظفا من اتقى سوا في دافعهم يحملون كلهم اسم محمد ويأمرهم بقراءة اول سورة من القرآن
اثنين وتسعين مرة في الاسبوع . ويكون ذلك اثناء احدى المواقع او طيلة مدة الحرب . ويامر قائد
الحيش شيوخ المعسكر حول الراية النبوية لقراءة سورة من القرآن اثني عشر الف مرة واحيانا سبعين
الف مرة . حتى اسم يلحون في بعض الاوقات في تراه كل القرآن او قراءة مجموعة من الاحاديث
النبوية . وعمل لا يمكن انحازة الا بعد ايام .
واذا اصاب الجيش هزائم ممكن ان تغل من غزوة رجاله فان السلطان يرسل الى
القواد " خط شريف " كله يواظ وعود . وسوف نذكر قطعة من الرسالة التي وجهها السلطان
مراد الثالث سنة ١٥٧٩ لحبشه الذي كان يحارب العجم . وبعد ان ذكر بيان اولى واحداث
المسلم هي محاربة المطحدين اعداء المعتقدات السيئة ، ويعدد ان حصر الخنود في التشبه
باعدادهم الذين استهزوا بهم بمآثرهم المجيدة العديدة قال لهم : " تسلحوا بالسيف الابتر
وادخلوا بشجاعة في ميدان البطولة . احملوا هذا الخليط من الضائقين والبرابرة بشعر كل
وطاة سؤدكم ويستهزى قوه باسكم وبافضلية معتدلاتكم . وكلما رفعت انتصاراتكم
بناء الاسم ومجد السلطنة وعظمة العرش كلما استقيم حسن انتقام سلطانكم . فالترتب والتقدم
بالاعبيات وثروات لانهاية لها من النعم ستوزع عليكم كل حسب همته ولعماله . فكروا انني

بينكم التي معكم روحاً قلباً ان ادعيتي وباركتي لكم لاتنقطع وهي ترافقكم في اعمالكم .
 كانت النداءات التي وجهها مصطفى الثالث لحشده في الحرب النيران الموقدة التي
 كانت قائمة بين الدولة وبين الروسية ملهنة بالشكوى والتوبيخ . وخصوصاً ذلك النداء الذي
 وجهه في اخر حرب سنة ١٧٧٢ قبل وفاته بقليل . فلقد نسب اندجار حشده لعدم قدرة
 قواده ولعدم وجود الحمية والليقت والبسالة عند احتساب وعدم عاعة الجنود . وقد نوه بشدة
 الالم الذي انتابه وخصوصاً عندما تذكر انتصارات اعدائه . ولقد تحسر من ان حشده عوضاً
 من تحديد اليهود لاحتياز الدانوب وعرد الاعداء من انتفخ انتابه تركت نفسها تفاجأ وهي
 على الصفه البغنى حيث بدا ان كل شيء أصبح تحت رحمة الكمار . وذكر بانه ما من شعب
 اسلامي اصابه مثل هذا العار الذي حل بالعثمانيين ثم قال : " اين هي اذن عزتكم لاعلاء
 مجد النبي وشرف الاسلام وعظمة سلطته " متى اذا سيعدل اعدائى العثماني عن تراءى مركزه
 والتخلي عن رايته وعن الفرار من معسكراته وعن الهرب المخجل من امام اعدائه ؟ اى متى
 سيقوم بواجبه اذا كان ينسى ان يفعله في اكبر الاوقات اهمية لا اجل هذه هي اعمال العير
 والاخلاص الصادرة عن الذين هم مهينون في كل شيء للدولة والذين يعيشون من كرم سلطانهم
 ويتناولون خبزهم وملحهم من غزوة الامة . كيف يمكن للمطارب المسلم ان يتحمل كل هذا العار
 اذا يعلم بان القرآن الكريم يقول بان الله سعيذ به اشد العذاب . وما سيكون مصير السلطنة
 اذا صابتكم من سوء الحظ عرائم جديدة . ايقظوا فيكم اذا الحمية الحربية لتردوا الكمار وتستقيموا
 منهم ولتعيدوا شرفكم العسكري . فلتخطوا من تعرف من الاعداء المصطنع والذي ليس له حد
 واخيراً لتستحقوا نعم سلطانكم في هذه الدنيا وثواب الله في الآخرة .
 وسند كرايسا " الخط شريف " الذي يوجه للجيش بمناسبة انتصاراتها . فان
 الانتصارات الاولى التي احزها الصدر الاعظم اداماد علي باشا سنة ١٧١٥ في الموره جعلت
 السلطان احمد الثالث يوجه رسالة للجيش ابدى فيها منتهى سروره . واظهر فيه فرحه من جراء
 الاستيلاء على كورنت محرماً الجيش على متابعة غزوته بنفر الحمية لكما يستحق كل شخص حسب
 اعماله الماكافات التي يعد بها الدين والدولة . ثم قال : فلتخطوا كلمكم ولتشرعوا بتحتي
 السلطانية . ايها الجنود الشجعان الذين يسيرون على طريق الدين والبطولة والذين ليس لهم
 من سرير يستريحون عليه غير الارض ومن وسائد سوى الحجارة . انتصروا على الدوام ولتكن

وحدكم بفضاء كصفحة النهار وبهية كهدها الحيون المنتصرة . ولتكن سيفكم دائما قاطعة ، لامة
ومشودة بعقد معقدة بنجادة البسالة . وليبارك الله الخبز والطح الذي تقدمه لكم نقودي
السلطانية . اني اتري كل منكم في حراسة الله تعالى . وبركي ترافكم . ان افكار وروحي هي
معكم ليلا نهارا لكم التحية والسلام .

واذا احزنت الجيش انصارا ما فان الادعية تصعد من كل المعسكر ، وتقام في جوامع
المدن الدولة صلوات الشكر لله تعالى . تصدر الاوامر بالاضاح الانوار وان يعم السرور مدة ثلاثة
او سبعة او تسعة ايام . وكان القائد فيما مضى الذي يفتح مدينة ما يرتب احتفال دخوله فيها
المدن يوم الجمعة . فيذهب راسا الى الكيسة التي يحولها الى جامع ويقدم باجرا الاعمال الدينية
كما يقيم الصلوات باسم السلطان .

ويرسل السلطان للصدر الاعظم عندما تحوز الجيش انتصارات هامة رزمات من القراء
والخلق لمنحدا للضباط الذين ابلوا بلاء حنا . ويحرق التوزيع باحتفال وبحضور عينة محلي
اركان الحرب . وهذان شارة امتيازات عسكرية وهي اوسمة من الذهب او الفضة " تشكك " تمنح على
العمامة ولا يستعملها غير الرجال العسكريين . وكان الفرمان ابراهيم باشا فاول من حاز على واحدة
منها وكان ذلك بعد انتصاره على النمسيين في موناكو سنة ١٨٢٦ . ولا تمنح الاوسمة الذهبية
الا لمشاهير الضباط . اما الفضة وهي خصصة لبقية الرتب فانها على خمسة انواع مختلفة تولف
خم طبقات مناسبة لها . فالصدر الاعظم او القائد الاعلى هو الذي يعين الرتب العسكرية لرجال
الجيش وهذه الذي يتصرف ايضا في المناصب المدنية للولايات القريبة من الامكة التي تجرى فيها
العمليات الحربية .

ويتوصل ايضا لازياء حماسة الجنود بما يمنحون من اعصيات في مناسبات كثيرة . اذ
تفرق عليهم بالقيمة في المعسكر الاول تحت اسم " منحة الحرب " . وعند الشروع في الحرب كان
المدنيين فيما مضى يمنحون للشخص الواحد الف بارة او الفا وخمسمائة او الفين ايضا . وقد جعل
السلطان مراد الرابع هذه الاعطية ذهبا (دوق) . وان ربح معركة او اقتتاح مكان ~~في~~
للمطامير ما تسبب للجنود منح جديدة . انما وجد انه من ارفع تقديم المنح للذين يبلون
بلاء حنا في رحي المعارك . فيكون الصدر الاعظم او احد كبار موظفيه محاظا باكماس الذهب والفضة

فبتأول بقضته منها وسعطي كل من يقدم له اسيرا اوراس جندى من الاعداء . وفي بعض الاحيان يخرج النادون في الليلة السابقة للمعركة وينادون في المعسكر الثمن المذبح لكل راس . لكل اسير ويكون عادة بضع قطع ذبيحة . وكان الصدر الاعظم الداماد ابراهيم باشا يدفع في عزوته للمره سنة ١٢١٥ بين (٢٠٠) و (٣٠٠) قرش لكل راس ومن ٤٠٠ الى ٥٠٠ قرش للاسير . ولقد امتنع عثمان الثاني عندما كان يحارب البولونيين من اتباع العادة وذلك حيا بالاقتصاد . الا ان هذا العمل اثار عليه صخب الانكسارية وكان من احدى شكاياتهم ضد هذا السلطان التعيين عندما ذهب بعد بضعه اشهر ضحية هاجهم . وبنار اسجندر ايضا من رؤسائه ثغاما للهدف والاذان التي سمعها من حدث الاعداء عند الرغم من ان التمثيل بالاموات ممنوع شرعا عند المسلمين . وكانوا يسلطون منها عادة مساجع هائلة يفتخرون بحملها في العاصمة .

وتسرع الدولة بعد انتهاء الحرب من تسريح قسم من العساكر الجديدة الا ان اسماعيل تظل مسجلة في قائمة الجيش . وتستعمل الدولة حذاقة في انما تعرض على عساكر ولايات اوريا بالتمسك بالذباب والخدمة في الولايات لاسبوية القاصية وللجنود الاسيويين في الحدود الاروربية وسمح لهم تراء الخدمة ان ارادوا . ومعظمهم يفضلون تراء الخدمة ان لا يرثون بالراتب الزهيد المعطى لهم في وقت السلم ويرجعون الى بلادهم حيث يشتغلون بمهنتهم . وتوسط السلطة احيانا نائبى النبائط لاقناع الجنود الذين قرروا البقاء بتراء الخدمة وان يطلبوا من ذاتهم الاذن بالتسريح . لان الحكومة لاتريد ان تستعمل معهم القوة واذا نزل بالرغم من هذه الاحراآت عدد الجنود يجرأ حدا فائدا تتراء للزمن امر تخفيفه شيئا فشيئا . وقد ادت الاصلاحات السريعة التي تعمل وقت السلم في غالب الاحيان الى نتائج سيئة . ولما كان ليس لدى الجنود المصروحون مالا للرجوع الى بلادهم فانهم كانوا ينشرون في الولايات وبعضهم من السلب . وقد كان ذلك السبب الاول في حصول الاضطرابات الموسفة التي قامت في الروماني بعد صلح سيستوفيا و صلح جاسي . ونحن نرى من التعليمات التي وجهها الصدر الاعظم الداماد ابراهيم باشا للسرعسكر احمد باشا الذي كان يقود الجيش سنة ١٢٢٦ في الحرب مع العجم ، نرى كيف يجب ان تكون سيره قائد عثماني في اوقات الحرب . وتوجد هذه الرسالة التي كتبت باشا فخيم وعلى غاية من الاسهاب في تاريخ جلبي زاده بنصها الكامل . فالصدر الاعظم يوصي القائد الاقيم باز عمل قبل ان

يستشير المحلل العسكري وان يراعي اراء القواد الذين اشتهروا باختباراتهم ومقدرتهم ، وان
 ينسج فر كل اعماله قوانين الفن الحربي ، وان يحيد وضع جنود طلائعه ، وان يضع حرسا من
 الخيالة يسهرون كل الليل لكي لا يؤخذ على حين غرة ، وان يجمع الجنود الذين يذهبون في جلب
 الكثرة للذهول عن الابتعاد بعيدا ، وان يراقب الاعداء ويكون كله عيانا واذانا ليعلم قوتهم ، ويحيط
 خططهم ، وان يستعمل ضد عم اما السراخ واما الحيل نظرا لكون الحرب حيلة . وان يتحصن
 جيدا بالسرايس اذ كان قريبا منهم وان يحسن اختبار موقع المدفعية ، وان يترى السرود والامتعة الكبيرة
 بين جنود المؤخرة وبين الحيد المدارب . وان يكون لديه دائما احتياطي من الفرسان لكي
 يسبروا بسرعة عند اول اشارة لمساعدة الخاضعين . وقار له بانه يترتب عليه بعد ان يعين مراكز
 العساكر قبل المعركة ان يتفقد الصفوف وان يكلم الجنود بخنان امور وبذلك كل ما يمكن ان يدب
 فيهم الحساسة مرددا اسماء اباؤهم واخواتهم واودادهم واعدة لهم ، وان يذكر حين الجنود اسم
 الله تعالى عند ابتداء المعركة ويطلبوا منه النصر . وان يسجد القائد ويضع جبهته على الارض
 عندما يعطي اشارة الحرب ، طالبا من الله وهيبكي ويمتشي الخشوع معونته وطالبا شفاعته النبي
 ومساعدة الارواح السماوية . ثم عليه بعد ان ينتهي صهوة حواده ان يستل حسامه ويضرب به الله
 الهواء ثلاث مرات : الى الحائمين وإلى الامام ثم يوجهه صوب العدو وهي وسيلة لطلب النصر .
 وان يكون انتهاء القتال اشارة للحد والسمالة وان يسبح بحماته اذ قضي الامر في سبيل محم
 الدين وفي خدمة السلطان .

ومنذ عهد سليم الثاني لم يقود السارعين بانفسهم الجيش كما ان الروح العسكرية في
 الامة ضعفت . لم يكن العلماء متحمسين كاساسين بذوق اندفاع التعصبي لمحاربة الكفار . وعم
 مع كونهم يقولون بسروء الحرب من الناحية السياسية وكونه متابقة للشرع فانهم يبذلون كل ما بوسعهم
 لنيل السلطان من نوايا العاصمة ويظهرون له من اجل ذلك حججا قوية مشرا الاضرار التي يمكن
 ان تتعرض لها شخصية القدس والمصاريف الكبيرة التي تسببها تنقلاته هذه . ويهم المفتي شخصيا
 كما يهم القضاة عسكرفي ان يذهب السلطان على راس الجيش لانهم يضطرون حينئذ الى مرافقته .
 بما انه يترتب اجمالا على وزراء الدولة ان يرافقوا الصدر الاعظم فانهم يبذلون نفس الممانعة نحو فكرة
 الحرب لانهما تسبب لهم مصاريف زائدة وتمنعهم من التعم بحياة زاعمة سعيدة . وليس لدى

السدر الأعظم إنما دافع تحمله بحلب الحرب إذ هناك ما يجعله يغازي أكثر كثير من مكائد منافسيه مدة عيابه وخصوصاً من الذي ينوب عنه لأن القائم مقام يكون عادة من أكبر لشكته ^{أعدائه} إذ يقدح فيه ويعمل في معارضة لبيته من أخذ مركزه . وقد حصل في عهد عدة سلاطين أن تقوم خدومات فاحشة من الصدر الأعظم الذي يكون على رأس الحيوث وبين نائبه في العاصمة بسبب قلة في الدولة . ولهذا فإن الصدور العظام يبدون كل ما يوسعهم للرجوع إلى العاصمة لا قدام السلطان للمحبة . واستقام قيادة الحيوث . ولما لم ينظر الصدر الأعظم سنان دائماً عام ١٥٥٦ للسير إلى النمساويين فإنه عزى على السلطان محمود الثالث كي يحثه لمحور إلى المعسكرين اقنوا الماعزين يخفون دائماً ويرجع السبب للمنافسة المشدودة التي تحصل بين رؤساء الدولة . فلقد قال : " أن كان الصدر الأعظم غير الذي يحود الحيوث فإن القائم عوضاً من أن يساعده بضيق علمه أما أن ينضم الصدر الأعظم فيقال من شغبه ويأخذ هو مركزه . وأن كان المعسكر الذي يقود الحيوث فإن الصدر الأعظم القيم في العاصمة سيئ إليه ومعارضة ويقطع عنه كل مساعدة خوفاً من أن يحرز انتصارات باهرة تكون السبب في إعدائه الخاتم العدائيين بدلاً منه . " وإذا حاج الحدد فإن الصدر الأعظم يتخذ ذلك وسيلة للكنكك للانسحاب من أمام العدو أو لفتح نهاية للحملة . فإنه يحرضهم خفية كي يلحوا في طلب أرحامهم إلى مراكزهم الشتوية ونحني هو يسرع إلى العاصمة ليحيط مكائد منافسيه .

وتعيد القول بأن الحيوث العثمانيين في أيامنا هذه تناف بصور خاصة من عساكر غير منظمه لا تجد الألفة حتى أشهر بها أنها عديمة السلفة وخاليه من اختبارات الخدمة العسكرية فأنها تريد عند الحيوث أكثر من أن تزيد في قوتهم . ويمكن للدولة في الحملة الأولى من تعبئة ثلاث مئة ألف جندي تقريباً على قدم الاستعداد للسير . وإذا كانت العمليات الحربية فاجحة فإنه لا حصل هناك عز في تجنيد الحيوث إلا أن أقل الانهزامات كافية لدب اليأس في النفوس . ويقل عدد العساكر بما يهرب من الحنود أثناء الخدمة . ويصبح من الصعوبة بمكان تعبئة جنود حدد . ونحني الحمار العسكري كما ينزل أمل عزو البلاد السعادية لأخذ النذائم الحربية . عند ذلك تعمد أفكار الخرافة في إخماد النفوس . فتنسب الانهزامات إلى غضب الدولة وإلى عدم التوفيق اللاحق بالسلطان ويعمله . ويخضع الناس لمشيئة القدر بدون أن يفتشوا عن السبب الطبيعي

الباب الثامن

بحرية الدولة العثمانية

كانت عليبولي اول برفا عسكريا لعثمانيين حيث كان بحريتهم هذه سبيله تتألف من
 " سناسموسا " ويعبرها من المراكب الصغيرة . وكان اليونان والظليان استأذتهم في فن الملاحة كما قد
 بدأ على " لان الاصلح " حان البحرية التي استأذروا من اللاتنيين الطليانية ، اليونانية . ولم تصبح
 قوة الدولة البحرية ملهمة السعد فتح الاستانة . وكان باليه اولوسليمان " ك " حينئذ رئيس
 الاسطول برتبة قبودان وهو الذي ساعد في احتلال هذه المدينة وذلك بان انشأ سفنا صغيرة
 في اسكان المعروف اذن بحصن الروم اليه على البوسفور وغدا برا تم انزلها في المرفأ في مكان
 يسمى قاسم باشا . لقد منح السلطان مكافاة له على هذا لقب قبودان باشا من صوعين
 كما منحه حكم مدينة عليبول . ورفي بعد بحة بضعة اعوام الى رتبة وزير وادار موارده بما
 انعم عليه السلطان من اعيان جديدة و " يرال " يحتفل خلفاؤه باستش نفع هذا الفخر وهذه
 الارباب .

كان الاسطول العثماني في عهد سليمان الاول ينافس اساطيل دول جنوبي اوروبا
 متحدة للسيطرة على البحر المتوسط وكانت تراكب الدولة تمخر في الخليج العربي والخليج
 وفي بحر الهند . ولكن بعد هذا العهد اصاب الاسطول صدمة مائلة وذلك في خليج
 " لوان " . ومن ذلك الحين اثر عليه ~~كثيرا~~ كما اثرت على بقية فروع الادارة الحكومية
 حالة الفتر التي اصابها السلطة عندما توقف السلاطين عن حكم الدولة بأنفسهم . انما نفس الاسطول
 في اخر القرن الماضي وكان ذلك بهمة اميري البحراء الغازي حسن وكوجوا حسين .

يتألف الاسطول حاليًا من واحد وعشرين سفينة كبيرة منها أربعة من ذوات الطبقات الثلاث وست "فوقناك" أو بوارج وأربع نقائر "كوفيت" وحوالي الأبعين صندلا منها ما هو مسلح بالمدافع ومنها ما هو مخصص لضرب القنابل المحرقة . وتتوكل هذه العبارات في نهاية المرفأ وعلى طول الشاطئ حيث يمكن تسليحها ويكون عمق الماء من سبعة إلى ثمانية أذرع . وكان ~~في~~ في الترسانة أودار النشافة في الأيام الأخيرة حول المنشأة السفلى وهو من صنع أحد المهندسين الاسوجيين . وفي الستة تسع (ورشات) خمس منها في الترسانة واثنتان في "خام كوي" واثنتان في "ايوان سراو" وهناك عدد كبير منها في شاطئ البحر الاسود مثلا في حوتلر وحاي اغزى وقديمجان "مطبخ" وبيرة افش وفي "سوي" . وأنشئت في البحر الاسود ورش في نيكسيدا ويندون ومارمارس وناحور ميلتين ويدر وكمكرو وكازدلي . وهذه الورش الأخيرة هي أعظمها .

وإن يمكن لأي دولة أن تحصل على أسلحة بتكاليف ضئيلة مثلما يمكن أن يحصل عليه الباب العالي فيما إذا عرفت كيف تستفيد من البحار التي حبت الطبيعة بها السارد الخاضعة له إنما تنتج كازا موسووير للدمار البحري . ولباب الحكومة وكرداي ويندرما تعمل خشب السفن ، والتموير بكثرة . ويوجد الحديد في ساماقو واينادا وقوله . ويستخرج اصمغ من نياتريون والزفت والقطران من كازدلي . تنتج سامسون فحمه وأويزه القند وتصنع الشراع في البند التي على الدردنيل . وعلى كل مقاطعة من هذه المقاطعات أن تقدم شويًا للبحرية السلطانية كمنعة من شتواتها بأسعار زهيدة جدا حددت منذ القديم (١) وإذا لم تكن الدولة بحاجة إلى شيء من هذه الأصناف فإنها تناع بأسعار السوق الحالية . أما ما بقية اللوازم مثل الحبال والخام والبقسما (الخيز) والزيت فإن يقدم ^{المناسبة يقدم} مع تكلف بتدبيرها بأسعار قديمة وزهيدة جدا . ولهذا فإنها تكون من النوع الرديء . ويصل للدولة أيضا من كبيرة وبوارج يقدمها حكام الولايات الذين يترتب عليهم انشاؤها للحكومة . إلا أن بناءها يكون في الحال غير متقن وتضطر الدولة إلى إعادة النظر فيها في ترسانة الاستانة . ولكن بالرغم من هذه الإصلاحات فإنها لا تكفيها كثيرا وهي لا تظهر ترددا في عدم إعطاء الحوام نصيبا أولها (١) وهي ثلاث آلاف قنطار صمغ ومثلها من الزفت والقطران بحجر قرش واحد للقنطار . وستة آلاف قنطار من الحديد من ساماقو بخمسة قروش القنطار . وتسعة آلاف قنطار من الحديد من اينادا

على الأقل لاتدفع لهم ^{سكن} بعض ما تكلفوه .

ويوجد معملان كبيران لصنع المدافع . وفي الاستانة وعليبولي وسالونيك معامل

لصنع البارود كما انشأ منذ سنة ١٧٠٨ في الترسانة معمل كبير للحديد لصنع الدراسي .

كما يتألف اسطول الدولة دائما وذلك حتى اواخر القرن الماضي من اربعين سكة

سفينة من ايام الستة عشر مقعدا للتحذرة سنى معلما على حساب مختلف المدن والجزر وتحمل

اسماءها . وكان يقود هذه السفن " بكوات " يتحدون من اصل رفيع وهم من اصحاب الطوبخين

ويكون التجهيز بدر احياء يوانا ايما . اما امر الباب العالي استعمال مثل هذه السفن

وذلك في عدد السداتين مصطفى الثالث وعبد الحميد الاول ولم يحتفل بغير سفينة امير البحر

المسماة " باشتوده " وهي كبيرة الزينة وتستخدم في بعض الاحتفالات .

ان كبار موظفي البحرية الذين كانوا بعد الذبودان باشا امير البحر هم : القبودانا

والسارونا والريالا الذر سكن من ناحية الرنة مقارنة الاول باميرال والثاني خانب الاسرار

والثالث بالكونتراسرار . اطلقت منذ عهد محمد الثاني هذه الاسماء على ثلاث سفن كبيرة

واصبحت المقابا للذين يقودونها . واسلو على ضخمة سفينة رابعة عام ١٧٦٤ سفينة الباشا (

وعن مخصصة لامير البحر . وعلما ثلاثة صايبح في المؤخرة ومصباح على النار الكبير وراية غوية

فوق العلم وعلى نغر الامار . وتكون هذه الراية تحت العلم في سفينة القبودانا وعلى اسرار

الامامي في سفينة السارونا وعلى الصاري الخلفي في سفينة " الريالا " وهناك نوعان من

الاعلام الواحد اخضر يمثل سيفا بحددين " ذوالفقار " والثاني احمر عليه رسم هلال ونجمه (١)

اما علم امير البحر فانه عدا ذلك يحمل رمز السلطان " الطيرة " . وتسمى السفن التي

السفنا العلم (منحقر كملرز) لتمييزها عن بقية المراكب الكبيرة (الثاني كملرز) .

وتخرج في كل خفة من الاستانة عمارة يقودها امير البحر متجهة الى البحر الابيض .

والسلطان باييد الثاني عم الذر امر سنة ١٥٠٢ بخروج مثل هذه الدوريات وذلك لحماية

الار وشواحي الممتلكات الدورية ضد العبارات الاحذية وسد كجيج من القراصنة الذين يعبرون

اربعة قروش القنصار . وستة الاف قنصار من القنص ستة قروش القنصار . واثنى عشرة قطعة من الشرع

كل قطعه بطول سبعة اذرع ونصف بست واربعين بارة .

(١) ولا يرى الهلال فيما عدا ذلك الاعلى راس الماذن وفي ختم بعض ابنيه الدولة وعلى الكوتا التي

في راس عصا العلم .

عليها .

وفي مطلع القرن السابع عشر أخذت عماره سايه بجوب البحر الاسود للقضاء على اعمال رجال الفدائى الذين كانوا يعيشون هناك على شواطئهم وقد تحروا عام ١٦٢٤ الى النجف بقواربهم حتى تشفى ابوسفور . اما الان فخرج الاسطول ليس له من مدد سوى جبايه الحريه من جزر الارخبيل وجمع امير البحر قادرا على احراز سيطرته العليا على ممتلكات الدوله البحريه .

اما رجال الاسطول فانهم مؤلفون من جنود بحريه لوند وطويحية ونوتية ومن بحارة اكثر اختيارا مخصصون لتسيير السفن . وهم يخدمون لمدة ستة او سبعة اشهر ويتناول الجميع راتبا تميز ستة واربعين توترا كراتب لكونهم يخدمون نصف المبل سلفا والباقي في منتصف شهر اب وفيه نظام تدسم تشد عليه الدوله . ويحرق تسخير اسماء الجنود وفي القسم اذور من رانجهم باحتفال في قلعة محلي اماره البحر بحضرة القودان دائما والدفتدار الثاني ومفتش معين من قبل الباب العالي وعدد كبير من موظفي دائرتي المالبه والبحريه .

ويوجد في سفينة امير البحر ستون ضابطا وفي بقية السفن عدد من الضباط ضاسب لحجمها . ورئيسهم هو " الصوارى قبوداني " امار على ثلاثة من الملازمين يسمى الواحد منهم " ملازم قبودان " ولكل سفينة عشرون رئيسا يقومون بتسييرها ولهم الاشراف على الشراع والالات . كما انه يوجد رئيس للمناير الذخيره يسمى " يلكنجي " ورئيس على الجنود البحريه يدعى " تليوس اعاس " وله نائبان مدلق عليهما اسم " اوسه باشي " . اما النوتية فانهم تحت امرة " راي سداوش " يكون له ستة سباط " دليون نداوش " يكون ثلثه منهم في مقدمة السفينة وثلاثة في المؤخرة . يمسكون عصا بايديهم ويراقبون سير السفينة . ويقوم على حراسة السلم اربعة من الجنود يمسكون في كل ليلة العبيد في اسوار المركب . كما يوجد ايضا امام ومؤن " دوشجي باشي " اى قائد الدفة يساعد ستة من الرجال و " غنبرجي باشي " نائب رئيس المناير ومعه عشرون حارسا للمناير . و " خيدانجي باشي " يساعد اثنين من الوكلاء و " صويجي باشي " مع ستة ضباط للمدفعيه . و اربعة من رؤساء النوتية . " ورئيسان فلوكة " واحد لقيادة صندل القبودان دائما والثاني لصندل " الصوارى قبوداني " يساعدهما ثلاثة غراط ، واخيرا " الصندل رئيسي " رئيس السفينة المسماة صندل . اما البحارة فانهم يتالفون

من شتى بحرى ، أربع مئة نوتى ونجحي وخمسين " فلوكة جي " أو جذاب وخمسين من الرصيد .
 مبتدأوا هؤلاء الرصيد بعد ان سكونوا قد عملوا فى غزوة واحدة ستة واربعين سارة فى اليوم وكثرة من
 الطعام مثل بقية البحارة .

تقدم الدولة لكل رجل من رجال البحرية وحيلة مدة الحملة ^{كيلو} ~~كيلو~~ من الزيت ~~بمبلغ~~ ^{بمبلغ} .
ومثل ما من العدى ومثل اقات من الزيت كما تقدم لكل منهم اثنين ونصف من الخبز عن كل خمسة ايام .
وينقسم البحارة في السفينة الى بلكات "مادكا" حسب بلاد لكل مدفع . ولكل مادكا غياح ووكيل يدعى
"مادكا باس" . ويعين عادة في هذا المنصب اكبرهم سنا يقوم بنامين كل ما يلزم رجاله من ادوار
وغيره . وينترب عليه ان يقدم لهم اللحم الامرة كل اسبوعين . والرز مرتين في الاسبوع . وغوي اخذ
من اهل ذلك من القبودان ^{ممن} من اهل مهنات البحرية وغوي يعطي بيانا بالسال التي عرفها
عندما ترحل العمارة الى الاستانة . وعندئذ يبيع القبودان بالمزاد العلني وعلى نفس السفينة ادوات
كل مادكا على حدة كما يبيع مازاد عندها من المؤونة ثم يفرق الثمن على رجالها .

ويتناول القواد الذين في الخدمة الف قرش للحملة السنوية . اما راتب القبطانية
الذين ليسوا في الخدمة فيكون قسطا فقط في اليوم . الا ان كل واحد منهم يتناول راتب ثلاثة
من البحيرة فواحد عن كل واحد ستة واربعين قرشا وهذا الراتب يعتبر مخصصا لاولادهم .
والقبطان راتب محدود يقدر بأربعة آلاف وخمسمئة قرش . وللباترونات ثلاثة آلاف وخمسمئة
ويتناول كل واحد منهم راتب عشرة آلاف بحرر . عدا ذلك فانهم يربحون مزايا عظيمة من عربات
عساكر بحريتهم . فالاول يتناول مرتبات من أجل ألف رجل والثاني من أجل ثمان مئة والثالث من
أجل سبعمئة . اما عدد بحرية بقية السفن فانه يحدد كل مرة من قبل امير البحر . الا انه لا يكون
تاما لبدء تناول قواد السفن مرتبات وعلما للرجال الذين ينقصون . وفي الحقيقة فانه لا يحصل
الامتياز في البحيرة الا قرب الدردنجل عند ذهاب العمارة بوقت رجوعها . انما يعرف الرؤساء كيف
يتصرفون بتجنين تأثير هذه المراقبة وذلك اما بالاتفاق مع المراقبين او بتقديم بحرين مخذين
بوقتا . وهم يتمتعون بمزايا أخرى مباحة لهم . وهي انه يحق لهم ان يقبلوا في سفنهم ركابا من
أهل المملكة . ويحتفظ^{الذين يستفيدون} حكام الولايات الذين ينقلهم الباب العالي كثيرا من هذه العملية يدفعون
عادة أجرة سفرهم التي قرش بقرشها بغرفة من حطب السمور . عدا ذلك فان ضباط البحرية

الذين ترسلهم الدولة في ماموريات الى البلاد التي على الشواطئ، يحدون بسدولة الوسائل لزيادة ثروتهم .

ولامير البحر سلطة تقريبا مطلقة في مائته كما في الامكة التي يرفيدا باسغوله . ولهذ فانه يدعى سلطان البحر . ويرافقه في تنقلاته قائد يصدر بحسور امير البحر احكامه في الشؤون المدنية والحزانية كما يرافقه ترجمان من اصل يوناني يقوم بشرح التفاصيل الدقيقة للامر المتعلقة بحرر الارخبيل . ويسافر معه في سفينة الخاصة اربع مئة شخص تقريبا من حاشيته : من مولفين وعلماء وخدم .

وتتوزع الاسلحة عند العمارة عندما ترحل الى المستانة في اواخر فصل الخريف . ويرجع البحارة عدا عدد ضئيل من النوتية ورجال المدفعية وللمولاة الاخيرة شكة قرب الترساة . الا انه من المعتاد ان تقوم ثلاث او اربع سفن في شابعه لرافدها هذه اشياء في البحر لا ييس حتى شواحي مصر الشام . ويحلى للقبودانية نقل البضائع بسفنهم من مكان الى اخر مما يحلب لهم مبالغ كبيرة . ويحلى اسر الاسغور مثابله السلطان مثابله فخمة في الليلة السابقة لذهابه الى الارخبيل ويكون ذلك في "الي محاسن" الكائن في السراي على شواطئ البوسفور . ويضوه السلطان بهذه المناسبة كهنا فيه الذي سبكان او فندقلي (٢٨٩٠) قرشا كمصاريف ادوية . وحرر السلاطين على هذه العادة منذ عهد السلطان مراد الثالث الذي منع مثل هذه الاعصية لاحد امراء الاسغور ويحلى القبودان بانما مقابلة السلطان مرة اخرى حين رجوعه الى العاصمة في نفس المكان وينفذ الاحتفال .

ولا يعبى ابد الا امر البحر راتب محدد ولكنه يتمتع بموارد عظيمة . فانه يوزع الشرر والثايش حزية صغير التي تمنح له في الارخبيل لعدد مماثل من الحكام . (تويشود) بقيمة ثلاث مئة الف قرش تقريبا في السنة ومع لا يعطي الدولة منها غير خمسة مئتين الف قرش كما انه يتناول من كل قبودان في الخدمة بحرية من المار . فيأخذ اربعة الاف قرش من القبودانا وثلاثة الاف من الباترونات والفين وخمسة مئة من الريالا . "ويأخذ من القواد العاديين الفا وخمسة مئة وبما ان للقبودانية الذين يقومون باسغوف مدة الشتاء مبالغ اكثر من غيرهم فانهم يدفعون له ستة الاف او ثمانية الاف واجامنا عشرة الاف قرش . ويدفع له كل من موظفي اماره البحر المدنيين الذين هم تحت امرافه بين الف والفي قرش . ويتناول من كل مدينة بحرية خاصة لحكمه مبلغا

معينا تحت اسم " غنمية " . هذه هي موارد الرسمية من السهل عليه ان يزيدها كثيرا جدا فيما لو اراد ان يسي استعمال سلطته .

ولكنه مضطرا ايضا ان يقوم نفقات كبيرة . فان علوم مركزه يتطلب ان تكون حاضيتها

مؤلفة من خمس مئة الى ست مئة شخص . وترتب عليه ان يقدم في عيد الفطر والاضحى مائة مئة للسلطان ولوالدته ولنساءه ولكبار موظفي البلاط . وعليه ان يدفع نفق الشهي في كل مرة يرجع بها من جولاته البحرية . ويتناول منه الموظف الذي ياتيه بامر السلطان للرجوع الى الاسكندرية (١٢٥٠٠) قرش وروية من حلال السور وحواد محمدا . وتكلفه المقابلة مع السلطان في كل سنة (٢٠٠٠٠) قرش يدفعها لحريته هذا الاخير تحت اسم " ثمن اثاث القصر " و " شقة بها " . ومن هنا ياتي لسم الكد الذي يقابله السلطان فيه .

يرتدى امير الاسطول ملابس الباشاوات من اصحاب الطواغ الثلاثة . وعندما يكون امراء البحر الثلاثة بما بينهم الرسمية يضعون على راسهم عمة صغيرة وثيابا مزينة بالقران . بينما تكون ثياب القودانية من الحق ويدون فراء . ويتميز امراء البحر ايضا بعض الامارة التي يحلون بها فتكون خضراء للقودانية وازرقاء للبقية . ورئيس المرفأ ايضا الذي يمتن ^{بهرتهم} ~~بهرتهم~~ . ولهذا السبب يدعو الرساء الاربعة الاولون باصحاب العصي " صاحب دينق " .

ان الشماليين غير متقدمين كثيرا في علم الملاحة . واذا اوجد بين عساكرهم البحرية ~~مجهلة~~ نباط ماهرة توصلوا الى ذلك بعد اختبار طويل فانه يوجد غيرهم يحملون حتى المادرات ^{الاولية} من مهنتهم . وترتكب الدولة عذات نفس الخطأ الذي ارتكبته نحو الجيوش البرية . وهي في ان المصوبية وحدها هي التي تقرر امر انتخاب امير البحر الذي يؤخذ عادة من بين موظفي البلاط ويكون لا يفتقه شيئا من امور البحر . ولا يحصل اهتمام ايضا عند تخييد البحارة وذلك في ان يحصل انتقاؤهم من بين الذين يحسنون الخدمة . اذ يجري قبول كل من يتقدم . اما من جهة العساكر البحرية (لوند) فانه ياتي لقبولهم ، وذلك حريا على انظمة قديمة ، ان يكونوا مسلحين ببندقية وسيف او من حرية ومسدمين .

واشهر موظفي امارة البحر ^{الدينية} هم :

(١) - الترسانة ايمني وعمو يشير بناء واصلاح وتسلح السفن وله الاشراف على المستودعات

المعبينة لمصلحة الإبحار البحرية . وهو يتناول عشرة بالمئة من الأموال التي تخرج من الصندوق
الذخري . مندرج . مندرج عياد أمير الاسطول يقوم هو مقامه . وهو يؤخذ عادة من بين كبار
"الخوحو" (١) .

(٢) "القلوب لمر كاتب" رئيس مكاتب البحرية التي ^{التي} ~~تضم~~ ^{تضم} بالاعمال وهي :
(١) تجنيد عساكر البحرية (٢) دفع مرتباتهم (٣) تأمين الموقوف للسفر (٤) تأمين الذخيرة
(٥) تأمين الخشب لنسف المراكب (٦) دفع مرتبات العمال (٧) تأمين اعانة العبيد الذين هم
في خدمة اماره البحر .

ويعطى عادة هذا المنصب الكثير الربح لاحد قداما موظفي غرفة السلطان .

(٢) - "العنبرلر اميني" اي وكيل العنابر

(٤) - "العنبرلر ناظر" اي ناظر العنابر

(٥) - الترسانة رئيس رقيب السجلات المخصصة للقطاعات العسكرية "الرعاية والتميز" الواقعة
في الولايات البحرية التي هي تحت حكم أمير البحر . ^{التي} ~~تضم~~ ^{تضم} بالاعمال وهي : "تجديد السفن"

(٦) "الرئيسية كخبة" وكيل السفن الحربية يقوم بشؤون رجال حرس البحرية وعدد من
مئة وخمسون . يمين منهم كل ليلة ستة رجل للحراسة على غول رصيف الترسانة . كما يكون
هناك دائما ثلاثة في كل سفينة راسية في المرفأ يقومون بحراستها .

(٨) - "السرفي اميني" يقوم بدفع مرتبات الجنود والعمال .

وتعين اماره الاسطول في خدمتها عشرة من البنائين المسلمين ويكون لرئيسهم ذراع
بقدر فيه وعموم . نال الفضة كاشارة مميزة له وهو يامر على عشرين بناء بونانيا يساعدونه في
العمل . ولكن كل الفريين على حهل بالعلم اربعة ولا يحكمهم حتى وضع تصميم بناء سفينة .
هم وليسوا في الواقع سور ^{الذين} ~~مدره~~ ^{مدره} البحارين الذين يعملون ارباعا من المسلمين والمسيحيين .
واذا كان للباب العالي الان اسطول قويا دانه من صنع مهندسين اسويجيين وفرنسيين وراعي
للمة التي ادها أمير البحر كوكو كوجوان حسين دائما في تسيير شؤون ادارته .

ويوجد دائما تحت تصرف اماره البحر عدد كبير ^{من} ~~من~~ ^{من} يقسمون الى قسمين : "البازي زند"

المحكومين بالاشغال الشاقة حيث قيد ارجلهم بالسلاسل . والاسرى الذين يؤخذون وقت
الحروب او من سفن الادعاء . ويقوم الاخرون بالعمل في الاسطول حيث يشتغل منهم جدا في

(١) وقد اطلق لهذا الركن عام ١٨٠٠ لقب "ترسانة دنداري" مع صوغان اوسع كائنه كرسى في الربا به بينه التفرقة بينه الثاني والثالث . ^{التي} ~~تضم~~ ^{تضم} بالاعمال وهي :
الترتيب اولا لسفينة على اقداب سفينة الباب العالي ^{التي} ~~تضم~~ ^{تضم} بالاعمال وهي :
الترتيب اولا لسفينة على اقداب سفينة الباب العالي ^{التي} ~~تضم~~ ^{تضم} بالاعمال وهي :

في تسيير السفن . الا ان عملهم في المراكب الحربية لم يكن دائما يتم بدون حصول الضرر .
وذلك انه جرى سنة ١٦٦٠ تمليح عمارة لتدعيب وتقضي على اعمال قرصنة القوزاق في بحر
الاسود . وقد اقام قبودانغ احدى البوارج الراسية في مياه اليوسفور حفلة عشاء قبل اذلاعه
لعدد من موظفي امانة البحر . واعتزم الاسرر المسيحيون الذين يشتغلون في السفينة القوي
القائمة من جراء هذه الحفلة فقتلوا تقريبا كل البحارة واوثقوا الضباط ونصبوا الشراع واتجهوا نحو
بحر الابيض . وبعد هذا لم يسمع الباب العالي شيئا قط عن هذه البارجة . ولقد جرى
مثل هذا الحادث سنة ١٧٦٠ في عهد السلطان مصطفى الثالث في الحولة العادية التي كان
يقوم بها الاسطول في البحر الابيض اذ بينما كان الضباط يقومون بصلاة الجمعة في جزيرة ميسندار
سنانوسو اعتزم العبيد الروس الذين هم في سفينة نائب امير البحر الفرصة وقتلوا البحارة
المسلمين وقطعوا ارجالهم . وعملوا الى حيرة مألوفة بعد ان تمكوا من الافلات من بقية
السفن التي لاحقتهم . وقد اضطر الباب العالي ان يستعين بما لبلاط فرنسا من نفوذ لدى
اولي الامر في مالطة كي يستعيد هذه السفينة التي رجعت الى الاستانة بعد اربعة عشر شهرا
وعلى ظهرها اسرى من المسلمين بدلا من العبيد المسيحيين .

الباب التاسع

علاقات البلاط العثماني مع الدول الأجنبية

تتألف الامبراطورية العثمانية من بلاد فتحت حربا . لقد اقبل الى اسيا الصغرى زعيم قبيلة تركية مؤلفة من اربع مئة واربعين عائلة واحترت من العجم عربا من حبيش خنكيز خان وحصل عام ١٢٣١ على اذن من سلطان قبيلة السلجوقي للاقامة قرب انقرة . وبهاجم هذا الزعيم السمي ارطغرل سكان *البلاد* بصورة دائمة حيث قام بعدة فتوحات . وخلفه ابنه عثمان في حكم مقاطعة سنكجيان واصبح مستقلا مثل بقية حكام الولايات بعد سقوط عرش السلطنة لاسيا الصغرى . اتخذ سنة ١٣٠٠ لقب سلطان . وقام السلطان عثمان وخلفاؤه الثلاثة من بعده بشن حروب موفقة على البنزطيين من جهة وعلى الدولات التي قامت على انقاض مملكة السلطنة من جهة ثانية . واكسحوا كدما اعدا فرماتيا التي لم تسقط الا امام جيوش السلطان محمد الثاني ~~مظفر الدين~~ ^{وقد} اتبعها بتقويض الامبراطورية البنزطية واصبحت بيزانس عاصمة الولايات الامشالية التي ضم اليها السلطان سليم الاول بعد نصف قرن بلاد الشام ومصر والحجاز . ومن حينذاك لم يبق لامبراطورية عثمان من دول مجاورة في اسيا غير مملكة العجم . وقد تشبث بينهما حروب عديدة ظلت مدة قوتين يشعلها نارالطمع ومتابعة بحمية العصبية الدينية . ومشيئة الى المنافسة القائمة بين هاتين الدولتين المتحاربتين . واخيرا تمكن الامشاليون بفضل كمو تفوق جيوشهم من الاستيلاء على بلاد بابل والعراق وسبيليا وكردستان وبي ولايات كانت اتناء تعاقب هذه الحروب الدموية تؤخذ وتسترد مرات كثيرة . الا ان الحقد السياسي القائم بين هاتين الدولتين الاساميتمن اخذ يخف في القرن الماضي بسبب سقوط عرش الصفويين وما قام على اثر هذه النكبة من فتن انهكت بلاد العجم .

ان المعاهدات التي كانت تنهي الحروب بين العثمانيين والعجم كانت تعقد دائما على اساس منح الحرية الدينية للمسيحيين الموحودين في العجم ومثلها للشعبيين العجم الموحودين في مكة والمدينة وفي الساحل التي فيها ثور الائمة العلويين التي في بغداد . وبعد هذه

السود الرئيسية سائر البحث في الشعوب السياسية وفي الاحيان التي كان العثمانيون هم الذين غرسوا السلم على الدوح كماوا يطالبون عدية سنوية مؤلفة من مئة وخمسين او مئتين حمل من الحرير وغير ذلك من منتوجات العجم .

ان فتوحات العثمانيين في اوربا جعلتهم منذ اول عهد الدولة على اتصال مع الدول المسيحية الواقعة على سوا الدانوب . فالتى كانوا يسحقون عليها كانت اما ان تصم الى السلطنة او تحفظ مملوكة وتدفع حربة سنوية . عدا ذلك فانه كان يشترط في الغالب على هذه الدول ان تدفع مالاكى تكفى على الدانوب من العثمانيين . ان مثل هذه الضرائب المفروضة على غير المسلمين بامر بهما الشرع الاسلامي وهي ناحية دينية تحضى عليها العثمانيون بكل دقة .

وكانت تراقيا ، النمرب والبوسنة وبناريا والبلطيريا واسكارقونيا وكل البلاد الكائنة ما قبل الدانوب ومن اشدها السراغوية المؤقتة ، كانت كلها تدفع الحربة حتى زمن غسها الى الولايات العثمانية . اول حربة سالها فرنسا على بلاد النمرب سنة ١٣٧٥ كانت تتالف من خمسين لوه من حالم الفنة وقد تسالفت سنة ١٤٢٨ ووصلت الى ثلثين الف ذهب (دوقه) سنة ١٤٥٤ . وفي عام ١٤٥٥ غرس على السراغوية عثمانين الثاني دفع حربة مؤلفة من عشرة الاف ذهب واحذ هذا السبلغ يزداد في عهد كل سلطان جديد الى زمن فتح القسطنطينية .

واول حربة دفعتها الافلق سنة ١٣٩٠ في عهد ميرزا الاول كانت تتالف من ثلاثة الاف ذهب وثلاثين قرصة وعشرين لارا . وتسالفت منذ السنة التالية . ولم يغرس على البندران في بادئ الامر في عهد *Vysse Bogdan* سوى دفع اربعة الاف ذهب واربعين قرصاً واربعة وعشرين لارا . عدا هذه الضرائب كانت تزداد دائما مع الزمن فانه كان يشترط على كل *Vysse Bogdan* ان يقدم الهدايا الثمينة لوزراء البلاط العثماني . وكان يتناول الصدر الاعظم خمسين او مئتين الف ذهب . وقد طلب الصدر الاعظم رستم باشا في عهد السلطان سليمان الاول مئة الف ذهب ويقيمون معن خلفوه زادوا ايضا مطالبهم الى اكثر من ذلك .

وقد تعهد حنا زابولسكي سنة ١٥٢٦ وهو اول امير على ترانسلفانيا وخاضع لسليمان الاول بدفع حربة سنوية مؤلفة من ثلثين الف ذهب . وقد توصل ايتيان زابولسكي عام ١٥٤١ الى جعلها عشرة الاف الا انها حددت زمن سليم الثاني بخمسة عشر الفا وزيدت الى الاربعين الفا عندما انتخب *Emérie Tokéli* ملكا على المجر سنة ١٦٨٢ .

وبدأت جمهورية البندقية سنة ١٤٠٨ بدفع ألف وست مئة ذهب . وقد تعهدت عام ١٤٧٩ بدفع عشرة آلاف . ولم تتمكن من الحصول على ستمائة سيمال الاول سنة ١٥٤٠ الا بعد ان قتلت بحرية ثلاث مئة ألف ذهب تدفعها على ثلاث سنوات . وقد اضطرت ايضا سنة ١٥٧٢ بعد ان خسرت جزيرة قبرص الى دفع مئة ألف ذهب للسلطان سليم الثاني .

وبمعاودة عقدت سنة ١٥٤٤ تعهد الرشيدوق فرديناند ملك الرومانيين بدفع حزية سنوية للسلطان عن بلاد المجر وقدرها ثلاثون ألف ذهب وعليه عدا ذلك ان يدفع اربعة الاف للصدر الاعظم مع ارسال هدايا له وبقية اعضاء الديوان . اما ملوك روسيا فانهم لم يدفعوا مالا الا لخدمات القرم . ولكي يحصل القيصر ايفان الرابع على الصلح من " دولت كراي خان الاول " سنة ١٥٧٢ تعهد له بدفع حزية سنوية قدرها ستون ألف روبل .

وكان خدمات القرم بدورهم خاضعين للسلاطين العثمانيين . وكلوا يحصلون على امر تصيبهم بذلعة منحها السلطان مصنوعة من القطيفة الخضراء ومزينة بفراء من جلد السمور ومحلة تسعه صفوف من المشايخ مصنوعة من الحجارة الكريمة ، ويكون مع هذه الخلعة سيف ، وخنجر ومنطقة مرصعة بالحجارة الثمينة وقوس عليه عذائج من الذهب وجمجمة مزركمة بللالي . وقلنسوة (قلق) من القطيفة الخضراء مصنوعة اعراقها من فرو السمور ومزينة بوسامين من العاج . وقد رفض الخانات الاولون ان ياخذوا اذ راية او ضبل او طوق من السلاطين العثمانيين وهي الشارات العادية للمارة عند التتو . وقد لقي السلطان سليم الاول سعيه كبيره لاقع " سعادة كراي خان الاول " لكي ياخذ منه عام ١٥١٨ راية سلطانية وراتب ألف بارة في اليوم . وتقول التواريخ بان السلطان اراد تحقيق ذلك كي يؤكد للتتر خضوع هؤلاء الخانات للسلاطين العثمانيين . الا انه لم يذكر اسم السلطان قبل اسم الخان في الخطبة الا سنة ١٥٨٧ عندما قام بذلك " اسلام كراي خان الثاني " نحو مراد الثالث .

ان شارات التولية لامراء الافلاق والبغدان كانت خلعة من الجوخ الاحمر مزينة بفراء السمير ، وراية ، وطوقين مع قلنسوة (كوكا) مزركمة بالذهب شبيبة بقلنسوة قواد الانكسارية . وهي ميزة منحها السلطان بايزيد الثاني سنة ١٤٩٧ لبغتان امير البغدان مكافاة له على النبالة التي

ابداها في الحرب ضد البولنديين . اما الامراء الحاليون فبالرغم من انهم حكام عادليون يحلون لقب *Voyvode* وياك فانهم يتمتعون بهذه الميزات نفسها .

ونلاحظ في التاريخ ان امراء ترانسلفانيا الذين كانوا خاضعين للباب العالي ويحطون لقب *ملوك المحرمين* حنا زابولسكي و *Antonia Roschani* و *Bethleem Jhaberg* و *Emere - Feker* الخ كلهم يستلمون امر تنصيبهم بخلع الدباج وتاج ذهب وسيد، مرض بالحجارة الكريمة وراية وطوق وحواد مجهز بأشياء عدة .

كان تمنح في السابق ايضا لامراء جورجيا وبلستان خلعة سنية من نجوت (دسوك) من الذهب وراية وطوق . منح هذه الشارات كانت تمنح لامراء القوزاق (*Hatmans*) مرفوعة بقلنسوة من القطيفة اعراقدا من فرو السمور . وكانت تمنح لهم الدولة في بعض الاحيان مع هذه الشارات سيفاً ووساماً مرصعين بالحجارة الكريمة .

لم يكن للاشترايين قبل فتح القسطنطينية امعارقات وقتية من جيرانهم الدول الاوروبية . كانوا يقومون في غالب الاوقات بهجمات على اراضيهم وكان *ديانفون* من الارتباط بمعاهدات مع الكفار . وبعد سقوط الامبراطورية البيزنطية كان البندقيون هم اور من ارتبط بمعاهدات صداقة مع المنتصرين . فعند السنة التالية لفتح القسطنطينية ارسل مجلس شيخ جمهورية البندقية سفيرا لدى السلطان محمد الثاني يدعى *Barthelemy Haudecort* الذي حصل على معاهدة تؤمن بموحدها حرية التجارة والملاحة لرجال الدولتين . وانفق الحكومتان على ان لا تقدم الواحدة منهما اي مساعدة او حماية لاعداء الحكومة الثانية وقبل السلطان ان يقدم سفير الجمهورية البندقية *Bongia* في القسطنطينية .

وانظر مجلس شيخ الجمهورية علوانا حرب خاسرة ضد نفس السلطان ان يتعهد بالتخلي عن اسكدار و *Novye* ويدفع مئة الف ذهب كعوطق ويدفع حية سنوية قدرها عشرة اوز ذهب .

وقد انتصرت جيوشها على جيوش السلطان سليمان الاول الا انها لم تستفد من هذا الانتصار اذ لم يتوصل لمفاوضة *Louis* للحصول على الصلح سنة ١٥٤٠ الا شرع بالتخلي عن الاربع عشرة جزيرة التي في الارخبيل والتي هي في ذلك الوقت تحت سلطة الدولة وبالتخلي عن جزيرتي *Malaisia* و *Naples* الرومانيتين .

الا انها حصلت لبعائها في السنة ١٥٤٠ التاسعة العشرة لالعابا

ابداها في الحرب ضد البولونيين . اما الامراء الحاليون فبالرغم من انهم حكام عاديين يحملون لقب *Voyvode* اوبان فانهم يتمتعون بهذه الميزات نفسها .

ونلاحظ في التاريخ ان امراء ترانسلفانيا الذين كانوا خاضعين للباب العالي وحملون لقب ملوك المجر مثل خا زابولسكي و *Etienne Boschari* و *Bethléem Jhabon* و *Guéric Tékéli* الخ . . . كلو يستلمون امر تنصيبهم بخلافة الديهاج وتاج ذهبي وسيف مرصع بالحجارة الكريمة وراية وطيخ وجواد مجهز باثني عدة .

وكان يمنح في السابق ايضا لامراء جورجيا و *Kakheti* خلعة سنية مع نبوت (دهوس) من الذهب وراية وطيخ . ونفس هذه الشارات كانت تمنح ايضا لامراء القوزاق (*Hatmans*) مرفوعة بملقنوة من القطنية اطرافها من فرو السور . وكانت تمنح لهم الدولة في بعض الاحيان مع هذه الشارات سيفًا وسلاما مرصعين بالحجارة الكريمة .

لم يكن للاحتشائيين قبل فتح القسطنطينية العلاقات وفتحة مع جيرانهم الدول الاوروبية وكلوا يقومون في غالب الاوقات بهجمات على اراضيهم و *Wallachians* و *Rumanians* من الارتباط بمعاهدات مع الكفار . وبعد سقوط الامبراطورية البيزنطية كان البندقيون هم اول من ارتبط بمعاهدات صداقة مع المنتصرين . فعند السنة التالية لفتح القسطنطينية ارسل مجلس شيخ جمهورية البندقية سفيرا لها لدى السلطان محمد الثاني يدعى *Barthélemy Marcellus* الذي حصل على معاهدة تؤمن بموجبها حرية التجارة والملاحة لرايا الدولتين . واتفقت الحكومتان على ان لا تقدم الواحدة منهما اى مساعدة او حماية لامراء الحكومة الثانية وقبل السلطان ان يعين سفير الجمهورية البندقية *Boyle* في القسطنطينية .

واخطر مجلس شيخ الجمهورية على اثر حرب خاسرة ضد نفس السلطان ان يعتمد بالتخلي عن اسكدار و *Prova* ويدفع مئة الف ذهب كعوض ويدفع حرية سنوية قدرها عشرة الاف ذهب .

وقد انتصرت جيوشها على جيوش السلطان سليمان الاول الا انها لم تستطع من هذا الانتصار ان تلم يتوصل بمفاوضة *Louis Boudouet* للحصول على الصلح سنة ١٥٤٠ الا شرط التخلي عن الاربع عشرة جزيرة التي في الارخبيل والتي هي في ذلك الوقت تحت سلطة الدولة وبالتخلي عن جزيرتي *Malvoisie* و *Naples* الرومانيتين .

الا انها حصلت لراياها في الشرق على فرائد عديدة مثل (١) الثامن المنوح للرايا

البندقية بعدم ملاحظتهم في المسائل الحثائية واميرالدين (٢) عدم السماح للقضاة العثمانيين من الحكم في الدعاوى القائمة ضد الرعايا البندقيين بدون حضور مترجم من ملتهم (٣) لغاء البندقية الذين لا يعطونهم الولايات العثمانية من دفع الجزية (٤) تسليم المجرمين بين الدولتين (٥) تسليم الساحلين المسيحيين الهاربين باستثناء الذين اعتنقوا منهم الديانة الاسلاميه انما يدفع لجمهورية البندقية مبلغ الف بارة عن كل شخص (٦) انزال العقاب الصارم بكل من يحاول ان ياخذ اسرى في البحر او البر من رعايا الفريق الثاني والتعهد بارجاعهم او بضع حرية الذين اعتنقوا منهم الديانة الاسلاميه (٧) التامين التام لكل مركب يوضع على الشاطئ وللأشخاص المشحونة فيه ولبحارته وركابه . واخيرا تترك الحرية للجمهورية في تعيين سفير حديد لها كل ثلاث سنوات لدى الباب العالي .

وفي معاهدة الصلح المعقودة سنة ١٥٧٣ تخلت البندقية عن حقوقها في جزيرة قبرص التي فتحها العثمانيون كما ارجعت لهم مدينة Zafota على شاطئ البانيا ثم بعد ذلك سببت مسألة الاستيلاء على جزيرة كايديا حريا شديدة بين الدولتين . وبعد محاولات دموية دامت خمسا وعشرين سنة عقدت الهدنة سنة ١٦٦٩ في معسكر الصدر الاعظم كوبرللي زاده احمد بلدا تحت اسوار مدينة كايديا التي كان يحكمها الخصال فرنسيسكو موروسيني . وكانت اهم الشروط هي : (١) التخلي عن حصن كايديا للعثمانيين (٢) التعهد بسلامة المراكب العثمانية في البحر الابيض ودفع تعويض للرعايا العثمانيين عن كل سفينة تؤخذ منهم (٣) ارسال بعثة فوق العادة للاستانة مع هدايا .

وقد اشتركت البندقية عام ١٦٨٤ بالاتحاد الذي حصل في السنة الفائتة ما بين النمسا وبولونيا ضد العثمانيين . وهذه الحرب التي اشتركت فيها روسيا سنة ١٦٩٥ انتهت سنة ١٦٩٩ بمعاهدة كارلوفيتز التي دلت على انحطاط عظمة العثمانيين . وقد املت الدول الاربع المتحالفة شروطا وحد السلطان مصطفى الثاني نفسه مظهرا لقبولها . وفي معاهدته من البندقية اشترط الباب العالي على هدنة تدوم ثلاثين سنة وتخلي للجمهورية عن المورع حتى Hanioulon وعلى جزر Engie , St Maurice , Zante , Lencade مع مدن كثيرة من مدن دالماسيا . الا انه يترتب على الجمهورية ان تسحب قواتها من Lepante وان تعدم Castel Nuovo , Préviera بنفس الوقت منع الباب العالي الامان العام لكل الرعايا المسيحيين الذين اظهروا في هذه

الحرب خيانتهم للدولة أو غير ذلك من الخيانات السياسية .

وقد احتفظت جمهورية البندقية في معاهدات الصلح المنعقدة في باساروفيتز سنة ١٧١٨ بكل ما عنته في بلاد البوسنة ودلماسيا والمانيا . وحصلت على تخفيف الضرائب الحمركية في الولايات العثمانية وحلها ثلاثة بالمئة . كما أنه يجب على الباب العالي أن يامر المقاطعات الأربعة الثلاث : سراييفو ونينس ومقاطعة *Herzegovina* في الجبل الأسود باحترام الراية البندقية . وبما أنه حصلت مفاوضات عن القاعدة *Herzegovina* قال الدولة طلب محتلة النور التي فتحها ، وذلك بدون أن يشار في المعاهدة إلى انضمام هذه المقاطعة . وقد ظلت هذه المعاهدة معمول بها إلى الزمن التي أيدت فيه الجمهورية .

إن التواريخ العثمانية تلزم الصمت عن أقدم المعاهدات المنعقدة بين الباب العالي وبين بولونيا . وأول معاهدة يأتي ذكرها هي المعاهدة المنعقدة سنة ١٥٩٨ بين السلطان محمد الثالث وسيجيسموند الثالث . وأهم المواد هي : في أن يأمر الباب العالي التتر باحترام الأراضي البولونية . وتتعهد بولونيا بدورها في الانتقام باعتداءات عدا التتر وعلى سكان البغدان وأن تتابع بتقديم الهدايا التي كانت تعودت أن منحها لحانات القرم (١) . وأن لا يصر السلطان أبدا جيشا تتريا في الأراضي البولونية . وأن يسمح للخزان بالسير لمساعدة بولونيا إذا طلب منه الطمان ذلك ، وأن يتعاضد رعايا الفريقين النجار بحرية بعد أن يدفعوا الرسوم المفروضة . وقد حدثت هذه المعاهدة سنة ١٦٠٧ في عهد السلطان أحمد الأول وزيد عليها مادتان : حرية التعامل بالقروش العثمانية . ومنع التعامل بالنقود البولونية التي عليها صورة أسد في الولايات العثمانية لكونها ذات قيمة ضئيلة .

وعلى أثر بعض تهمة تعدييات حدثت في عهد هذا السلطان فلقده عقدت هذه المعاهدة سنة ١٦١٧ وقد اشترط الأبدخل القوزاق أبدا إلى البحر الأسود والايقيموا بفارات على البغدان أو ترانسلفانيا أو الأقاليم وأن يرسلوا في كل سنة الهدايا التي اعتاد أن يقدمها (١) كانت هذه الفضة السنوية تتألف حسب رواية المؤرخ العثماني *Selavike* من عشرة آلاف ذهب ويعدون من حطود السمور .

• خانات القرم •

ولقد حدد عثمان الثاني هذا العقد سنة ١٦٢١ تحت اسوار خطين بشرط ان تتعهد كلاً الجمهورية بارجاع هذه الغنيمة الى السعدان وبإيقاف اعمار قرصنة القوزاق في البحر الاسود ويدفع مبلغ اربعين الف فلوران لخان التتر •

ونشبت حرب جديدة في عهد السلطان محمد الرابع انتهت سنة ١٦٥٣ بمعاهدة Carlowitz تمهد بموجبها بلاط فيسوفيا بتقديم المساعدات التي يطلبها خان القرم عند السروية وان يدفع له مديوناً ضريبة معينة وان يسلمه رحلين من اشراف البولونيين رهينة لتأمين القيام بتعهداته •

وفي معاهدة صلح *Wettstein* المعقودة في غاليسيا سنة ١٦٧٢ في معسكر التانمقام قرره مصطفى پاشا اشتراط على الجمهورية ان تدفع سنوياً لباب العالي كمدة مبلغ اثنين وعشرين الف فلدقلي (سيكان) : وان تمتنع عن تقديم هذا المبلغ ~~للكمالة~~ السنة التي يقوم بها العشاقون او التتر او القوزاق بالانكسار في الاراضي البولونية بدون ان يقدم الباب العالي ار ترضى عن ذلك • وان تنضم بودوليا الى الدولة العثمانية واوكرانيا الى القوزاق وان تحترم الجمهورية تعهداتها نحو خانات القرم • وان يسير خان القرم لمساعدة طاه بولونيا اذا كان هذا في حرب غير موفقة مع احدى الدول المجاورة •

ولقد سبب عدم احراء هذه المعاهدة الخزية من قبل بولونيا حرباً جديدة بين الدولتين ولكن الخسائر التي مني بها العثمانيون جعلتهم يعدلون عن اخذ الحزبه السنوية البالغة اثنين وعشرين الف ذهب (١) ويوافقون على اسحي عن موقعسي *Budapest* و *Pandely* امهم من • ثلاث كانت شروط الهدنة المنعقدة في *Zurawno* سنة ١٦٧٦ • وكانت اللجنة المفاوضة ١٧٧٤ مؤلفة من ممثلين بولونيين من جهة • وخان القرم • حجي سليم كوار • والمر عسكر اوزون ابواعيم باشا من جهة اخرى •

(١) للمترجم — ذكر دوسون في الفقرة السابقة سيكان ثم قال في هذه الفقرة ذعبا (دوقها) فهل يريد به ما نفس الشيء ؟ انما الراجح انه ذكر ذلال خطأ •

وفي سنة ١٦٨٣ تحالفت بولونيا مع النمسا ضد الباب العالي . وارجع الى بولونيا بموجب معاهدة كراوفيتز التي اتمت هذه الحرب سنة ١٦٩٩ حصن Kammer من غداكوف واورانيا وكندا واقعة فيما قبل نهر الدنيبر .

ومن المظاهر ان اول معاهدة بين الباب العالي وبين النمسا عقدت في الاستانة سنة ١٥٤٤ في عهد السلطان سليمان الاول . وكانت تمنح على هدنة سنتين ووددت الى خمس اخرى عام ١٥٤٧ وذلك مقابل جزية سنوية قدرها ثلاثون الف ذهب تعهد فرديناند الاول بدفعها الى السلطان عن ممتلكاته المجرية .

وايدر معاهدة بعد هذه هي معاهدة Zédelow قرب غريندل التي اتمت بها الحرب سنة ١٦٠٦ الثالثة بين السلطان احمد الاول والامبراطور رودلف الثاني . وكانت اهم المواد (١) هدنة لمدة عشرين سنة (٢) تعاطي الرسائل بين الملكين وتكون مليئة بمباركات الكرام والصداقة كلها التي تكون بين اب وابنه . (٣) ان يعطي السلطان من الان قدامدا لامبراطور ألمانيا لقب قيصر الرومان عوضا عن لقب (Kaiser) وان يرسل كل واحد للاخر بعثة فون العادة مع عدايا تليق بالملكين . وان يحدث مثل هذا ايضا في سنة الصلح الثالثة (٥) ان يقدم الامبراطور بواسطة سفيره مبلغ مئتي الف قروش .

وبعد حصول اشتقاق جديد تبعه معاهدة صلح جرد التفاوض فيها وعقدت في فينا سنة ١٦١٥ من قبل احمد اعلى القوس النمساوي وكان ذلك في عهد الامبراطور ماثياس حددت الهدنة فيها الى عشرين سنة من تاريخ معاهدة Zédelow وقد منح السلطان الرعايا النموسيين الموحودين في الدانابات الشمانية حرية التجارة مع القيام بتقوسهم الدينية . وخفف لهم سرائب الحمران الى ثلث بالمئة . وسمح لعمال البراعير اخذ مخصص حربية اثنين بالمئة عن بضائع الرعايا العثمانيين المحمل على سفن نمساوية . ولهم وحدهم الحق في معرفة شؤون التجار الذين يحب الايفاء بشروطهم احد من موثقي اناليه وانه يحب على طائفي عسكر الاستانة فقط ان ينظر في حكم الدعاوى التي يكون المبلل المطلوب فيها اكثر من اربعة الاف بارة .

وعقدت معاهدت اخرى في Soudwa سنة ١٦٢٨ بين مراد الرابع وفرديناند الـ الثاني وهي تنص على هدنة خمس وعشرين سنة وعلى الشرط التالي وهو ان يتخلى كويودا

أو امير ترانسلفانيا *Michael* عن تاج المحر لاميير النمسا
وقد تلى هذه المعاهدة معاهدة *Vienna* المنعقدة سنة ١٦٦٤ بين السلطان محمد
الرابع والمباور ليوبولد الاول . وهي تنصر على عدة عشرين سنة ، وتتعدد النمسا بسحب قواتها
من ترانسلفانيا والاعتراف بحقوق *Michael* عليها وان تتخلي للباب العالي عن عدة
حصون واقعة على الحدود المجرية .

انما في معاهدة كرفويتز التي عقدت سنة ١٦٩٩ احتفل الامبراطور بترانسلفانيا التي
تخلي عنها لستين خذا الامير *Al. Apffy* ملك *Banat* التابعة لمقاطعة *Temeswar*
بأيدي العثمانيين .

وكانت شروع صلح ياساروفيتز المنعقد سنة ١٧١٨ بين احمد الثالث وشارل السادس
من صالح البلاط النمساوي اكثر من المعاهدة السابقة . ان كل محتفظا بـ *Transwar* وبالقسم
من الافلاق الواقع عربي نهر *Danub* وبالقسم الاكبر من بلاد الصرب التي كانت النمسا محتلتها وقت انعقاد
الصلح . وتقريبا نفس هذا الوقت انذرت في الهدنة لمدة اربع وعشرين سنة عقدت معاهدة
تجارية تؤيد تخفيف الضرائب الحمركة التي على البضائع التي تارثه بالمئة تدفع نقودا او عدا .
وسمح لرعايا الاسراطور في الملاحة في نهر الدانوب ولكن على الاعتدال مضيه ، وبترتب عليهم ان
يستعملوا مراكب عثمانية في *Ilkiz* و *Isackza* و *Kilik* الخ . لنقل البضائع الى
الاستانة والقزم ومرافق البحر الاسود - وللاولاد النمساوي الحرية في ومن سفراء له في مرافق
البحر الابيض التابعة للدولة العثمانية . واحتفظ الباب العالي بحق تعيين عمال له تحت اسم شاه
بندر في الولايات النمساوية بقوم بحماية الرعايا العثمانيين . وقد اشترط في الاتفاق استيلاء القراصنة
المالطيين او غيرهم على السفن العثمانية سبيا في التحويل بالسفن النمساوية او الرعايا النمساويين
الموجودين في الدولة العثمانية . وانه يمكن للتجار العثمانيين احتياز الولايات العثمانية لوصولوا الى
الاراضي النمساوية مقابل دفع مائة مائة مرور قدرها خمسة المئة يدفعونها على الحدود وتعطى لهم
الحرية في حال وقوع حرب بالانسحاب من البلاد المعادية بعد ان يصفوا اعمالهم .

وقد نصت معاهدة بلغراد سنة ١٧٢٩ بتوسط دولة فرنسا باجرا عدة تدوم سبعا
وعشرين سنة وارجاع بلغراد للعثمانيين مع اورفا وبلاد الصرب والافلاق النمساوية ويجعل نهر
الدانوب والساف حدودا للدولتين . وقد تحولت هذه الهدنة الى سلم دائمي في السادس

والعشرين من شهر مارس سنة ١٧٤٧ وفي نفس الوقت عقد البارون بنكلر معاهدة تجارية في الاستانة باسم السراطين فرانسوا الاول سقته او البارون الديوك الاكبر لتوسكانيا . واعطي للتوسكانيين في هذه المعاهدة نفس الحريات والاعفاءات الممنوحة في الولايات العثمانية للشعوب الأوروبية المفضلة على غيرها .

ولتتم شرط هذا المعاهدة الباب العالي في حربه ضد الروسية بضم كل قضاة *Parus wass* سنة ١٧٧٥ الذي كان يؤول جزءا من البغدان وسجولا للاتصال بين غاليسيا وترانسلفانيا . وحصل السراطين حوريت الثاني سنة ١٧٨٤ على تحديد كل المعاهدات التجارية القديمة ، وعلى كل الاعفاءات التي كانت قد منحت لروسيا في العام السابق . واعتبرت معاهدة سيستوفيا الموقعة سنة ١٧٩١ آخر حرب بين الباب العالي والنمسا واشترط فيها ان ترجع كل دولة للشانية البلاد التي احتلتها .

ان العلاقات المباشرة بين الباب العالي وروسيا لا ترجع الى امد بعيد . ففي حروب هذه الاخيرة من ثمر القرم لم يقم الباب العالي الا بدور مساعد للخانات الخاضعين له فقدم لهم المعونة بالرجال والاموال والذخيرة .

وحسب التواريخ العثمانية لم يظهر اول مره سفير روسي في الاستانة سنة ١٦٢٢ كان مرسلا من قبل القيصر مخائيل الثالث رومانوف للعرض للسلطان مصطفى الاول التحالف معه ضد بولونيا الا انه لم يوافق على ذلك ، ويرجع السبب بصورة خاصة للفتن القائمة في الدولة منذ نكبة السلطان عثمان الثاني . ولم يدخل الباب العالي في علاقات مع روسيا الا سنة ١٦٧٧ في عهد السلطان محمد الرابع وذلك بمقتضى مناسبة قلاقل القوزاق الذين كانوا يضغطون تارة لبولونيا وتارة اخرى للباب العالي وروسيا . وعلى اثر بعض حوادث حربية كانت انشبت في اللروس عقد الباب العالي سنة ١٦٨١ بواسطة خان التتر سراق كراي معاهدة مع القيصر فيدمر الثالث اشترط فيها عقد هدنة لمدة عشرين سنة مع استقلال القوزاق و جعل محرق نهر البورستين حدا فاصلا بين المبراطوريتين .

ولقد نقضت هذه الهدنة عام ١٦٩٥ من قبل بيسر الاول الذي استولى على مدينة ازوف الا انه استلزم في مؤتمر كركوفيتز الا ان يفاوضي القيصر لم يقبلها الا ان تكون لستين . وعقدت الدولتان بعد ثمانية عشر شهرا اي سنة ١٧٠٠ معاهدة صلي لمدة ثلاثين سنة . وتعهدت روسيا بإرجاع مقاطعة *Azovskow* الى الباب العالي والاحتفاظ بازوف مع الاراضي التابعة لها .

وتحرر ، من دفع ارضه ، لامراء التتر كما يحق للوعايا الروسيين من انتفع بالامان الدام في الولايات
العثمانية . كما انه سمح لهم بزيارة بيت المقدس منتهى الحرية . ويبدو ان يكونوا خاضعين
لدفع اية ضريبة . واحتفلت روسيا بخاصية تعيين سفير لها في الاستانة يتتبع بكل الامتيازات
المفوضة لسفراء الدول الاوروبية .

وعقد في الاستانة سنة ١٧٠٥ اتفاق عن الحدود بين الدولتين .

وثبتت المعاهدات الجارية وذلك سنة ١٧٠٩ بعد معركة بولتافا بطلب من روسيا

التي كانت تخاف ان يشهر الديوان السلاح مؤيدا شارل الثاني عشر .

الا ان الحرب ما لبثت ان نشبت بين الدولتين ولكنها انتهت منذ اول معركة بمعاهدة

بروت عقدت سنة ١٧١١ في معسكر الصدر الاعظم لمعه حي محمد باشا . وهي تنص على ان يرد
القبضر مدينة ازوف وان يسحب قواه من كل بولونيا والايضا يهدد البولونيين ولا تقواك اوكرانيا و
ولستونيا الخاضعين لبولونيا ولخان القرم . والايبقى سفير روسي في الاستانة ولكن لا لى رعايا
الروس يتمتعون بحرية التنقل وتعالجى التجارة في الولايات العثمانية وان يعطى لملاك السويد امان
الرجوع الى بلادهم . وبما حدث في تاريخ رشيد ان هذه المعاهدة كان عنوانها **المعاهدة**
الاستسلام " امان تامم " اذ نجد فيها ما يلي " بما ان الحيوث الاسلامية المنصورة على
الدوام تمكنت بمعونته تعالى من تصويق ومحاربة واخضاع قيصرو روسيا وجميع جيشه اخضاعا تاما
على شاطئ نهر بروت فان هذا الملك يطلب المصلح الخ

وتبع هذه المعاهدة معاهدتين القسطنطينية سنة ١٧١٢ وادرنه سنة ١٧١٢

وبكذلك الشروط الرئيسية متعلقة بوضع الحدود بين الدولتين وتعهدهت روسيا بسحب جيوشها من
بولونيا . ولم يكن عندما سوز عدنة لمدة خمس وعشرين سنة الا ان الدولتين عقدتا سنة ١٧٢٠
معاهدة صلح دائمة اتفق فيها ان يكون انما سدر اباب العالي وزير اوسفير روسي .
وان تتحرر روسيا من دفع اربعين الف ذعب التي تقدمها سنويا لخانات القرم . وقررت الحكومتان
عبادة قوانين الجمهورية البولونية ومن قيام الملكية في تلك البلاد اومن تعاقب الحكم ابوراثي على
العرش .

وعلى اثر حصول فتن في بلاد العجم انقسم الباب العالي الفرصة مع روسيا لمحاولة
ضم الاراضي الواقعة على شاطئ بحر قزوين التابعة لهذه الملكة فعقدت من اجل ذلك معاهدة

بتوسط فرنسا سنة ١٧٢٤ تفرقت الاراضي بين الامبراطوريتين .

ولكن نشبت حرب جديدة بينهما تبعها معاهدة صلح بلغراد المنعقدة سنة

١٧٢٩ وقد حرز النفاوذ فيها بتوسط سفير لويس الخامس عشر . وكان اهم المواد فيه انتم

بهدم مدينة ازوف وبوض الحدود بين الدولتين بمقتضى معاهدته سنة ١٧٠٠ وضع اسفل الروسية

من عبور بحر ازوف والبحر الاسود وخصوصا السفن الحربية . وضع الاستقلال التام لمقاععتي

الـ : *Calcutas* وتوان الاسرى الذين هم عند الدولة او عند الشعب بدون دفع ار فدية عنهم انما

باستثناء المسيحيين الذين اعتنقوا الديانة الاسلامة والمسلمين الذين اعتنقوا الديانة المسيحية .

مع منحه ~~الامتيازات~~ ^{نفس} التجارية التي تتمتع بها امصار الدول . والحرية المعطاة للرعايا الروس

بنقل بضائعهم في البحر الاسود على مراكب عثمانية . بحرية القيام بطيور ديانة دولة روسيا في الولايات

العثمانية . وتعيين وزير روسي دائمي في الاستانة متمتع بالامتيازات الممنوحة لوزراء اعظم الدول

الاوربية ومنح لقب امراة للقيصرة .

وقد دام هذا الصلح ثلاثين سنة اذ اعترضه حرب خاسرة نحو العثمانيين انتهت

سنة ١٧٧٤ بمعاهدة قينجره وكانت شروطها : (١) استقلال القرم وملحقاتها . الكويان وحزيرة

تالان . وان يحصل انتخاب الخان من رجال امته ومن بين امراء اسرة خنيز خان والا يخضع

للسلطان العثماني الا في المسائل الروحية . وتتعدد الدولتان ~~بالاتدخلة~~ ابدا لاي سالة

انتخابه واذا في شؤون بلاده الداخلية ٢ التخلي عن كوز ويني قلعه وكليرون لروسيا مع لسان

من الارض يقع بين نهري الدنيبر والديوب (٣) انسحاب ايسار لروسيا عن مدينة ازوف مع ناحيتها من

مقاععتي الـ : *Calcutas* (٤) حرية المارحة للمراكب الروسية في جميع بحار الدولة العثمانية .

(٥) منح الامن العام لرعايا الباب العالي الذين ايدوا روسيا . (٦) القيام بالتعهد الذراخذه

السلطان على نفسه لحماية الديانة المسيحية في ولاياته والسماح بتريم الكنائس القديمة وتشييد اخرى

جديدة . وتشيت رعاياه المسيحيين في املاكهم ومراكزهم . وان يؤجل لهم دفع المتأخر من

ضرائبهم . وان يعفيهم من اى خريبة مدة السنتين التاليتين . والا يمنع محنة العائلات اللاتي

تريد ان تعادر البلاد حاملة حوائجها في مدة السنة الاولى من الصلح . وان يقضي اخيرا على

اعمال الشدة والظلم التي ينزلها الحكام وغيرهم من موظفي الدولة على الرعايا المسيحيين .

(٧) تعهد الديوان بان يرجع امارتي الافلاق والبغدان الى حقوقهما القديمة . والا يطلب منهما

غير الجزية التي حددت في عهد السلطان محمد الرابع . وان يعامل الباب العالي على اميريه

معاملة حسنة . والا يعزل نذيرين آخرين اذا كانت هناك اسباب قوية . وان يتقبل بلبصوة العرونة التي من الحائز ان يقدمها البعثة الروسية لقوله اذا قضت الحال عن هاتين الامارتين .
(٩) ان يعطى السلطان لقب باديشاه لطان روسيا . (٩) ان يقيم في الاستانة وزير روسي من الدرجة الثانية تكون له الافضلية على جميع الوزراء الا حالب بعدد سفير اسراغور المانيا . (١٠) ان تكون للوزير الروسي الحرية بتشريد كمسة لاعل ملته في حي بير (١١) وضع سفراء روسيين في كل بلاد الدولة العثمانية التي يلاحظ ان وجودهم ضروري فيها . (١٢) توسط الباب العالي مع دول افريقيا لتعقد اتفاقات تجارية مع روسيا وان تتعهد الدولة بسلامة السفن التجارية الروسية . واخيرا تتعهد الباب العالي في ماد منحة مستقلة بدفع خمسة عشر الف كيس او سبعة ملايين وخمسة الف قرش لروسيا كمكفقات الحرب .

وقد قبل امضاء هذه المعاهدة اتفاق سنة ١٧٧٥ يعين باكثر دقة حقوق السلطان المتعلقة بالقرم . وعويتا (١) ان يحتفظ السلطان بسلطته الروحية على خانات القرم . (٢) ان يثبت الخان الذي انتخبه الشعب وان يرسل له شارات التقليد حسب العادات القديمة . (٣) ان يتابع ذكر اسم السلطان في الدخنة في ولايات اخل وضرب انقود باسمه . (٤) ان يتناول قضاة التتر رسائل تعيينهم من قاضي عسكر الاستانة .
وقد عقد اتفاق اخر سنة ١٧٧٩ في *Annali - Cavak* وضع حدا لنزاعات جديدة . ولقد ائتمرت فيه ان يعترف الباب العالي بالخان شاهين كزار الاول والاثومر سلطه السلطان الروحية على اقل الخانات المنتخبين . وان تسحب القوم الروسية بدمه ثلاثة اشهر من القرم والكوبان . وان يتعاهد الطكان في الايقوماه منذ ذلك الحين بار محاولة عسكرية في حال حصول اختلافات جديدة بينهما فيما يتعلق بالتتر قبل ان يقدموا بحل الخلاف حيا . وان يصبح معترف باحتلال السلطان للبلاد الواقعة بين نهرى البوغ والدنيستر . وان يتعهد الديوان برد القوزاق الطتحيين اذا ارادوا ان يستفيدوا من الامان الممنوح لهم والانعيه ان ينقلهم الى داخل بلاد الدولة . وان يكون الروس احرارا في الملاحة في البحر الاسود مع مراكب تجارية لا يزيد حمولتها عن ستة عشر الف كيلو قمع او اربع مئة واثنين وعشرين رميلا . وان لا تستخدم روسيا ابدا في هذه الملاحة اشخاصا من رعايا الباب العالي بدون ان تاخذ

حوارها لهم بعرضه المعجمات حيوية م . وكانت جميع أوروبا تنظر إليهم انفذ كالعداة مشتركين
لهذا ذلك بسبب البغض الذي كثره ايلدرته نحو المسيحيين وادعمال السيرة التي كانوا يقومون
بها في البلاد التي يكتسحونها وبالذعر العام من تقدم سلطتهم وبهذا انال السلطان المسحيين
الذين كان اليا ليا يحصمهم كانوا يحدون من اواحاب عليهم تقديم المساعدات للشعوب المجاورة
للعثمانيين . المضطرة دائما للمحاربة ^{من جهة} وحكام السارطين العثمانيين الشكره . وكثيرا
الدخائل التي حصلت والتي كانت نتائجها معار من كاسوفيا ونكبه ليس وازا الشديرة .

وكان بلاط فرنسا هو اول من تنحى عن هذا التحالف العام . فلقد تكونت عند

فرانسوا الاول فكرة التقوى التحالف مع السلطان لطمان ضد قوة الدار النمساوية الدائلة .
الان محاولت بعثاته الاولى السرية التي ارسلها الى الاستانة في شباط ١٥٢٥ و ١٥١١ لم
تحصل على اية نتيجة . الا ان مفاوضات دة لافوريسات اذ سنة ١٥٢٥ الر عقد معاهدة تحاربه
بين الدولتين .

وكانت اهم شروط هذه الاتفاقية الاولى بين الباب العالي وفرنسا هي : (١) ان

يقيم سفرا فرنسي في الاستانة وقنصل اخرفي الاسكندرية (٢) الا يدفع التجار الفرنسيون عن
بضائعهم بضريبة جمركية سر خمسة بالمئة (٣) وان يعفوا من كل الضرائب مدة العشر السنوات
الاولى من اقامتهم في البريات العثمانية انما يخضعون بعد انقضاء هذه المدة لدفع الخراج
وبقبة الرسوم العادية (٤) في انه يمكن لفرانسوا اسعوب ادوربيه مشرا انكليز وانقطنيين والراغورين
والصقليين والحنويين والبرتغاليين الخ . . . ان الذين ليست حكوماتهم مرتبطة مع الباب العالي بمعاهدات
صداقة ان يتقلوا في السفن الفرنسية في جميع ابهار وان يتعاسرا التجارة تحت حماه فرنسا
في كل البلاد ~~العثمانية~~ التابعة للعثمانيين (٥) ان يتمتع الفرنسيون بحرية القيام بغرفهم
الدنية وان يقيم رعيان كاثوليك في الساقطة على الامكة المقدسة في فلسطين (٦) الا انه لا يحق
وذلك حسب الشرع الاسلامي لار فرنسي او دير او كنيسة لاتينية الاحتفاظ بعقارات في اراضي
الدولة (٧) واتفق على ان يكون المولاد الذين ياتون من اب فرنسي وام من اهل البلاد رعيا
للسلطان يدفعون الحزبة .

ولم يتم التحالف الذي كان في النية احراؤه الاعام ١٥٤٢ الا اننا نلاحظ من
التفصيلات التي اتخذها فرانسوا الاول لجعل مفاوضاته مع البلاط العثماني سرية بالمعاذير التي

قام في اثناء البعطي لنا حميلا لعلاقاته مع التجار - نلاحظ من كل هذا كيف انه كان يعمل ضد اراء المساحة العامة . وقد قام في المفاوضة بهذا التحالف الكاتب سولان *Soulain* الذي اصبح من ذلك الحين الدارون دى زغارد *de Lagarde* . وبمنذ السنة التالية قام اسطول السلطان سليمان وفرانسوا الاول باعمالهما ضد مستلك شارلكان البحرية . وحرز ايضا من هذا العمل المشترك في عهد الطاق عشرين الثاني .

وفي عهد السلطان سليم الثاني حصل *Claude du Bourg* سفير الملك شارل التاسع على تحديد المعاهدة التجارية سنة ١٥٦٩ من احوار مواد جديدة فيها هي من صالح فرنسا . التي حكمها بجوجيدا ~~من~~ تعين قضاصل في بلدان الشرق . ولكنه ذكر في انه لا يمكن لار شخص من رايها السلطان القيام بهذه المهمة . ويحق للسفراء وانقاص محاكم الاشخاص من ماعتهم . والافرنسيون احرار في التصرف بميراثهم . واذا مات احد منهم بدون ان يكتب وصية فان السفير او القضاصل يجمعون امواله لينقلوها لورثائه الشرعيين . وايحق ملاحقة افرنسي بسبب دون غيره اذا اذ كان كملهم كما لا يلاحق بسبب حيلة ما ارتكبه افرنسي اخر قد اختفى . ولا تقبل في المحكمة او دعور ضد احد الافرنسيين الا اذا كانت قائمة على اساس صحيح . وايحق للقاضي ان يحلفي بأدلة الشهود فقط . وضع على المحاكم ان تقبر بسهولة تشكيات الشتم الصادرة ضد الافرنسيين بحق سكان البلاد الذين يقدمون شهودهم زور لاثبات دعوام ولا يتراز الاموال منهم . ويحق لتاجر افرنسي اذا دعي الى المحكمة ان يوقف الدعوى اذا لم يتمكن المترجمان الدائم في خدمة الرعايا الفرنسيين من حضوره الا انه يجب على هذا الاخير ان يثبت سبب عيابه لكي لا يكون هذا العمل سببا لتجنب او تاخير سير الدعوى .

وعلى التراحمه الدائرين ان يقيموا في امكنه التجارية التي عينوا فيها . ويعفى كل افرنسي متزوج في البلاد او غير متزوج من دفع الخراج . ويحق للسفراء والقضاصل طلب الاسرى الافرنسيين الذين عثم في حوزة المسلمين كما يحق لهم طلب انزال العقاب بالقراصنة الذين اسروهم وباعوهم من العلم بان الاسرى الذين اختفوا الاكرم نفس لهم حريتهم بدلا من تسليمهم . ويحب ان تصدر الاوامر للاسطول البحري العثماني في ان يعامل كل سفينة افرنسية معاملة حسنة . وتعدد الباب العالي بارجاع كل ما قد يوهخذ من المراكب الافرنسية وبمعاينة المجرمين معاقبه شديده وتقدم المساعدات للسفن الافرنسية التي تنجح الى الشواطئ التركية ولايس شي من حوائجها

وبمقتضاها ، وأخيرا له الحق للفرنسيين ان يتمتعوا بكل الامتيازات الممنوحة للبندقيين بالمعاهدات المنعقدة بين الباب العالي والبندقية . وان يعطي السلطان بهذه الاتفاقية لقب باديشاه لملك فرنسا مثلا بابيه السلطان سليمان الذي كان في اخر رسائله لفرانسوا الاول ولمنرى الثاني يدعو هذين الملكين بهذا اللقب .

وبعد عام ١٥٨١ اتفاقية جديدة تحوى على امتيازات جديدة اخرجت وكان المفاوض السفير *Jermegues* بارون ده غارميول وكان ذلك في عهد السلطان مراد الثالث والملاي هنرى الثالث . وحصلت فرنسا لسفرائها التقدم على كل بقية الوزراء الاحاب . وقال : " وذلك راجع لارتباطات الصداقة القديمة التي كانت بين السلاطين العثمانيين وملك فرنسا الذين كانوا في جميع الاوقات متصلين باخلاق من الباب العالي وهم في جميع الاحوال لشهراطون المسيحيين .

وقد حصلت فرنسا ايضا على امتيازات اخرى في عهد السلطان محمد الثالث وكان ذلك بمحادثات سافارى دوبريف سفير هنرى الرابع . ويترتب على الدولة الاجنبية في عهد كل سلطان جديد ان تطلب تثبيت الامتيازات القديمة نظرا لكون كل سلطان لا يتعهد الا بنفسه بدون ان يذكر شيئا عن خلفائه ولهذا فان السفراء الاجانب يغتسمون مثل هذه الفرص ليدخلوا في الحصول على امتيازات جديدة وهذه الاتفاقية الرابعة الحاوية على امتيازات جديدة التي وقعت عام ١٥٩٧ كانت تمنح الافرنسيين (١) حرية تصدير القطن الخام والمصنوع والجلود والسفحيان والشموع الخ . . . (٢) الاعفاء من دفع الخراج ومن عليه اضرار الشخصية . (٣) وضع ضريبة على بضائع الرعايا العثمانيين المحملة على السفن الفرنسية (٤) منع القضاة من مضايقة القاصل وتوقيفهم وسجنهم وان ار عمل يقوم ضد القنصل يجب ان يخطر فيه محكمة الصدر الاعظم (٥) التعهد بان تحترم ولايات شمال افريقيا المراكب الفرنسية وارجاع ما يمكن ان يستولي عليه قراصنتها . (٦) ازالة كل فرمان يخالف فحوى الامتيازات .

وقد حصل سافارى ده بريف سنة ١٦٠٤ في عهد السلطان احمد الاول على امتياز خاص للفرنسيين . اذ اعطيت لهم الحرية في ان يرسوا سفنهم في مدينة الجزائر وفي صيد المرجان على شواطئ شمال افريقيا وفي قبول او عدم قبول القراصنة الجزائريين في المرافئ الفرنسية وبعد الباب العدا لي في ان هذا الرفض لا يوسع ابدا في تعكير السلام بين الدولتين

يسمح لرعايا دولة فرنسا اولاديين عم تحت حمايتها في الحج الى بيت المقدس ويؤمن الباب العالي حماية كهنة كنيسة القبر المقدس .

وفي عهد السلطان محمد الرابع قام المركز ده نواتل سنة ١٦٧٣ بمفاوضات مع الباب العالي وحصل على امتيازات جديدة وضعت شروطها في اتفاقية مؤلفة من واحد وتسعين مادة كان بعضها يشبه امتيازات السابق والى اخرها (١) على تحويل الضرائب الحركية التي على البضائع من خمسة الى ثلاثة بالمئة يكن دفعها نقودا او عينا (٢) وان يدفع الافرنسيون ضريبة الجمر المسماء "مسطرة" كما يدفعها الانكليز (٣) ان يحل التعامل بالنقود الافرنسية في الدولة العثمانية (٤) وان يقوم سبيل الركاب الافرنسيين الذين يقبض عليهم وهم في سفن معادية وان يحفل جوازهم وعدم التعرض للدخول الافرنسيه التي تنفذ مواد الخذائيه بين دولتين احديتين (٥) حظر الديوان في الدعاوى النقدية القائمة ضد الافرنسيين ^{التي تكون قمتها اكثر من} اربعة الاف بارة .

ولقد ثبتت هذه الامتيازات سنة ١٧٤٠ في عهد السلطان محمود الاول بواسطة اتفاقية قام بالمفاوضة فيها المركز ده قبلانوف سفير دولة فرنسا وكانت تحوز امتيازات جديدة اية ا . هي : الاعفاء من دفع ضرائب الجمر المسماء مسطرة وقداية الخ الحرية السادة للسفراء وللقناصل في ان يستخدموا عندهم ما يروقهم من التراجمة من اهل البلاد او الانكليزية . اعفاء خدمهم الذين هم من اهل البلاد من رعايا السلطان من دفع الضرائب العامة على ان لا يتعدى عددهم الخمسة عشر . اعفاء الخدم التي يستعملها الافرنسيون من الضرائب . اعفاء اهل الامر الى القضاة في ان ياخذوا مصاريف المحاكمة من الذين اقاموا الدعوى على احد الافرنسيين ويكنون خسرورا وان لا ياخذوا غير اثنين بالمئة كمصاريف المحاكمة من الافرنسيين الذين اقاموا الدعاوى ويرجوها . وقد جاء في المادة التاسعة والثلاثين : " عندما يذهب رعايانا من اهل الانا لعند الافرنسيين . اذا حصل العكس للبيع والشراء ^{المحذ} لان من الاعمال فانه لا يمكن ان يضايقوا من اجل هذا التعامل . " وهي مادة تسمح بمرور عبر مباشرة للروم الكوليان من اهل البلاد في التردد على الكنائس الافرنسية منهم كدرا معرضين لارضضمان من بطارقة الروم او ايونان الذين ^{يتمتعون} يعارضون دوما هذه الخيانة الروحية من قبل ابناء ملتهم . وتتم المادة الاربعون : " على ان

* الامتيازات الممنوحة لقبية الشعوب الأوروبية تكون أيضا منوطة لرعايا الاسرانية الفرنسية وان باعتبارها باحسن معاملة نظرا لان ملكهم كان حديقا للدولة العلية اقدم من بقية الملوك .
ان هذه الاتفاقية وهي اخرواحدة من نوعها عقدت بين عائلة البوربون وبين بلاط العثمان والتي تحث على كل الامتيازات والاعفاءات التي منحت لامة الفرنسية بسورة متتالية .
قد جددت وتثبتت عام ١٨٠٢ في معاهدة عقدت في باريس ووقع عليها سعيد عالب افندي .
لقد منح بموجبها حرية حركة لفرنسيين وفيه حرية الملاحة في البحر الاسود . ونصحت كل من الدولتين احترام سامة ممتلكاتهما . ومنحت كل واحد من الاخرى كل الامتيازات التي كانت قد منحت الم الان . التي سمى تمنح لقبية الدول ويكون ذلك بصورة مؤكدة كما لو كانت امسرت عليها في المعاهدة نفسها .

بالرغم من التغيرات التي طرأت في اوقات مختلفة على العنقبات القائمة بين الباب العالي ووسط فرنسا فان العثمانيين لم يتوقفوا قط عن اعتبار الفرنسيين كأقدم وأفضل اصدقاءهم .
ويزداد هذا الاشارة ايضا قوة يوما ومزعم في انه كان هناك فيما مضى ارتباط عائلي بين العائلتين المالكتين ان سرور خير من المورخين العثمانيين (Aali-Oghuzi و Jelaviki و Potchevi) ان امير البحر ماروجه سافا السراغنة ١٤٢٨ قري بمسولي ربما عليه محمد نبيه وفيه اسره فرنسية معده
للامبراطور البيزنطي خنا السادس . الا ان مراد الثاني الذي كان السلطان الحاكم انشد الحقها بحربه بترام كما انصفا من عائلة اسر البحريه فيم اشياء سجد فخيم في علبوي . وضيد سود المورخون بان السلطان فتح مداحة ورجاحة عقا هذه الشابة الاسيرة التي انجبت له اسطيان محمد الثاني ولعتقت الديانة الاسلامية تحت اسم عليه خانم (١) .

ولمهد بلاط لبندرة ايضا الرعية في الارتباط من العثمانيين بعدود الصداقة والتجارة الابعد تمام وخمسين سنة من حصول اول علاقات بين الباب العالي وبين فرنسا . وقد حسن الدور بورت Edouard Bertron سفير الملك الهنري الرابع سنة ١٥٩٢ للرعايا الانكليز على نود للاحتفال الامتيازات التي كانت قد منحت لفرنسا . وحدثت هذه الاتفاقية في عهد السلطان الثام وهو محمد الثالث وحصلت انكليزا ان ذلك على امتياز التي تتمتع بها فرنسا وهي ان تمنح غنفا وحمايتا في البحار والولايات السلطانية للبلاد التجارية التي لم ترتبط بعدود صداقة من الباب (١) لقد ذكر المورخون خطأ ان هذه الاسيرة التي يدعى انها فرنسية هي الدة بياريت الثاني .

العالي . وقد ايدى فرنسا التي كانت عوز ان هذا الامتياز خام بدا احتياجا مريده
للدسوان . وقد حصلت من اجل ذلك مراا على نايبات مرضية الا انه لم يتم اداء واستعان
السفير رافارو ده بريو سنة ١٦٥٢ بالتفتي خوجه زاده محمداقندر للحصول على فتوى تؤيد
طلبه المرتكز على اساس هذا المبدأ في انه لكون امتياز المنوح لسلط فرنسا هو خامر فانه
يبطل الحق المنوح بعد ذلك للانكليز .

وبعد بضعة اعوام عقدت هولندا ايضا سنة ١٦١٢ مع الباب العالي معاهدة
صداقة وتجارية شبيهة بمعاهدة انكلترا .

وبالرغم من العلاقات المتينة التي نشأت بين السويد والباب العالي من جراء
اقامة الملك شارل الثاني عشر في بندر *Reval* وانه لم تعقد معاهدة تجارية بين الدولتين
قبلا عام ١٧٢٧ التي قام بالمفاوضة فيها هو *Heikell* و *Carlson* وزير الملك
فريدريك . وبعد اعوام ثلاثة اتحد البلاطان بمعاهدة دفاعية ضد روسيا .

وقد عقد الباب العالي سنة ١٧٤٥ معاهدة صداقة وتجارية مع بلاط نابولي . و
سنة ١٧٥٦ مع النمسا . سنة ١٧٦١ مع بروسيا وسنة ١٧٨٢ مع اسبانيا . ان هذه المعاهدات
تحوّر تقريبا نفس الشروط المتعلقة بالتجارة ومنح الباب العالي رعاية هذه الدول نفس الامتيازات
التي يتمتع بها رعاية بقية الدول الأوروبية .

ولم يكن السلاطين العثمانيين يعطون امراة البيزنطيين وامراة نيقية وسيزون
والبيونيه *بيداريا* الخ . . . قبل سقوط الامبراطورية البيزنطية الا لقب *تيموراو* تكبر وهو محرف
من كلمة *تاكافروس* وهو اللقب الذي كان يتخذه قداماء ملوك ارمينيا . ثم اخذوا يدعون الملوك
المسيحيين بلقب *كرال* *كيسر* وهو لقب قداماء ملوك الصرب . الى ان اعطى الباب العالي سنة
١٦٥٦ لامبراطور النمسا لقب قيصر الرومان الذي يضاف اليه غالبا كلمة "الحليل" ويرجع
ذلك لذوق الشرقيين في حب المحج . كما كان يعطى لملوك روسيا لقب قيصر *(Cesar)* :
مصحوبا ايضا بكلمة الحليل . الا انه في سنة ١٧٢٩ ابدل هذا اللقب بلقب امراة .

ثم حصل اتفاق سنة ١٧٧٤ في معاهدة قسنججة في ان يعطى السلطان لقب رادشاه لملوك
روسيا وعموم اسمى الالقاب التي يتخذها الملوك المسلمين ويراد به الملك الكبير . وقدم معنا
بان هذا اللقب منح لفرانسوا الاول من قبل السلطان سليمان الاول ~~ملاطش طيغاب~~

تكتب رسائل السلطان الموجهة الى ملك اجنبي باحرف كبيرة على قطعة كبيرة من الورق نظوى وتوضع داخل كمر من الخوخ الذي يكون مرفوعة دائما برسالة من الصدر الاعظم . ومن المعتاد اذا وجه احد الملوك رسالة الى السلطان ان يوجه واحدة اخرى بنفس القصور للصدر الاعظم ولكم ما من سلطان قط فعل بالمقابل مثل ذلك .

لم يكن الباب العالي عند نشوب حرب لبحتم الصفة الرسمية التي لسفير الدولة المعادية الافساد ان يقبض على مثليها ويسجنهم ويعاملون في بعض الاحيان معاملة اسوأ من هذه يشهد على ذلك ما حارب بكمرون^٢ مثلي السندوية^٣ وما حارب^٤ وقد تعرض في اوقات السلم ايضا سفراء بلون هم اصدقاء للباب العالي الى احوال تدل على الضخامة والكبرياء . ويمكن ان تشير كمثل على ذلك ما حارب بستة سفراء فرنسيين . ففي عهد السلطان مراد الثالث قبض على *Lauconne* وادخل السجن وكتب الصدر الاعظم رسالة له تدرى الرابع ملوكة بامر التشكيات نحو مشله الذي منعه بالخداع مؤكدا انه لولا صفة الرسمية والاکرام الواجب نحو ملوك فرنسا لكان جهازهم الموت . وفي سنة ١٦١٨ اوقف الباب العالي البارون سانسى^٥ ده لاملول سفير لويس الثالث عشر . وفي سنة ١٦٣٤ اكونت ده مارشوفيل الى شهر احدى السفن وطرد من الاستانة . واوقف وقتها ثرته من سفراء لويس الرابع عشر وهم : *de la Haye* سنة ١٦٥٨ وابنه *de la Haye Vantelet* سنة ١٦٦٦ و *Guilleraque* سنة ١٦٨١ ولكن منذ قرن من الزمن اخذ الباب العالي يحسن معاملة وزراء الدول الاجنبية .

انه من العادات الشرقية الايستل احد امام السلطان بدون ان يقدم له عدية . وكان كل السفراء المبعوثين الى الاستانة يجلبون معهم قباضى عدايا له . ولما لم يكن *François de Noailles* اسقف *Aqps* ثريا يقدمه للسلطان فانه لاقى عدية كبيرة سنة ١٥٧٢ لمقابلة السلطان سليم الثاني لكي يقدم له اوراق اعتماد . وكان يرسل ملوك اوربا العرايا والسفاح وامراصد واولي الطعام الخ . . . اما الاولي امضوعة من الذهب او الفضة او الفضة المذهبة وانها معتبرة اشياء دسنة لهذا فانها اما تباع او ترسل الى دار ضرب النقود . اما عدايا السلطان فانه كانت تتألف من الطيوب والخير . والسجاد العجمي او المغربي والجلود المحذرة باثن عدة والسبوف والنياشير المرصعة بالحجارة الكريمة الخ . . . ولكن الدخيت عادة ارسال الهدايا منذ امده طويل وليس هناك غير الدول المطارة التي لاتزال ترسل الهدايا بخاسبة توحيم سفير فوق العادة .

كانت الدولة العثمانية تقدم نفقات السفراء البعثات العادية منذ رحيلهم الأراضي العثمانية حتى خروجهم منها . وكان يرسل مولفا حمزا رتبة مقدمدار ليستقدم على الحدود وليؤمن لهم كل ما يحتاجونه من نفقات اقامتهم . وكان الباب العالي عدم سنة ١٥٨٩ لسفير العثماني من الخرفان ومئة تاليف من السكر من غير ذلك من المواد . هذا اعدا مبلغ عظيم من المال في كل اسبوع . وكان يتناول سفير النمسا الكونت ماركس هابسبورغ مبلغ ١٥٠٠٠ الفلوقين في سنة ١٦٦٥ مئة وخمسين قرشاً في اليوم وكل ما يلزمه من اسعاج من غلف خيله . وكانت تختلف كمية هذا التعيين وذلك حسب الظروف وحسب الطوائف الذين يرسلون السفراء . وكانت الدولة حتى آخر القرن الماضي تتحمل نفقات الوزراء الاحزاب من الحدود حتى العاصمة وكان يتناول وزراء الدول المتعاطفة المجاورة تعييناً يكون مئة او مئة وخمسين او مئتي قرش في اليوم وذلك مدة الثلاثة او الاربعة اشهر الاولى من اقامتهم . ولكن منذ ان اخذ الباب العالي يرسل بعثات الى البعثات الأوروبية فانه انفق هذه العادة القديمة . منذ سنة ١٧٩٤ لم يسمح تعييناً للسفراء الدول المجاورة الفوز العادية . ولقد كان من العادة ايضا ان تخضع الدولة في كل مرة بتعقد فيها مؤتمر في بلاد اطمينا من النقود للمفاوضين الاحزاب والوزراء الدول المتوسطة في الصلح والمخاض التابعين لهم . كان الوزراء الأوروبيون يسكنون فيما مضى في العاصمة نفسها ويقيمون عادة في فندق كبير معين لهم ويولوا ايزال حتى الان يدعى ايلجي خان . ار خان السفراء . وكان سفراء البندقية هم اول من تصوال البيرة *Feix* وما لبث ان تغير بهم في ذلك بقيه السفراء ولقد اخذوا منذ امد لول يقضون في نفس هذا الحي .

تعقد الحدائق للوزراء المفاوضين الاحزاب بظاهر العسمة وادسور الدقيقة التي تيسر على كل احتفالات الدائم العثماني . وبعد ان يعلن السفير الجديد نبأ قدومه بزيوره في اليوم التالي ترحمان الباب العالي فيقدم له التهاني باسم الصدر الاعظم ووزراء الدولة . وسبق هذه الزيارة عديده من الورود والفاخرة توضع على الخياق وتقدم من قبل الصدر الاعظم . ثم تأتي رحاب من حرس الشرف مولف من بلاد من التكشيرة يقيمون في قصر محاور لقدر السفير . ويقوم له الصدر الاعظم في راد . الامر حلسة رسمية لياخذ منه اوراق اعتماد الموجهه له حسب العادة من الطوائف الذي يرسل السفير ومن وزير شؤونه الخارجية . فذهب الوزير القنصل

لحضور الجلسة فيسير امامه حرر الشرف، وتتبعه حاشيته مؤلفة من موظفي سفارته ومن كبار شخصيات موطنيه ومن سواح اوروجين يفتتحون هذه الفرصة ليشاركوا بلاطاً في مقدم في غير هذه المناسبة الوصول اليه . فيحضر المرفأ على قارب " الشاوش باشي " الذي له سبعة ازواج من الموائد . وعندما يصل الى اليابسة على الضفة الثانية يستقله موظفان من الحجاب " شواشي " ويقودانه الى جناح حيث لايلبث ان ينضم اليه " الشاوش باشي " الذي يقوم بموظيفة تقديم الشفراء ثم يقدم للوزير المفوض الدخان والقهوة والمربيات والشرب " ويدعى بعد ذلك لامتناء عبوة حواد من جيااد السلطان مجهز باثني عدة . ثم يتابع غريقه عائداً يسير عن شمال " الشاوش باشي " يتقدمه موكله المؤلف من رجال حرس الانكشارية ومن " العسس باشي " والصوياشي " وهم وكلاء الشرطة ، ونائب استخبارات السراي ، ومن ثلثين الى اربعين شاباً . ورئيس الارطة ، والمنداد الخ ثم تاتي بعددهم جيااد السفير وهي غير مستعدة ثم خدمه ، ثم بعد ذلك ياتي تراحة السفارة واغيرا امين سره حاملاً رسائل اعتماده مخفوفة في اكياس من الخوخ المذهب ويحيط الـ Haydoubek بكلكه بالسفير ويمتطي الخوامر من حاشيته ايضاً جيااداً تابعة للسراي . وعندما يصل الى قصر الباب العالي يصطف كل موظفي حاشيته الصدر الاعظم في باحة القصر للقيام بالتعظيم له . ويستقله ترحمان ادباب اعالي في اعلى الدرج ثم يقوده الى القاعة حيث يكون موحوداً فيها رئيس التشرفات وكثير من الموقفين . ومن هنا يدخل الى قاعة المقابلة حيث يحتل رجال من الشواشي والحجاب ويهرهم قسماً منها . ثم يفتح باب خفي يتقدم منه الصدر الاعظم ويكون متكاً على الكخبة باي جهة اليمين وعلى القبوذجي لركخية سي " رئيس حجاب القصر اليسار يتقدمه وزراء وامناء سر الدولة وهم يمضون بوقار اثنين اثنين . ثم على الاثر تسمع في القاعة اصوات الادعية في ان يحفظ الله السلطان ونائبه .

يحلس الصدر الاعظم في صدر الاركة ويقف الموظفون الذين سبقوه على الاركة نفسها وكثيراً مايديهم مشبكة فوق صدرهم . ويكون عن يمينه الرئيس افندي والشاوش باشي ورئيسا الاستدعاء وامين سره الخادم . وعن يساره الكخبة باي مع ارب رؤساء الارضات وهم مشلو فرق جيش المشاة الاربع لدى الباب العالي . ويحلس السفير على مقعد حيث يتلو خبطة يقوم بنقلها الى الفقه التركية ترحمان ادباب العالي الذي يكون واقفاً عن يساره . فيجيبه الصدر الاعظم بزرقة ثم بعد

ان ينقل نفس الترحمان كلامه الى السفير بقم هذا الاخير ويتناول اوراق اعتماد من يد امين
 سره ويقدمها للرئيس افندي الذي يضعها على وسادة قرب الصدر الاعظم وعندما يقوم
 علمان مرتدي البسة ثمينة فيضعون على ركبتي الصدر الاعظم وركبتي السفير قماشاً من الحرير مزركمة
 اطرافه بخيوط الفضة ثم يقدمون لهما المربيات ، القهوة والشراب وعطر العنبر وماء الورد . الا
 انهم عندما يخدمون الصدر الاعظم يضعون احدى ركبتيهم على الارض . وبعد ان يشرب كان الشراب
 يحبه الحضور برف يدغم المشي من فمهم الى حنجرهم . وبعد الانتهاء من هذه العادة يقوم رئيس
 التشرفات ويضع بين ثياب السفير وردائه مندولين من الحرير مزركمين بالذهب ويلبسه فروة من
 حل السمور . يفرق علو رجال حاشيته ثلاثون او اربعون " قفازاً " ويكون الصدر الاعظم اثناء ذلك
 يحادث السفير الا انه لا يتحراى من مكانه عندما يقف السفير ويسم بالانسحاب ولا يرد له اخر تحية
 الا باحشاء رامة قليلا . وعندما يرحل السفير الى قصره تستقله الموسيقى العسكرية حيث يقوم بالعزف
 بتتابع الفرق الموسيقية الاربعة التابعة للسرار وللباب العالي " ولد مير قابو " ولبرج غلطة . ويحور
 له ذلك تبعاً للعادة المستعملة نحو الولفين العثمانيين الذين يمشون يوم تنصيبهم او تشييتهم في
 مراكزهم بمعزوفات نفس هذه الفرق الموسيقية العسكرية . ويقدم ايضا للسفير من قبل الصدر الاعظم
 اطباق عليها الورد والقواكه .

ولا يقابل السلطان احدا الا في ايام انعقاد الديوان . ولقد ومنها الاحتفالات التي تحور
 بمناسبة انعقاد هذا المجلس . وسوف لانبحت هنا اذ فيما يتعلق بمقابلة وزير نفوذ احببي . فعليه
 ان يغادر قصره في حين الفصول عند الصبح ويكون له نفس موكب الاحتفال السابق انما عليه ان
 يقف في انتظار الصدر الاعظم عندما يصل الى الار كمان الكائن على مدخل طريق كبير يؤدي من
 الباب العالي الى السراي . وكان ينتظر فيما مضى ساعة كاملة اما الان فانه لا يبقى غير ربع ساعة
 تقريبا . وعندما يمر الصدر الاعظم مع حاشيته البهية يتابع الوزير طريقه ثم ينزل من على عهوه
 حواده لما يصل الى باب السراي الثاني حيث يكون ترحمان البلاذ واقفا لاستقباله . ويضطر ايضا
 ان يقف ما يقارب النصف ساعة تحت هذا القبة . ثم يحتاز على تقديم باحة السراي الثانية بتقديمه
 الحاشي باشي ورئيس حجاب السراي (القوجي لركمخية سي) وعما يضريان بتتابع الارض بعضهم
 المحلاة بمفاتيح الفضة . وعندما يدخل الى هذه الباحة يرو من ناحية رجال الانكشارية مسربين
 لاخذ صحن الرز ومن ناحية ثانية رجال خدمه وعم يهمون بتناول الاطعمة المقدمة لهم .

عندما يدخل السفير الى قاعة الديوان بعد فيها كل اعضاء المجلس عدا الصدر الاعظم الذي يدخل بعد برعة وحيزة من باب خفي . وبعد ان يحل الصدر الاعظم يحل السفير على مقعد يقف عن يمينه امين سر السفارة حاملا رسائل الاعتماد وعن شماله ترحمان الباب العالي . وبإشارة من الصدر الاعظم يتقدم هذا الاخير منه ويقبل ثوبه ويصدر ~~بصدر~~ له الامريان بحال السفير عن صحته . فيقوم بخدمته بصوت خافت ثم يرجع لعند الصدر الاعظم ليعطيته الحواب فيقبض ثوبه ايضا ويرجع الى مكانه .

عندئذ تتبدد حلسة الديوان التي تدوم ساعة تقريبا . وعند انتهائها يوجه الصدر الاعظم عريضة للسلطان بطلب فيها ان يتكرم وينحهم الشول بين يديه . وبعد وصول الخط شريف الذي منحهم ذلك تنصب خمس موائد صسرة واحدة امام الصدر الاعظم يدعى اليها السفير وثلاث اخر امام القبودان باشا والنمشجي والدفترداريون الثلاثة حيث يتناول الاوروبيون من حاشية السفير الطعام معهم . وتخصص الخامسة لقاضي عسكر فقط اذ يستقد بانهما يتدنسان اذا قبلانها على مائدتهما . وليس هناك اغطية للموائد ولا ادوات . وتقدم على كل مائدة من هذه الموائد خمسون صفا يوضع الواحد بعد الآخر . والصدر الاعظم هو الذي يتقدم دائما فيتناول الطعام من الصحن الذي منه باصابعه او وضع فيه ملعقته وسيمدعو في كل مرة ضيفه بإشارة من يده ليحضر حوزوه . ويقف الترحمان على قرية منهما . ولا يقدم للشرب سوى مرة واحدة وذلك في اخر الطعام ويكون ما يسمى " شربة " او شراب ويصب الخلمان الماء على ايدى المعزبين قبل تناول الطعام ويعدده وحصل في بعض الاحيان فضول عند السلطان كي يشاهد في قاعة الديوان الاوروبيين الذين سيمثلون بين يديه . عندها يرى من خلال الشعيرة المذهبة التي تكون على نافذة مرتبته الثلاثة فوق مقعد الصدر الاعظم .

وبعد مضي نصف ساعة يكون مخيم فيها على الجميع صمت عبق يقاد السفير من قبل مترجم الباب العالي ورئيس التشريفات الى مكان في الباحة معين واقع بين قاعة الديوان وقاعة العرش حيث يلبس فروة من حلد السمور . وتفرق في نفس الوقت الخلع والقفاطين على رجال حاشيته . وعندما يخرج اغا الاكاديمية والقاضيا عسكر من قاعة المجلس يتوجه الصدر الاعظم ومعه القبودان باشا نحو قصر السلطان حيث يتبعهما السفير . وعند وصوله الى باب السعادة يتقدم منه اثنان

من رؤساء الحجاب (قبو دحي باشي) فيلعدانه من تحت ذراعيه . ويقوم عرسا باجراء نفس الشيء مع الأوروبيين الذين يرافقون السفير . يحتاز الجميع رواقا يحفظ على حائيه مولفو عرفة السلطان " خام اوضه لي " والغلمان .

وبعد دخوله الى قاعة العرش ينحني السفير ثلاث مرات ويقف على رضع خطوات من السلطان الذي يكون حالسا على الطريقة الأوروبية . ويقف الصدر الاعظم وامير البحر والمير علم امام العرش كما يقف مقابل الحائط عن يسار السلطان ثلثة موظفين من الخيالة البيضاء ويقوم ترجمان الباب العالي بترجمة الخطبة التي يلقيها السفير ولكن خشوعه وضوئه الغير واضح يدلان على الخوف اكثر مما يدلان على الاحترام (١) . ويامر السلطان الصدر اعظم باشاه من راسه ان يحجب . فيفعل الذي يقدمه الى السفير الذي يتناول رسالته اعتمادا من يد امين سره ويقدمها للمير علم العرش . وعلى اثرها ينسحب السفير فيمتطي جوانبه عند باب السراي الثاني فيصطف من مواعه في باحة القصر الاولى منتظرا مرور الصدر الاعظم بعدها يتابع سيره وعند وصوله الى قصره تهنؤه الفرق الموسيقية الاربع التي تكلفها عنها .

المفوضية

ويجرى مثل هذا الاحتفال للسفراء وللوزراء من ذوي الدرجة الثانية . ويمكن ان يكون هناك اختلاف في عدد الكساية الذين يؤلفون رجال حرس الشرف وبعدد الخلع (تقاعين) الممنوحة وحياد السراي وبعدد اشخاص الحاشية الذين يقبلون في قاعة المجلس . ويمكن ان يرافق السفير من عشرين الى خمس وعشرين شخصا بينما لا يرافق الوزير سوى خمسة ^{عشر} شخصا .

كان لا ينعح لممثلي الدول الأوروبية في بادئ الامر سور الخلع السنيه (القفاطين) . الا

ان سفيرا نمونيا فوق العادة كان اول من منح له فريزة من طرد السمير وكان ذلك سنة ١٦٤٤ وهي بيزة مخصصة عند الممثلين لباشوات الاغواغ الثلاثة وللثلاث شخصيات الاولى من عبدة الملوك . انما رجع الباب العالي في عهد السلطان احمد الثالث الى منح الخلع . وظل حريصا على اتباع ذلك حتى نقضها عام ١٧٧٢ اكراما لوزير مفوض جديد اسوجي وعمر : M. Ulric de Celsing وظلت هذه المنحة متبعة منذ ذلك الوقت نحو كل الوزراء الاجانب .

يستل الأوروبيون في الجلسات التي جئنا على وصفها محتفظين بقبعاتهم على رؤسهم

(١) بما امره جهاد العالي لا يظهر ان السلطان الذي مناسبة مقابلة هذه الاجانب سيجازيهم فانه يبي عليه عند دخوله الى قاعة العرش انه يسجد ويضع جبهته على الارض مع انه ليس كذلك بل يركض على يده وسلم في السلطان بمنزلة "القبعة الزبدية" .

انما لا يحق لهم المشور بين يدي السلطان حاملين سيوفهم . ففي سنة ١٧٠٠ اخبر ضيوف ترجمان الباب العالي سفير فرنسا *M. de Ferriol* في الوقت الذي كان سيدخل فيه الى قلعة العرش ان العادة تقضي بان يترك سيفه . الا انه رفض بعناد بالرغم من انهم اخبروه ان مثل هذا العمل طبق على السفراء الذين خلفهم ويلقبهم العراة الاجانب . واوصلوا الخبر الى الصدر الاعظم الذي كان اذا ذاك عند السلطان . ولكن مصطفى الثاني رفض ان يحدد عن القاعدة القديمة . واعطى الامر للترجمان ان يعلن للسفير عدم السماح له بالدخول اذا لم يوافق على ترك سيفه . وطار *Ferriol* مصرا وانسحب تاركا " القبطان " الذي منع له . وحذا رحاله حذوه . وردت له الهدايا التي جلبها معه والتي كانت لاتزال معروضة امام قاعة العرش (١) وكان سفراء البندقية هم الوحيدون الذين يجلبون ما يجلبون يعانون كل شائنة اعوام مع مراكب حربية الى الدردنيل حيث تكون بانتظارهم سفينة عثمانية لتقلهم الى استانة . وبعد بضعة ايام من مجيئهم يجتازون حي غلطة تتبعهم حاشية كبيرة ويرافقهم *Voyageur* هذا الحي والشاوي بالشي . ويلبسون في هذه المناسبة رداء غويا يلبسونه وقت الجلسة . ويأتي سفراء راعوزة مرة كل ثلاثة اعوام وذلك لتقديم الحزية التي فرضها الباب العالي على هذه الحمهورية ولتحديد موضوعهم له . انما ترتب عليهم اثناء اقامتهم في العاصمة التي تدوم بضعة ايام ان لا يخلعوا نزعهم ويرتدوا الثياب الشرقية وان لا يحتفظوا بشابهم او موزية الا هفتهم . ويرتدون الثياب الرسمية فما يحضرون جلستي الصدر الاعظم والسلطان حيث تجوزان بدون احتفال . وهم يقبلون في قاعة الديوان ويتناولون الطعام من ترجمان الباب العالي في جناح العلماء . وتعامل الدولة عسبودار اذ فرق وعسبودار البغدان كما كانت تعامل سابقا الملوك الراضين لهذين البلدين . فتضع لكل منهما طنسية (كوكا) مزينة برشده وشوبا من الحي الاحمر محلي سفراء السمرقانية (ولا تكون المقابلة التي تضع لهما اذ رمزا لتاعتهما للباب العالي . وعند دخلهما المحل ينحنان ثلاث مرات امام العرش . وكان يجب عليهما فيما مضى ان ينسجبا على النور بدون اداء ار كفة . وكان الامير *Mathieu Ghica* هو اوز من منح له بمخالطة السلطان وقد اكفى بالدعاء غالبا له العز . اما السلطان فانه لا يخاطب قط امراة هاتين المقاطعتين انما في بعض الاحيان يوجه كلامه للصدر الاعظم ويقول : " ليكن مخلصا وذاهمة ولينتبه " (١) ويضيف الراجح من هذا الخبر في تاريخه انه السفيرة *M. de Ferriol* فقد سجد لوزير الحزبه " ديليا بيلي " .

في حماية رعيا السلطنة وفي دفع جزية بلاده في حينها .

يقول المؤرخ *Hamak* في الاحتفال الذي كان يحضره فسادى لاستقبال الوزراء
المفوضين الاحياء في نفس الذكر كان يحضر نحو مئتي المليون الخاضعين للسلطان . ولم
تحتسب ذلك، نحوهم الا في اخر عدد مراد الثالث . اذ حصلوا على امتيازات عديدة منها تناوب
الاعظام في قلعة الديوان على مائدة الصدر الاعظم . ويضيف نفس هذا المؤرخ ويقول بانه قد
دفعوا اموال كبيرة لكي يراى حال البلاط بهذا العدد فاخذوا يدافعون عنهم ويسهلون امر منحهم
هذه الامتيازات .

يحمل سفراء ملوك المسلمين معاملته افضل وخصوصا سفراء العجم . فخرجوا الى
علي رار فرقة الحراسة لاستقبالهم قبل مدينة اسكدار ويحرم لهم عيد فخيم عند وصولهم الى هناك
انديشه المساورة لمساكنه . وكانوا يجازون اليوسفور فيما مضى على سفن حربية بينما تعلق المدافع
مشيرة الى مرورهم هذا . ويحرق سيرتهم بابه من وصولهم الى الضفة الثانية ار الى الامتانة .
حتى المكان الذي عين لاقامتهم . بهم يجلسون على الاركة فاما يكونون عند الصدر الاعظم اما في
قاعة الديوان في السرار وانهم يجلسون على اركبة قرب النيشنجي . ويدخل معهم الى قاعة
الحرس اربعون او خمسون شخصا من رجال حاشيتهم . ولكن الامتانة يخاطبهم اذ الصدر
الاعظم هو الذي يرد على خطبتهم باسم مولا السلطان .

وكان يترتب على الوزراء الاوروبيين سابقا في كل مرة يقابلون به الصدر الاعظم ان يقدموا
الهدايا له ولوزراء وانشاء سر دائره . وتتألف هذه الهدايا من الديباج والحرير والخنجر .
وتحدد هذه الهدايا في عيد الفطر والاضحى وعند تعيين صدر اعظم اورثيوس افندى جديدين .
ان هذه العادة التي تكلف كثيرا والتي يظهر انها وضعت ليكون لها معنى الخضوع الميت بعد
بعد معاودة قنصره . ولم يحفظ الا بالسخ التي تعطى اثناء المقابلات الاولى لرجال السدر
الاعظم وللسراى . وهي ترتفع في كل مرة ^{الى} الف وستين والذ وخمسة قروش . ومن
العادة ان يقدم الوزراء الاحياء احترامهم للسلطان عندما يزور قصر القلعة الخدم في علية
او وقت قيامه بنزهاته في فصل الربيع عندما ياتي ليقضي بعض ساعات في مكان يبيع قرب
بيوت دره *Basyukdove* ويكون ذلك بان يرسلوا له المربيات والطويات في اوان من
البلور او اذيني . ويرافق ترجمان كل وزير هذه الهدية التي يقدمها لرئيس الخصال السود

فيعطيه هذا باسم السلطان مئة قرش .

للقابل الوزير المفوض السلطان . ان المصدر الاعظم بعد المقايضات الاولى التي تمنح له الا ان اراد تقديم اوراق اعتماد جديدة . ان يسلم رسائل اختيارية . فاذا دعي الى يده يمنحه السلطان جلسة يعطى له فيها اجوبة رسائل الاعتماد المقدمة من قبل خلفه . واذا كان سيرا مركزه مؤقتا فانه لايلخذ السماح بالذهاب الا من الصدر الاعظم .

ولقد كان من الأصول وما مضى ان يذعب الوزراء الاجانب لتقديم تهادنيهم لكل صدر اعظم او امير بحر حديد . ويذعبون لتوديع هذا الاخير عندما يبحر بمحادثته سنويا من الاسطول الى الارخبيل . ان هذه العادة الصيت منذ عهد السلطان مصطفى الثالث . وانه يمكن الان لوزير اوروبي ان يقسم بضعة اعوام في الاستانة بدون ان تحصل له مناسحة التزام بار وزير للدولة او امير مولى . وانه يحصل مندوب سلمي اجنبي على مقابلة من امير افندي اذا كان الامر على غاية الاهمية . في مثل هذا الحال يكون من الرئيس افندي ترجمان الباب العالي وامين سره Aneddje ليقوم باجراء البروتوكول . ويصطحب المفوض اوروبي امين سر وترجمان السفارة فيقيم الاول بتدوين اعمار الجلسة ويقوم الثاني بالتثبت من صحة ما ينقله ترجمان الباب العالي .

ولكن في الشؤون العادية او التي اقل اهمية فالوزراء المفوضين لايتعاملون مع وزراء الباب العالي الا بواسطة تراجمهم . فانه ضروري والحالة هذه ان يكون لدى السفارة تراجم ماهرة ولقد شمرت جفنه بذلك حكومات اوروبية كثيرة الى درجة جعلتها تنشيء مدارس خاصة لتعلم اللسان الذين يعدون للعمل في بلاد الشرق . وهم يعملون بعد ان يتعلموا اللسان الشرقية كترجمة في قطليات حكوماتهم التي في مراقي الشرق . ثم يلتحقون بالسفارة ليقوموا بنفس العمل . وبعدها يمكنهم ان يصبحوا قناصل او امناء سرفي السفارات .

ولكل سفارة واحد او اثنين من التراجم يقوم الاول منهم باعمال السياسية فيحرر باللغة التركية الملاحظات والذكريات التي يجب ان تقدم عن كل موضوع ويساعده في عمله هذا كاتب تركي يكون في خدمة السفارة . ولا يوقع السفير هذه الاوراق انما يكتبها بوضع ماهره عليها . وهو لا يوقع الا على الملاحظات التي يقدمها باللغة افرسيه او اديبانية وتكون على شي من الاهمية في في الشؤون السياسية . ولا يمكنه ان يرسل في اي موضوع كان سوى الرئيس افندي الذي يوجه

هنا

طلبه الى الدوائر المختصة . ونلاحظ/ بأنه من شعار أعضاء الحكومة ان يتمهلوا في قضاء الاعمال التي هي على شيء من الاهمية والتي تخرج عن دائرة الشؤون العادية . فيؤجلون النظر فيها من وقت الى اخر ويؤخرونها سنين عديدة بدون ان يتوافقوها . واذا سئلوا عنها يرددون القول وينتهى البرود ، سننظر فيها او انشاء الله . ونشاهد هذا التردد عن جهلهم وخوفا من تحمل المسؤولية . اذ بما ان الوزير يكون غير متأكد ابدًا من ان يظل في منصبه حتى الغد فانه يترك لمن سيخلفه ما يمكن ان يعرضه للمكاره . وان الاعمال العادية للسبب ذاته تقضى بسرعة مدهشة ، اذ يهتم كل موظف ان يقضيها حالًا لكي يقيض المال الراجع له منها . اما بقية تراجمة السفارة فانهم يساعدون مواطنيهم في اعمالهم في المحاكم والجمرك والشرطة الخ . . . ويرتدون جميعهم الالبسة الشرقية ويضعون على راسهم "القلبك" مصنوعا من فرا' المسور .

ولقد مر بنا كيف ان الدول الاوروبية الكبرى التي اجرت معاهدات مع البلاط العثماني حصلت لسفرائها وقضاصلها القدرة على استخدام اناس من مسيحيي البلاد كترجمة عندهم . ومنح نفس هذا الحق لبقية الدول التي عقدت معاهدات تجارية وصادقة مع الباب العالي . ~~وكذلك كذلك~~ وحدد في بعض هذه المعاهدات عدد التراجمة الى ثلاثين او اربعين . وقد ذكر في غيرها ان يكون للسفير ترجمانان وللقنصل ترجمان واحد . الا ان هذا العدد ضعيف للممثلين الاجانب وذلك في عهد السلطان مصطفى الثالث . وياخذ الوزير المقوض براءة من الباب العالي من اجل الشخص الذي عنده ترجمانان ويتمتع هذا الاخير منذ ذلك الوقت بالامتيازات والحصانات التي يتمتع بها الاوروبيون . ولكن بما ان عدد البراءات التي حصل عليها بموجب المعاهدات تزيد عن عدد التراجمة الذين يعملون في السفارة فان السفراء يبيعونها بجلع معين لاناس من اهل الذمة . ويصبحون بهذه الوساطة تحت حماية السفارة ويجدون ملجأ لهم ضد تعديات موظفي الدولة ويدفعون كالاوروبيين ثلاثة بالمئة ضريبة للجمرك من اجل بضاعتهم . وكلما استعطت السفارات تراجمة وظيفين وزاد عدد القنصليات كلما زاد عدد البراءات المباعة لاهل الذمة .

عدا ذلك فانه يمكن لكل ترجمان ان يستخدم عنده شخصين يعقبان من الخراج ومن اء ضريبة وهما يحملان من اجل ذلك فرمانا من الباب العالي . الا ان هذه فرمانات لاتلبث ان

تنقل من ايدي الخدم الى ايدي بقية الناس الذين يشترونها ليضعوا انفسهم تحت حماية سفارة
اجنبية . وبعد وفاة صاحبها ترجع هذه البراءة او الفرمان الى السفارة . وتراوح سعر البراءات
بين الفين وخمسمئة واربعة الاف غوش . وسعر الفرمانات بين الاربع مئة والثمان مئة حسب اهمية
المركز التجاري التي هي منوحة له . وكثيرا ما كانت تسبب هذه البراءات محادلات عنيفة بين
الباب العالي والسفارات الاجنبية . فالباب العالي يحتج بان هذه البراءات اسي استعمالها
ولها تحم خزنة الدولة من حقها في الضرائب التي كان يجب ان يدفعها الاشخاص اغنيا من
رعايا السلطان ويدافع السفراء عن حقهم الذي تنص عليه المعاهدات . واذا كانت هذه البراءات
تؤمن لهم مبالغ من المال فانها غالبا تسبب لهم مشاكل ايضا . فاذا لاحقت الدولة هؤلاء
الاشخاص الذين هم تحت حماية السفارات ويكون بينهم من اصحاب البيوتات العالية فانهما تشبه
بجدال مع السفارات التي تريد ان تحبسهم . ويدعم الديوان هذا البعد وهو ان كل ترجمان بالاسم
فقط يعتبر من رعايا السلطان ولهذا فقد حصل ان حكم على احد حاملي البراءات بالموت وباستصدار
امواله . ويقدم السفراء والقناصل ايضا براءات يضعون بموجبها اشخاصا من العثمانيين تحت
حمايتهم ويتالم الباب العالي من سوء الاستعمال هذا لما صعب الاحتمال ولكنه ليس لديه القوة
لازالته . وهو يكتفي احيانا باقلاق وتكيد اولئك الذين يراهم على غير حق في التمتع بحماية
اجنبية الا انه يستعمل من بضعة اعوام طريقة حكيمة ليحول هؤلاء الرعايا عن طلب هذه الحماية
وذلك انه اخذ يمنح الذين منهم يتاجرون مع الخارج نفس تخفيضات ضرائب الجمر التي يتمتع
بها التجار الاوروبيون المقيمون في اراضي الدولة ومؤكدا لهم ايضا حمايته الخاصة . وهو علاوة
عن ذلك يقدم لهم براءات تامينا لعوده . ومنذ ذلك الوقت خفت طلباتهم في الحصول على حماية
الوزراء الاجانب .

ولم يرسل البلاط العثماني حتى هذا الزمن الاخير بعثات الا في مناسبات رسمية .
وكانت اقمعها تلك التي تتوجه الى بلاد العجم حيث تقيم ~~هنا~~ هذه الامبراطورية المجاورة
حفلات تكريمية كبيرة . ويخرج لاستقبالها اخذات او حكام الولايات التي تمر منها ويقومون لها في
قصورهم اعياد ازاهية . ويجري نفس هذا الاستقبال في الدولة العلية لسفراء العجم . ولم يبتدى
الصلاطين في اعلام حكومتي النمسا وروسيا خبر تسلمهم العرش الا منذ عهد السلطان محمود
الاول وذلك بارسال سفير من الدرجة الثانية ويكون عادة من حاملي رتبة الباش محاسبجي .

أو رئيس المكب الثاني لدائرة المالية . إلا أن السفراء يحصلون غالبا على رتبة باشا ديكلوراك البرون
اليلي .

وعلى كل سفير عثماني أن يقدم تقريراً عن رحلته حين رجوعه إلى الاستانة . ويمكننا الحكم
على قيمة هذه الملاحظات التي يبدونها أشخاص لا يعرفون أو لغة أجنبية وهم غير مثقفين ويكونوا
قد مكثوا مدة ضئيلة فقط . ولهذا فإننا لا نجد في تقاريرهم إلا أخباراً مفصلة عن الاحتفالات
التي قيمت لهم مع ملاحظات تافهة . وهم يجتهدون عادة في إظهار سلوكهم الخاص ومحاولاتهم
التي أبدوها في كل المناسبات لجعل المير يحترم عظمة الاسلام . ويذكر كل
منهم أنه استقبل بتميز خاصة وأنه أقيمت له حفلات لم تجر لسفير قبله . ومعظم هذه التقارير
موجود في تواريخ السلطنة وأحضرها تقرير محمد أفندي سفير السلطان أحمد الثالث في بلاط فرنسا
عام ١٧٢١ عندما كان لويس الخامس عشر قاصراً بعد (١) .

وعندما رجع معان زاده حسين بك مندوب السلطان محمد الرابع في بلاط دهلبي سنة
١٦٥٢ سأل هذا بفضل عن لغز شي استرعى انتباهه وهو في الهند . فأجابه حسين بك
حسب رواية المؤرخ نعيمة ، وبمنتهى البرودة بأنه لم يلاحظ شيئاً وأنه كان ملتفتاً فقط إلى مهمته .
وأنه كان عديم الصبر لتراكم البلاد التي لا يمكن في أية حال مقارنتها بجمال البلاد التي لها الحظ
بأن تكون خاضعة لجلالته .

إن العصبية الدينية نحو غير المسلمين تقوى أيضاً هذا الكبرياء الناشئ عن الجهل
ومن احتقار كل ما هو أجنبي . وفي التاريخ حادثة من هذا النوع تستحق الذكر . وهي أن شاه
العجم خسرو الأول من عائلة Bouygh أرسل سنة ٩٨٠ بكر الباقلائي أحد أئمة بلاطه كمسافر
للامبراطور باسيل الثاني . ويذكر المؤرخ أحمد أفندي أن هذا الشيخ كان مأخوذاً بعظمة الاسلام
وعظمة مولاه . ولهذا فإنه لدى وصوله إلى القسطنطينية قال بأنه مع احترامه للامبراطور البيزنطي

(١) وتحتوي التواريخ أيضاً عن تقارير رسمي أحمد أفندي الذي كان سفيراً في فيينا سنة ١٧٥٨ وفي برلين
سنة ١٧٦٣ . ودرويش محمد أفندي لدى رجوعه من بطرسبرج عام ١٧٥٥ ومحمد آغا سفير السلطان
في فرسوفيا سنة ١٧٥٨ ودرى أفندي المندوب الذي أرسله السلطان سنة ١٧٢١ إلى بلاط ملك
العجم .

لا يمكن ان ننحني له بدون ان يهين الاسلام بعلمه هذا ، فاستفاد رجال الامبراطور من هذا التلميح ودبروا الامر وذلك بانهم عندما قادوه الى القصر لمقابلة الامبراطور وجد نفسه امام باب صغير يؤدى الى غرفة العرش . فلما شعر الامام بالحيلة ادار ظهره ودخل القهقرى . ويضيف المؤرخ بكل رصانة ان سرعة خاطره هذه جعلت له مقاما كبيرا عند المسلمين واعطت المسيحيين ايضا فكرة عالية عن سجاياه .

ولا يقوم الوزراء العثمانيون في بلاط فينا باجراء العادة القديمة التي تنص بتقبيل طرف ثوب الامبراطور في اخر المقابلة الامكرمين . وقد ارسلت الدولة راتب اقدى مندوبا لها في فينا سنة ١٧٩٢ اذ حالا بعد معاهدة صلح سيستوف . ولكنه تعمد الا يقوم بهذه العادة في المقابلة الاولى التي جرت له مع الامبراطور ليوبولد . انما اخبر في ذات اليوم بانه اذا لم يتعمد بتقبيل ثوب الامبراطور في المقابلة الثانية التي ستجرى له قبل مغادرته البلاد ~~لن يعترفوا~~ ^{لن} بصفته الرسمية وسيبرسل الى الاستاذة من مقدم التشكيلات عنه للسلطان . فاضطر راتب اقدى ان يخضع للامر . ولكي يعوض عن خطاه فقد قبل عرتين ثوب الامبراطور فرانسوا الثاني .

انما قرر الباب العالي اخيرا سنة ١٧٩٣ ان يعين له مندوبين دائمين في بلاطات باريس وفيينا ولوندره وبرلين وكان في نيته ان يعين مندوبا ايضا لدى دولة خامسة الا ان هذه تجنبت بحذافة هذا العرض . ويترتب حسب هذه الخطة ان يلتحق ثمانية او عشرة شبان عثمانيين بكل سفارة من هذه السفارات حيث توهم لهم الوسائل اللازمة لتعلم اللغات والعلوم والفنون الأوروبية ولكن هذا العمل لم يكن من الممكن اجراؤه الا بعد مدة طويلة وذلك لانه كان يتعارض كثيرا والعصبيات الوطنية . ولقد جابه الباب العالي في بادى الامر صعوبة ايجاد اشخاص من ذوي المانة يمكن تذكيل كرامتهم للذهاب الى بلاد مسيحية . ولقد ~~ماض~~ اضطر في اخر الامران بعدهم بان مهمتهم سوف لاتدم اكثر من ثلاث سنين . ولقد وجد صعوبة ماثلة في تعيين موظفي السفارة بالرغم من الشروط الجيدة التي عرضها ولكن بعد بضعة اعوام اخذ الباب العالي يبلغى هذه السفارات وعين بدلا من السفراء في هذه البلاطات مندوبين يونانيين .